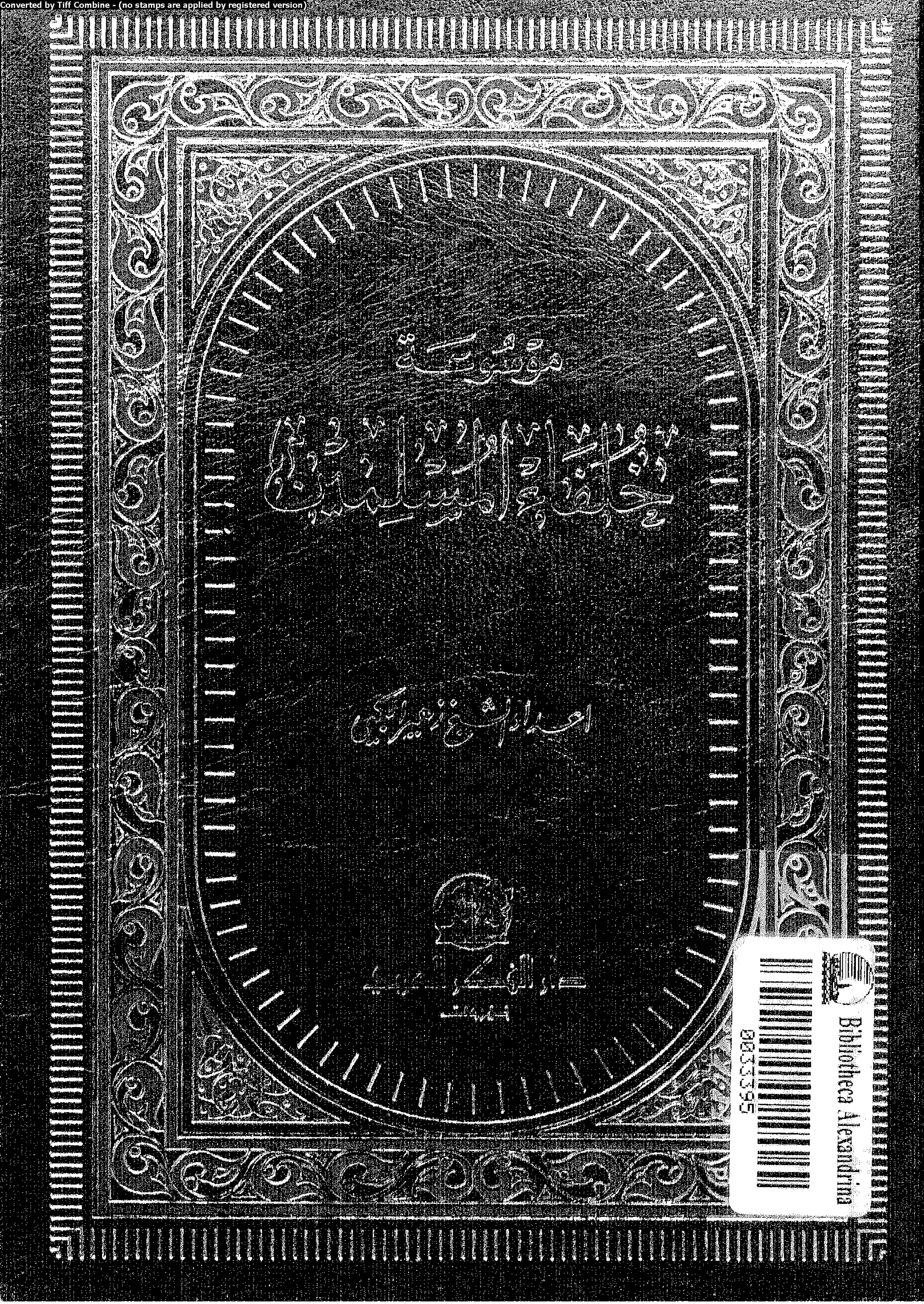


موسوعة

خلفاء المسلمين

إعداد الشيخ زهير الكبي

دار الفكر العربي
بيروت






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موسوعة

خلفاء المسلمين



موسوعة

خلفاء المسلمين

اعداد الشيخ زهير الكبي



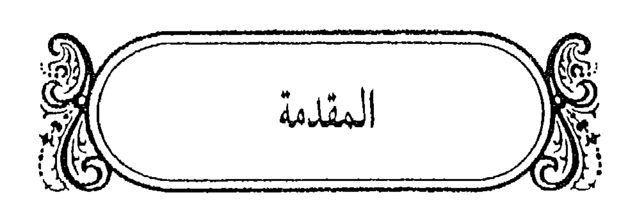
دار الفكر العربي
بيروت



للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة مقابل بنك بيروت والرياض
بناية عبدوابي شبر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩٤



المقدمة

يدفع التاريخ كثير من علماء هذا الفن في الغوص في تفسير وتعليل حوادثه، ووضعه ضمن الإطار الفلسفي لأسباب الحدث. وكثيراً ما يدرس المؤرخون الاحتمالات الممكنة التي لو سلكها أفراد وأبطال «الحدث» لكان من الممكن أن «تغير مجرى التاريخ» بزعمهم، فيهرعون إلى استقصاء الفرضيات والنظريات والاستنتاجات ويحملون الوثيقة «القصة» أكثر مما أراد لها محررها، فيتدخل المؤرخ، من حيث أراد أو لم يرد، في صنع الحدث، ومن هنا لا تعود الوثيقة تخبرنا بما حدث وإنما ما أراده المؤرخ هو من نفسه ومن الآخرين أن يعتقدوا بأنه حدث.

وربما هدف المؤرخون في عملهم التحليلي هذا الإجابة عن السؤال الكبير: **ما هي فائدة التاريخ؟** وذلك حينما يعتقد المؤرخ أن التاريخ هو عمل لخدمة الحاضر وخدمة المستقبل، وبمعنى آخر فإن تربية النشيء لا تكون صحيحة وكاملة إذا جهلنا ماضي سلالة من نربي وحياة أبويه وجدوده، وعبر آخرون عن فائدة التاريخ بأن عهود النكبات في التاريخ الإنساني كانت دائماً حافزاً على التفكير في الماضي وفي المصير[1]، ولذلك رأينا المفكر والمؤرخ الكبير ابن خلدون لا ينفك

---

(١) ينرل كولنغوود الفيلسوف المؤرخ في جامعة اكسفورد: «إن الماضي الذي يقوم المؤرخ بدارسته هو ليس بالماضي الميت ولكنه، بمعنى ما، ماض ما يزال يعيش في الحاضر» (عن ما هو التاريخ، لادوارد كار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٢٣).

يوحي بأن مجرى التاريخ ينتج عن ظروف البيئة أكثر منه عن التصرفات الحرة للفرد أو للأفراد[1].

إن هذا الأسلوب الذي اتبعه كثير من المؤرخين أثرى مكتبتنا التاريخية، وأغناها بمؤلفات لا يستغني الباحث عن الرجوع إليها، إلا أني في كتابي هذا انتهجت نهجاً مختلفاً تماماً، فقد عمدت إلى أمهات كتب التاريخ، أبحث فيها عن «الحدث المؤثر» في التاريخ أختصره من غير إجحاف واثبته حسب تاريخ حدوثه، كل ذلك تحت عنوان أساسي وهو فترة الخليفة الذي تولى أمر الأمة، وذلك من غير تحليل أو تفسير حتى لا أؤثر في الحدث، وأنا بذلك لا أزعم أني كتبت حقائق التاريخ مطلقة بصورة بحتة، فالأسلوب والتعبير عن الحدث بحد ذاته هو تأثير في الرواية التاريخية، واعتماد رواية دون أخرى هو تدخل من ناحيتي في الحدث. وحرصي هذا على التجرد جعلني لا أضع المقدمات والتحليلات من الناحية الإجتماعية والثقافية والسياسية أمام فصول الكتاب، تاركاً هذا الأمر للكتب المتخصصة ولكتب التاريخ التحليلة.

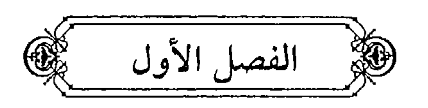
إني بعملي هذا أحاول جاهداً أن أضع بين يدي القارىء تاريخاً إسلامياً منذ عهد الرسول ﷺ وحتى انتهاء فترة الخلافة الإسلامية، تبنى فقراته على أساس السنين، جاهداً في إثبات الروايات القوية الراجحة عند المؤرخين، ومختصراً لتفصيلات «الحدث» التي تملأ أمهات كتب التاريخ.

ولا يسعني بعد هـــذا إلا أن أطلب من الله الرضى عن هذا العمل، وبعده القبول من القارىء، راجياً أن أكون وفقت لكتابة تاريخ أمتنا الإسلامية بتجرد تام. والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصر.

زهير شفيق الكبي

---

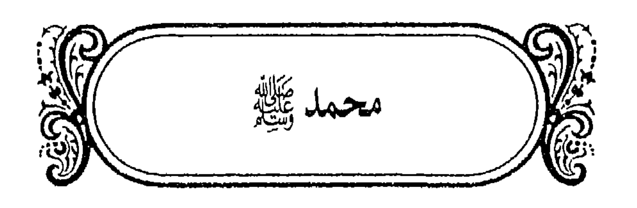
(١) انظر مقدمة ابن خلدون.



الفصل الأول

سيـــرة النـــبي ﷺ


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



نسبه الشريف وولادته:

هو محمد (ﷺ) ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ويصل نسبه الشريف إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً[1].

وولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول في العام الذي سمي بعام الفيل[2].

وكان أبوه قد مات وأمه حامل به، فلما وضعته أرسلت إلى جده تخبره بولادته، فأخذه جده ودخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه.

رضاعته:

أول من أرضعه ثويبة عتيقة عمه أبي لهب، وكانت أرضعت عمه حمزة. ثم استأجر له جده حليمة السعدية (من بني سعد) مرضعاً من البادية، جرياً على عادة

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٣.

(٢) يقابله بالسنة الميلادية ٥٧٠ م وقيل ٥٧١ م، حيث ذكر المرحوم محمود باشا الفلكي أن ولادة الرسول ﷺ كانت في صبيحة يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ نيسان (أبريل) سنة ٥٧١ م (عن هامش تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ١/ ٧٥، والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص ٩٩). وفي إحدى الروايات في تاريخ الإسلام للذهبي أن ولادته ﷺ كانت في العشرين من نيسان (جزء السيرة النبوية ص ٢٧).

الأشراف من قريش، فنشأ عليه الصلاة والسلام طفولته في البادية. وعرفت حليمة أثناء رضاعته الخير والبركة والزيادة في اللبن.

شق بطنه

وفي السنة الرابعة من مولده جاءه ملكان، فشقا بطنه واستخرجا من قلبه علقة سوداء، ثم غسلا قلبه وبطنه، وكان ذلك حينما كان في بني سعد، حيث كان يرعى الغنم مع أخوته من الرضاعة. وفي البادية استفاد اللغة من أصولها وأهلها، حيث كان يقول لأصحابه فيما بعد: «أنا أعربكم، أنا قرشي، واسترضعت في بني سعد بن بكر».

وفاة أمه وجده وكفالة عمه

وحينما بلغ السادسة من عمره، أخذته أمه إلى يثرب (المدينة المنورة) لزيارة أخواله وقبر عبد الله والده، وعند عودتها إلى مكة أدركها الموت بين مكة والمدينة. فكفله جده عبد المطلب وكان محباً له إلى أن بلغ الثامنة من عمره فمات جده، فذاق مرارة اليتم مرة ثانية. وكان عهد به جده قبل وفاته إلى عمه أبي طالب، فقام أبو طالب بأمره وكان رفيقاً به.

وذات يوم خرج أبو طالب يريد الشام فأخذ معه محمداً وله من العمر تسع سنين. ونزل الركب بصرى[(١)]، وكان فيها راهب ذا علم بالنصرانية يقال له بحيرا، فصنع الطعام للركب، ولم يكن هذا من شأنه، وجعل يلحظ محمداً وينظر إلى جسده، ولما انتهى الركب من طعامه، سأل بحيرا النبي ﷺ عن أشياء من حاله في يقظته ونومه، فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته، فنبه أبا طالب على مكانته، وعلو شأنه، وطلب منه أن يرجع به إلى بلده ويَحْذَر عليه اليهود، فإنه كائن له شأن عظيم، فرجع به عمه إلى مكة[(٢)].

---

(١) بلدة في بلاد الشام من أعمال دمشق.

(٢) انظر القصة مطولة في سيرة ابن هشام ١/ ١٨٤ ـ ١٨٨، وهي في الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣ ـ ٢٤، وتاريخ الطبري م ١ ج٢/ ١٩٥، وانظر في صحة القصة وعدم صحتها كتاب زاد المعاد لابن القيم ١/ ١٨ وتاريخ الإسلام الذهبي جزء السيرة ص ٥٧.

زواجه من خديجة رضي الله عنها

وشب رسول الله ﷺ بعيداً عن عادات العرب وأخلاقهم السيئة، ولما بلغ أربع أو خمس عشرة سنة[١]، هاجت حرب الفِجار، فساعد أعمامه في هذه الحرب برد نبل العدو عنهم، فكان أول تعرفه على الحرب.

ثم أن خديجة بنت خويلد استأجرته في تجارة لها إلى الشام، بعد أن عرفت صدق حديثه وأمانته، فخرج في مالها مع عبد لها يسمى «ميسرة». فربح، ثم عرضت عليه زواجها، فتزوجها وعمره خمساً وعشرين سنة، وكان عمرها أربعين سنة. وكانت أول نساء النبي ﷺ ورضي الله عنها، وولدت له ولده كلهم إلا إبراهيم، وهم: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم، وبه يكنى عليه الصلاة والسلام، وعبد الله والطاهر والطيب. فأما القاسم والطاهر والطيب فماتوا صغاراً رضعاً قبل البعثة، وأما عبد الله فمات بعدها. وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن[٢].

بنيان الكعبة

في سنة خمس وثلاثين من مولده ﷺ هدمت قريش الكعبة، وأعادت بناءها، ولما وصلوا إلى الركن[٣] أرادت كل قبيلة رفع الحجر الأسود إلى موضعه، فاختصموا وتواعدوا للقتال، ثم مكثوا أربع ليال، ثم تشاوروا واتفقوا أن يكون أول داخل من باب المسجد قاضٍ بينهم، فكان أول من دخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا به، وأخبروه الخبر، فقال: هلم إليَّ ثوباً، فأخذ الحجر فوضعه فيه، ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده، ثم بنى عليه[٤].

---

(١) وفي تاريخ الإسلام للذهبي: «عشرين سنة» جزء السيرة ص ٦١.

(٢) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ٢٥.

(٣) الركن: الحجر الأسود.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ١/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء السيرة ص ٦٦، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٧.

مبعثه ﷺ

أتم رسول الله ﷺ الأربعين من عمره، وكان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه، فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً، وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بذلك. وكان يرى الرؤيا الصادقة التي كانت تجيىء مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، فكان يذهب إلى غار حراء فيتعبد هنالك الليالي، ثم يرجع إلى أهله فيتزود ثم يعود للعبادة.

وفجأة جاءه جبريل وهو في غار حراء في شهر رمضان فقال: اقرأ. قال: ما اقرأ؟ فضمه جبريل ضمة حتى ظن أنه الموت، ثم قال اقرأ، قال: ماذا أقرأ؟ ثم ضمه ضمة أخرى، فعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[1] فقرأها.

ثم عاد رسول الله ﷺ إلى خديجة وهو يرتجف فقال: زملوني زملوني[2]، فزملوه، وروى لخديجة رضي الله عنها الخبر، فقالت: «والله لا يخزيك الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ[3]، وتعين على نوائب الحق»[4]. ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان تنصر في الجاهلية وسمع التوراة والإنجيل. فأخبرته الخبر، فقال: «قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة»[5] وقال للنبي ﷺ: «يا ليتني فيها جذعاً[6] حين يخرجك قومك، قال أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذي، وإن يدركني يومك، أنصرك نصراً مؤزراً»[7] ثم لم يمر وقتاً طويلاً إلا توفي ورقة.

فآمنت به خديجة رضي الله عنها، ثم أسلم علي بن أبي طالب ابن عمه وهو

---

(١) سورة العلق الآيات ١ ـ ٥.
(٢) أي غطوني.
(٣) الكَل: الضعيف.
(٤) تاريخ الإسلام للذهبي جزء السيرة ص ١١٨.
(٥) سيرة ابن هشام ١/٢٤٢.
(٦) جذعاً: شاباً.
(٧) تاريخ الإسلام للذهبي جزء السيرة ص ١١٨.

ابن عشر سنين، ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، وكانت له منزلة في قريش. فدعى أشراف قريش إلى الإسلام وكانت الدعوة سرية، فأسلم منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا[1].

وتلا هؤلاء في الإسلام أبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن أبي الأرقم، الذي اتخذت داره مركزاً للدعوة سراً ودخل في الإسلام كثير من الموالي والفقراء.

الدعوة جهراً

وبعد أن فشا الإسلام بين الرجال والنساء بمكة حتى تحدث به الناس، وبعد مرور ثلاث سنوات من الدعوة السرية، أمر الله رسوله أن يجهر بدعوته فقال تعالى: ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾[2] وقال: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾[3] صعد رسول الله ﷺ على الصفا، ونادى قريشاً، فلبى كثير منهم النداء، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني؟»، قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم... قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد (فعدد أفخاذ قريش وقال) إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله» فقال أبو لهب: تباً ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾ السورة كلها[4].

وهنا أظهرت قريش العداوة للنبي ﷺ، وحاولوا بشتى الطرق إثناؤه عن الدعوة لعبادة الله الأحد، فعذبوا أصحابه، وأذاقوهم أنواع الأذى والتنكيل، وكانوا يؤذونه ويغرون به سفهاءهم، فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٢٤٦ ـ ٢٥٥.

(٢) سورة الحجر آية ٩٤.

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٤) الطبقات الكبرى ١/١٥٦ ـ ١٥٧.

والجنون، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به، وحاولوا مع عمه أبي طالب أن يخلي بينهم وبين النبي ﷺ فلم يفلحوا. ومضى الكفار في التفنن في إيذاء النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حتى أعز الله الدين بإسلام عم النبي حمزة ابن عبد المطلب ثم بعد الهجرة إلى الحبشة بإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكانا من أشداء القوم.

الهجرة إلى الحبشة

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من الأذى، ولم يكن لهم حولاً ولا قوةً في دفع هذا البلاء، قال لهم رسول الله ﷺ: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»، فهاجر ناس مع أهلهم، ومنهم من هاجر بنفسه، فخرجوا متسللين سراً وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وكان ذلك في السنة الخامسة من مبعثه ﷺ. وخرجت قريش في أثرهم فلم يدركوا منهم أحداً، قال المهاجرون: وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار أمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه[(١)].

وتتابعت هجرة المسلمين إلى الحبشة حتى بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً فيهم جعفر بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون.

ثم أرسلت قريش إلى الحبشة رسولين في طلب المهاجرين لكن نجاشي الحبشة رفض تسليم المسلمين، وعرض جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي وضع العرب قبل الإسلام، ووضعهم بعد الإسلام وأثر هذا الدين الجديد فيهم، وتلى عليه شيئاً من سورة مريم، وكان النجاشي نصرانياً، فبكى حتى ابتلت لحيته، ثم قال لهم: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا - أي لرسولي قريش - فلا والله لا أسلمهم إليكما»[(٢)].

قصة الصحيفة

ثم اجتمعت قريش في سنة سبع للبعثة[(٣)] فكتبوا بينهم صحيفة تعاهدوا فيها

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ١٥٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٣٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٩.

(٣) الطبقات الكبرى ١/ ١٦٣.

على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب فلا يناكحوهم ولا يبيعوهم أو يبتاعوا منهم، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، ودام هذا الحصار ثلاث سنوات، لا يصل شيئاً إليهم إلا سراً، حتى قام نفر من قريش من أهل المروءة وفي مقدمتهم هشام بن عمرو بن ربيعة فنقضوا الصحيفة وأرادوا تمزيقها فوجدوا أن الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم» فمزقت الصحيفة.

خروج النبي ﷺ إلى الطائف

وفي السنة العاشرة من البعثة توفي أبو طالب وخديجة في عام واحد، ونال رسول الله ﷺ من أذى قريش ما لم ينل من قبل، فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، فأقام فيها عشرة أيام يدعو الناس، فلم يجيبوه، واستهزأوا به وخافوا على أولادهم فأخرجوه ﷺ من الطائف، ودفعوا سفهاءهم لأذيته، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجلي رسول الله ﷺ، فجعل يدعو الله ويشكو ضعف قوته وهوانه على الناس، وطلب النصر من الله تعالى، وقفل راجعاً إلى مكة. وطلب جوار[1] مطعم بن عدي، فأجاره وحماه هو وولده حتى صلى بالكعبة.

الإسراء والمعراج

وقبل الهجرة بسنة أسري برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وأعرج به إلى السماء، والتقى فيها ببعض الأنبياء حتى وصل إلى السماء السابعة، قال تعالى: **﴿ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** وحينها فرضت الصلوات الخمس.

فلما أصبح جمع الناس وأخبرهم الخبر، فأنكروه وكذبوه، واستهزأوا بما قال، وصدّقه صاحبه أبو بكر فسمي الصديق.

بدء إسلام الأنصار

ولم يفتر رسول الله ﷺ عن الدعوة لدين الله، ففي موسم الحج كان يستقبل الوفود والقبائل لدعوتهم إلى الدين الإسلامي قائلاً: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا

---

(١) أي حماية.

الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة» وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابيء كاذب، فلا تستجيب له القبائل ويؤذى ويشتم، حتى أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه وإنجاز ما وعده، فساقه إلى رهط من الخزرج، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله فآمنوا وصدقوا[1]، وتذكروا تهديد اليهود لهم ببعث نبي قد قرب موعده، وعرفوا انه الحق، وكان عددهم ستة. فقدموا على أهلهم في يثرب يدعون إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ[2] فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه ﷺ بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على التوحيد والتعفف من السرقة ومن قتل الأولاد، والطاعة في المعروف، وبعث معهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين.

وفي موسم العام القابل خرج عدد من المسلمين من الأنصار مع حجاج قومهم من أهل الشرك، ولقوا النبي ﷺ بالعقبة وهي العقبة الثانية، وكان عددهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وطلب رسول الله ﷺ المنعة والنصر، فبايعوه على ذلك، واختاروا منهم اثني عشر نقيباً.

الهجرة إلى المدينة

لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار، أمر أصحابه بالهجرة إلى يثرب (المدينة) واللحوق بإخوانهم من الأنصار، ولم تكن هجرتهم سهلة، فقد وضعت قريش في وجه المهاجرين العراقيل لتمنعهم من مبتغاهم. ثم أذن رب العزة لرسوله بالهجرة، فجهز أبو بكر رضي الله عنه لتلك الرحلة الشاقة راحلتين، واستأجر عبد الله بن أريقط دليلاً للطريق.

وكان المشركون قد اتفقوا على قتل النبي ﷺ في تلك الليلة، فاجتمعوا على بابه، فأخذ النبي ﷺ حفنة من تراب فنثرها على رؤوسهم وهو يتلو قوله تعالى

---

(١) انظر الطبقات الكبرى ١/١٦٨، وسيرة ابن هشام ٢/ ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦.

﴿يس والقرآن الحكيم﴾ إلى قوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾[1] فخرج ولم يره أحد منهم.

وفي بيته، وفي فراشه ﷺ، نام علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكانه متسجياً ببردته، بعدما أعطاه رسول الله ﷺ الأمانات والودائع التي ائتمنه عليها الناس ليردها إلى أصحابها، فلما أصبحوا عرفوا أن علياً نام مكانه فخاب مكرهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين﴾[2][3].

ونزل رسول الله ﷺ وصاحبه بغار ثور ثلاثاً، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما مساء، وجعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم، فلما مضت الثلاث، وسكن الناس عن طلبهما، انطلقا إلى يثرب.

استقباله في يثرب

علم الأنصار بخروجه ﷺ، فكانوا ينتظرونه خارج المدينة يومياً حتى تغلبهم الشمس. فلما وصل إلى يثرب تحلق المسلمون حوله، مستبشرين بقدومه وحلوله بينهم، ثم نزل على أبي أيوب الأنصاري وقام عنده سبعة أشهر[4] حتى بنى مسجده ومساكنه[5].

المؤاخاة وموادعة اليهود

لم يبق في مكة من المسلمين إلا من حبسه الكفار، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، فآخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحق والمؤاساة. وكتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم[6]، وبذلك

---

(١) سورة يس آية ٩.

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٣) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ٧٢ وسيرة ابن هشام ٢/ ١٠٧.

(٤) الطبقات الكبرى ١/ ١٨٣.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٣.

(٦) انظر العهد في سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٠.

يكون قد أوجد قانوناً يحكم جميع فئات مجتمع المدينة بين المهاجرين والأنصار واليهود.

وفي هذه الفترة شرع الله الأذان، وأسلم عبد الله بن سلام الذي كان على دين اليهود، وظهر في هذه الفترة النفاق بين الأنصار من أوس وخزرج وكان زعيمهم عبد الله بن أبي ابن سلول وإليه يجتمعون، وفي المنافقين أنزل الله أول سورة البقرة، ومنها قوله تعالى: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾**[١].

الشريعة في هذه الفترة

وفي هذه الفترة صرفت القبلة إلى الكعبة وذلك في شهر شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من هجرة الرسول ﷺ، وأمر في هذه السنة بزكاة الفطر، وصلى صلاة العيد يوم الفطر، وصلى العيد يوم الأضحى، وأمر بالأضحية[٢]. وفرض أيضاً في السنة الثانية صيام شهر رمضان[٣].

الإذن بالحرب

بعد أن استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، ونظم المجتمع حتى صار كل فرد يعرف حقه وحقوق الآخرين عليه، أذن الله للمسلمين بالقتال فقال تعالى: **﴿أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾**[٤] وأول عمل حربي كان سرية عبد الله بن جحش، وكانت بمثابة مناوشة مع عير لقريش، وكان ذلك في رجب في السنة الثانية للهجرة، وكان قبلها غزوة ودان أو الأبواء لكن لم يحصل فيها شيء من الأعمال الحربية.

حروب النبي ﷺ

سنلخص هنا الحروب والوقائع المهمة التي حصلت في زمن رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة البقرة الآيات ٨ ـ ١٠.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٩١.

(٣) انظر البداية والنهاية ٣/ ٢٥٤.

(٤) سورة الحج آية ٣٩.

معركة بدر[1] :

سمع رسول الله ﷺ أن أبا سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في تجارة لقريش عظيمة، فانتدب أصحابه للإستيلاء على تلك الأموال، فخرج مسرعاً في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم فَرَسَان وسبعون بعيراً. وكان قد علمت قريش بخروج المسلمين فتحولت التجارة إلى طريق البحر، وخرج الكفار من مكة لملاقاة المسلمين وعددهم ما بين التسعمائة والألف مقاتل. ونزل الفريقان في بدر وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة.

التقى الجمعان ورسول الله ﷺ يدعو ربه، وبدأ القتال بخروج ثلاثة من المسلمين لقتال ثلاثة من الكفار مبارزة، فتغلب المسلمون الثلاثة على الكفار، ودارت رحى الحرب، ونزلت الملائكة لمساندة المؤمنين، قال تعالى: **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾**[2]، وانتهت المعركة وقتل من صناديد قريش وأشرافهم بضع وسبعون رجلاً، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، [3] وأسر المسلمون من الكفار سبعون أسيراً منهم عم النبي العباس رضي الله عنه، وكان فكاك أسر من لا مال له تعليم عشرة من المسلمين.

غزوة بني قينقاع

ونقضت يهود بني قينقاع العهد وتعدوا على امرأة من المسلمين، فحاصرهم الرسول ﷺ خمسة عشر يوماً على رأس عشرين شهراً من الهجرة[4]، وتحصن اليهود في حصونهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ بأن أجلاهم عن المدينة وخلّى سبيلهم، وصارت أموالهم وسلاحهم للمسلمين.

---

(١) معلومات المعركة ملخصة من: كتاب المغازي ١/١٩ ـ ١٥٢، وسيرة ابن هشام ٢/٣٨٣ ـ ٣٤٧، والكامل في التاريخ ٢/٨٠ ـ ٩١، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ٥٠ ـ ٨٣، البداية والنهاية ٣/٢٥٦ ـ ٣٢٨، وتاريخ ابن خلدون ٢/٢١ ـ ٢٢. وبدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة هو إلى المدينة أقرب.

(٢) سورة الأنفال آية ١٢.

(٣) انظر تاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٦٥، والطبقات الكبرى ٢/١٢ ـ ١٣.

(٤) انظر كتاب المغازي ١/١٧٦.

غزوة أحد[1]

جهزت قريش جيشاً للثأر من المسلمين على ما أصابهم يوم بدر وذلك من مال التجارة التي كانت مع أبي سفيان ذلك اليوم، وخرج رسول الله ﷺ في سبعمائة رجل[2] إلى أحد بعد ما كان رأيه أن يقاتلهم في المدينة، وذلك على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وكانت قريش ثلاثة آلاف رجل معهم مائتا فرس[3].

نزل رسول الله على سفح جبل أحد جاعلاً ظهره للجبل، ووضع خمسين رام على جبل لحماية ظهور المسلمين ولإرجاع الخيل بسهامهم، وطلب منهم المكوث إلى أن يأمرهم بالنزول.

ودارت رحى الحرب الطاحنة، وقُتل حمزة رضي الله عنه عم النبي ﷺ بعدما أبلى بلاء حسناً، وظهرت الغلبة للمسلمين، وولى الكفار هاربين، ونزل الرماة عن جبلهم لجمع الغنائم، فالْتفَّت خيالة قريش خلف جيش المسلمين، وصرخ صارخ: ألا أن محمداً قد قتل، وتراجع المسلمون وكرَّ المشركون، حتى أصيب رسول الله ﷺ وشج رأسه وجرحت شفته. ثم علم المسلمون بنجاة رسول الله ﷺ، فصدوا عن الرسول وعن أنفسهم بعدما استشهد أربعة وسبعون رجلاً[4]، وكان عدد قتلى المشركين تسعة عشر رجلاً[5].

إجلاء بني النضير

خرج رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه إلى بني النضير يستعينهم في دية رجلين، فتآمروا عليه يريدون قتله، فجاءه خبر السماء بمكيدتهم فرجع إلى المدينة وأمر المسلمين بحربهم، فحاصرهم وهم في حصونهم فقطع نخلهم وأحرقها، فأرسل المنافقون إلى اليهود ليثبتوهم على موقفهم. ثم قذف الله في قلوبهم

---

(١) أحد: جبل بينه وبين المدينة قرابة ميل في شمالها، (معجم البلدان ١/ ١٠٩).

(٢) انظر تاريخ الإسلام جزء المغازي ص ١٦٥.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٦.

(٤) المغازي للواقدي ١/ ٣٠٠.

(٥) تاريخ الإسلام جزء المغازي ص ٢٠٠.

الرعب، فسألوا النبي ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال والسلاح، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام[١] قيل كان ذلك على رأس ستة أشهر من غزوة أحد[٢].

غزوة الخندق

وكانت في شوال سنة أربع[٣] وقيل سنة خمس[٤]. وكان سببها تآمر اليهود مع كفار قريش، حيث جمعوا للمسلمين القبائل وكان عدد جيشهم عشرة آلاف مقاتل[٥]. فأشار سلمان الفارسي بحفر خندق لحماية المسلمين من عدوهم، وكان عدد مقاتلي المسلمين ثلاثة آلاف[٦]. وعظم البلاء واشتد خوف المسلمين وخيف على الذراري والنساء، قال تعالى: ﴿**إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتُلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً**﴾[٧] وكانت تحصل بعض المناوشات كرمي النبال. وعَبَرَ نفر من مضيق في الخندق فَقَتَلَ علي رضي الله عنه منهم رجلاً وفر الباقون، حتى أراد الله نصر المسلمين بعد شهر من الحصار بوجهين، الأول بخدعة نعيم بن مسعود الغطفاني الذي أوقع الشك في نفوس الكفار واليهود حتى باتوا لا يثقون ببعضهم بعضاً وتفرقت كلمتهم. والوجه الثاني ريح أرسلها الله تعالى في ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت تقلب قدورهم وتطرح خيامهم، فعادت الأحزاب على أعقابهم خائبين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيراً**﴾[٨] وقال: ﴿**ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله**

---

(١) ملخصاً عن الكامل في التاريخ ٢/١١٩.

(٢) تاريخ الإسلام جزء المغازي ص ١٤٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢٥١.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/٢٥٣، وانظر الطبقات الكبرى ٢/ ٥٠، والمغازي ٢/٤٤١.

(٥) المغازي ٢/ ٤٤٤، والطبقات الكبرى ٢/ ٥١.

(٦) الطبقات الكبرى ١/٥١.

(٧) سورة الأحزاب آية ١٠ ـ ١١.

(٨) سورة الأحزاب آية ٩.

المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾[1].

واستشهد في يوم الخندق خمسة من المسلمين وقيل ستة، وقتل رجل من المشركين وقيل ثلاثة[2].

غزوة بني قريظة

وحصلت مباشرة بعد الخندق، وسببها نقض يهود بني قريظة العهد مع المسلمين حيث أعانوا الأحزاب في غزوة الخندق، فجاء جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ قائلاً: «إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم[3] فحاصرهم رسول الله ﷺ خمسة عشر يوماً في ثلاثة آلاف من المسلمين، ورُموا بالنبل، حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكّم فيهم سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن يقتل كل من جرت عليه المواسي، وتسبى النساء والذرية، وتقسم الأموال»، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[4]، فقتل منهم يومئذ ما بين ستمائة إلى سبعمائة وفيهم أنزل تعالى قوله: **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً﴾**[5].

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

ذهب عمرو بن العاص إلى الحبشة، وطالب النجاشي أن يسلمه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه، فضربه النجاشي على أنفه قائلاً: «أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله، فقال عمرو: أيها الملك أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده»[6] فأسلم عمرو وكتم إسلامه عن أصحابه.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٥.

(٢) انظر تاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٣٠٥. وسيرة ابن هشام ٣/ ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ٥٧.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٥٨.

(٥) سورة الأحزاب آية ٢٦.

(٦) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٥٣.

ثم خرج عمرو إلى رسول الله ﷺ، فلقي خالد بن الوليد وذلك قبيل فتح مكة، وسارا إلى النبي ﷺ فأسلما وبايعا.

غزوة بني المصطلق

وكانت في شعبان سنة ست للهجرة، حيث بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويريه بنت الحارث، زوج النبي ﷺ، فخرج لهم رسول الله ﷺ حتى لقيهم بالمريسيع، فاقتتلوا وهزم الله بني المصطلق(1)، وأصاب رسول الله ﷺ سبايا كثيرة فقسمها في المسلمين. وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد(2).

الحديبية

في شهر ذي القعدة من السنة السادسة، خرج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة يريد العمرة لا القتال، وساق معه الهدي(3)، وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام. ونزل المسلمون بالحديبية، وهي على طرف الحرم على تسعة أميال من مكة(4). وبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه يخبرهم أنه أراد زيارة البيت معظمين لحرمته، لكنهم أصروا على صده، وجعلت الرسل تختلف بين رسول الله ﷺ وبين قريش حتى أجمعوا على الصلح والموادعة، «فاصطلحا على وضع الحرب عشر سنين، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ويدخل علينا قابلاً في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً ...(5)». ثم نحر رسول

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٦٩.

(٢) البداية والنهاية٤/ ١٥٦.

(٣) انظر البداية والنهاية ٤/ ١٦٤ ـ ١٦٥، والطبقات الكبرى ٢/ ٧٣، والكامل في التاريخ ٢/ ١٣٥، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٣٦٥.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/ ٧٣.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٧٤.

الله ﷺ هديه ونحر أصحابه، ثم انصرف إلى المدينة.

دعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام

وفي آخر السنة السادسة بعث رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء رسلاً يدعوهم للإسلام، فأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وأرسل دحية الكلبي إلى قيصر الروم، وبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى فارس، وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخي عبد القيس والي البحرين. فأما المقوقس فإنه قبل كتاب النبي ﷺ وأهدى إليه أربع جوار، منهن مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ. وأما قيصر وهو هرقل فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ وقال لدحية: إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، ولكني أخاف الروم على نفسي. وأما الحارث فرفض الكتاب. وأما النجاشي فآمن وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب. وأما كسرى فمزق الكتاب، فقال رسول الله ﷺ: «مزق الله ملكه». وأما المنذر بن ساوى فأسلم وأسلم جميع العرب بالبحرين. وقيل كان إرسال الرسل في السنة الثامنة[1].

غزوة خيبر

وحصلت في المحرم سنة سبع من الهجرة، حيث سار رسول الله ﷺ إلى خيبر وكانت بلدة يهودية وقاعدة حربية لهم في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فارس، فحاصر المسلمون حصونهم ونزلوا بساحتهم فلم يتحركوا تلك الليلة، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «الله أكبر خربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[2] وحاصرهم حتى فتح حصونهم حصناً حصناً، وسبى الذراري وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها[3].

وأهدت امرأة النبي ﷺ شاة مسمومة، فمضغ منها رسول الله ﷺ مضغة فلم

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ١٤٣ ـ ١٤٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ٨١.

(٣) انظر البداية والنهاية ٤/ ١٨٤.

يسغها، فدعا المرأة فاعترفت، ومات من السم بشر بن البراء[1].

عمرة القضاء

لما عاد رسول الله ﷺ من خيبر أقام بالمدينة جمادين ورجب وشعبان ورمضان وشوالاً يبعث السرايا، ثم خرج في ذي الحجة معتمراً عمرة القضاء، وساق معه سبعين بدنة، وخرج معه من المسلمين من كان معه في عمرته الأولى. فلما وصل إلى مكة، خرج أهلها وتركوها للمسلمين ثلاثة أيام. وتزوج النبي ﷺ في سفره هذا بميمونة بنت الحارث، ثم انصرف إلى المدينة.

غزوة مؤتة

في سنة ثمان جهز رسول الله ﷺ ثلاثة آلاف من المقاتلين وأمّر عليهم زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، وأرسلهم لغزو الروم. فساروا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغهم أن هرقل خرج بمائتي ألف من المقاتلين، فتهيبوا ذلك أولاً ثم ساروا إليهم إلى مؤتة، فتطاحن الفريقان، واستشهد زيد فأخذ الراية جعفر ثم استشهد، فأخذ الراية عبد الله ثم استشهد، فاصطلحوا على خالد بن الوليد فأخذ الراية ودافع القوم، ثم عاد بالناس إلى المدينة[1].

فتح مكة

وكان من سببها أن بني بكر كانوا في عقد قريش وعهدهم، وخزاعة في عقد المسلمين وعهدهم، وكان بينهما عداء قديم، فقتل بنو بكر رجالاً من خزاعة واشتعلت بينهما الحرب، وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بسلاح ودواب وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين، فكان ذلك نقضاً للعهد الذي بين محمد رسول الله ﷺ وبين قريش. وقدم أبو سفيان إلى المدينة ليجدد العهد مع المسلمين، فأبى عليه النبي ﷺ، ثم تجهز المسلمون وكان ذلك في رمضان سنة ثمان للهجرة،

---

(١) الكامل في التاريخ.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ ٢/ ١٥٨، والطبقات الكبرى ٢/ ٩٧، والمغازي ٢/ ٧٥٥، وسيرة ابن هشام ٣/ ٥٠، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٤٧٩.

ودعى رسول الله ﷺ قائلا: «اللهم خذ على أبصارهم فلا يروني إلا بغتة»[١] وكان عدد المسلمين عشرة آلاف وقيل اثني عشر ألفاً[٢].

ولما وصل النبي ﷺ إلى جبال مكة، أشعل المسلمون النار. وهابت قريش المنظر، وأتى أبو سفيان النبي ﷺ مع عمه العباس الذي كان قد أسلم، فأسلم أبو سفيان، ثم قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»[٣]. ثم دخل رسول الله ﷺ مع المسلمين مكة، فلما اطمأن طاف بالبيت سبعاً على راحلته، ثم قام على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قَدَمَي هاتين، إلا سدانة البيت، وسقاية الحجاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه دية مغلظة: مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظيمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[٤] ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٥] وهدمت الأصنام حتى ما بقي منها صنم واحد. ولم يجر قتال أثناء فتح مكة، إلا ما حصل من الجهة التي دخل منها خالد بن الوليد.

غزوة حنين[٦]

وتسمى غزوة هوازن ووقعت في شوال سنة ثمان للهجرة، وسببها اتفاق قبيلتي هوازن وثقيف على المسلمين بعد فتح مكة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١٠٢.

(٢) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ١٦٥، وتاريخ الإسلام جزء المغازي ص ٥٢٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٧.

(٤) سورة الحجرات آية ١٣.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤١.

(٦) حنين: واد بينه وبين مكة ثلاث ليال (الطبقات الكبرى ٢/ ١١٤).

اثني عشر ألفاً من المسلمين، وساق الكفار معهم أموالهم ونساءهم وأولادهم، فالتقى الجيشان بحنين، وبدأت المعركة فانكشف المسلمون وثبت رسول الله ﷺ في بضع من أصحابه وأمر العباس بأن ينادي: «يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة» فأقبلوا ملبين، فحملوا على المشركين فقال رسول الله ﷺ: «الآن حمي الوطيس! أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»[1]، وتناول رسول الله ﷺ حصيات وقال: «شاهت الوجوه» ورمى بها وجوه المشركين، فقذف الله في قلوبهم الرعب، فانهزموا لا يلوي أحد منهم على أحد، وتبعهم المسلمون يقتلونهم، فقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً[2]، واستشهد من المسلمين أربعة رجال[3].

وحنين هي آخر غزوات العرب، وبعدها عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة.

غزوة تبوك

وفي رجب من السنة التاسعة، تهيأ المسلمون لغزو الروم، وسبب ذلك أن الروم جمعوا الجموع لغزو المسلمين، وكان ذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة الحر، وجدب البلاد[4]. فسار رسول الله ﷺ في ثلاثين ألفاً من الناس[5]، وتخلف عنه المنافقون، وهنا أرسل النبي ﷺ أربعمائة وعشرين مقاتلاً عليهم خالد بن الوليد إلى أكيدر ملك كندة وكان نصرانياً، فأسر أكيدر وفتح دومة الجندل، وكتب رسول الله ﷺ إلى أكيدر كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه، وعاد رسول الله ﷺ من تبوك لم يلق حرباً إلى المدينة في شهر رمضان من السنة التاسعة وقال: «الحمد لله على ما رزقنا في سفرنا هذا من أجر وحسبة»[6].

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١١٥.

(٢) انظر الكامل في التاريخ ١/ ١٧٩.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ١١٥.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ١٩٦.

(٥) انظر الطبقات الكبرى ٢/ ١٢٥، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٣٦١.

(٦) الطبقات الكبرى ٢/ ١٢٥.

وفود العرب

وفي آخر السنة التاسعة بدأت وفود العرب تزحف لمبايعة رسول الله ﷺ والدخول في الإسلام، بعد أن عرفوا فضل هذا الدين. من هذه الوفود: وفد بني تميم، وفد بني عامر، وافد بني سعد بن بكر[1]، وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب الذي أسلم ثم ارتد، وفد بني طيىء، وفد بني زبيد، وفد كندة، وفد الأزد، وفد بني أسد، وفد بلى وغيرهم وسميت السنة التاسعة بعام الوفود.

وفي أوائل السنة العاشرة أرسل رسول الله ﷺ رسله إلى الأمصار للدعوة ولجمع الزكاة، من ذلك أنه أرسل خالداً إلى اليمن للدعوة، ثم أرسل معاذاً إلى اليمن لجمع الزكاة[2].

حجة الوداع

في السنة التاسعة للهجرة أمَّر رسول الله ﷺ على الحج أبا بكر الصديق في ثلاثمائة رجل من المدينة.

وفي ذي القعدة من السنة العاشرة خرج رسول الله ﷺ بالناس يريد الحج، فحج بالناس وأراهم مناسكهم، وعلمهم سنن حجهم، وخطب خطبته المشهورة[3].

سرية أسامة ووفاة النبي ﷺ

وفي آخر صفر من سنة إحدى عشرة من الهجرة أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وعقد اللواء بنفسه لاسامة بن زيد بن حارثة وكان صغيراً، وتهيأ الناس وكبار الصحابة، ويوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول جاء المسلمون لوداع الرسول ﷺ، وثَقُلَ رسول الله ﷺ وهو يقول: «انفذوا بعث اسامة» فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه، وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الأول دخل

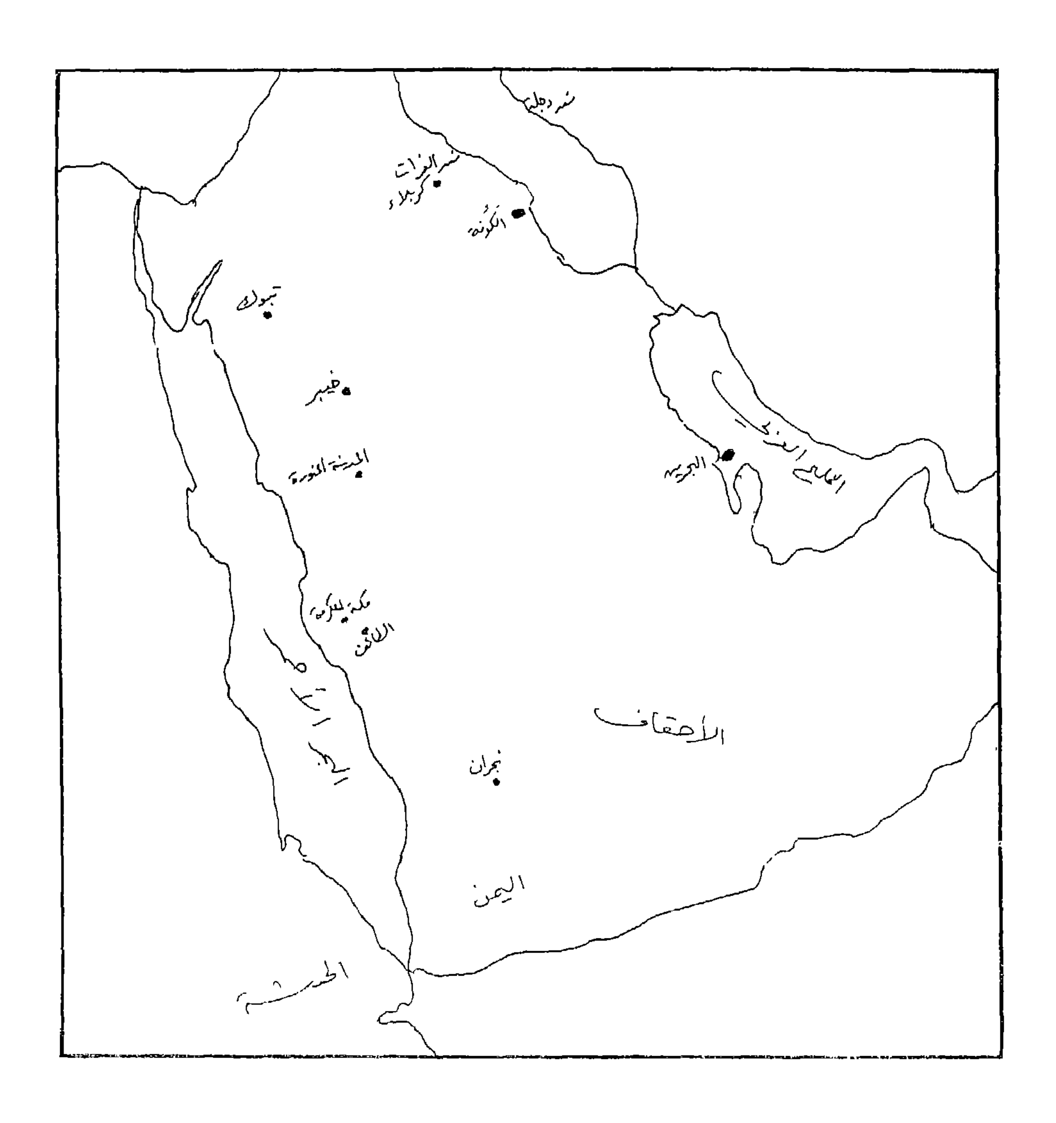
---

(١) ضمام بن ثعلبة، تاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٦٨٠.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الكامل ٢/ ٢٠٥، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٧.

(٣) انظر الخطبة في سيرة ابن هشام ٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦. وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٧٠٩. وتاريخ الطبري ٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩.

أسامة على رسول الله ﷺ يودعه، فدعا له رسول الله ﷺ قائلاً: «أغد على بركة الله» وأمر الناس بالرحيل، فبينما هم يتحضرون للرحيل إذا برسول يقول: «إن رسول الله يموت. فتوفي رسول الله ﷺ حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول[1].



---

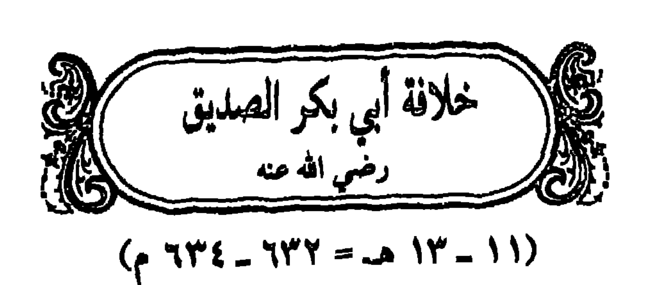
(١) ملخصاً عن الطبقات الكبرى ٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦.



الفصل الثاني

الخـــلفاء الراشـــدون





(١١ ـ ١٣ هـ = ٦٣٢ ـ ٦٣٤ م)

نسبه وحياته

هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التميمي أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ابنة عم أبيه[١]، يلتقي نسبه مع نسب الرسول ﷺ في مرة بن كعب.

ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وهو أول من أسلم من الرجال، وسمي بالصديق لتصديق رسول الله ﷺ وخاصة صبيحة الإسراء والمعراج. «كان من سراة مكة في الجاهلية، عالماً بأنساب العرب وأخبارهم. وكان بزازاً يتاجر في الثياب... وسرعان ما ترك التجارة بعد إسلامه ليتفرغ إلى الدعوة الإسلامية مع رسول الله ﷺ فأسلم بدعوته كثير من العرب الذين اعتز بهم الإسلام»[٢]. وكان ملازماً للرسول ﷺ وصاحبه في الجاهلية والإسلام، وصاحبه في الهجرة، قال فيه رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً»[٣].

البيعة بالخلافة

توفي رسول الله ﷺ ولم يوصِ بالخلافة لأحد، إلا أنه عهد بالصلاة في

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٣٤١.

(٢) تاريخ الإسلام، د. حسن إبراهيم حسن، ١/ ٢٠٣.

(٣) أخرج الحديث البخاري في كتاب الصلاة باب ٨٠. وكتاب مناقب الأنصار باب ٤٥، ومسلم في كتاب المساجد حديث رقم ٢٨، وكتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢ ـ ٧، وأخرجه أيضاً الترمذي وابن ماجة والدارمي وأحمد.

الناس لأبي بكر، فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، واتفقوا جميعاً على مبايعة أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً، فبايعوه وبايعه الناس في المسجد وبايعه علي رضي الله عنه، وقيل تأخر عن مبايعته إلى وفاة فاطمة رضي الله عنها[1].

ثم قام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً فقال: «أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»[2] ثم أمر بتجهيز النبي ﷺ ودفنه، وكان ذلك في يوم الثلاثاء.

أزواجه وأولاده

تزوج في الجاهلية **قتيلة بنت عبد العزى** بن عامر، فولدت له عبدالله وأسماء. وتزوج أيضاً في الجاهلية **أم رومان** واسمها دعد بنت عامر الكنانية فولدت له عبد الرحمن وعائشة. وتزوج في الإسلام **أسماء بنت عميس**، وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب فولدت له محمد بن أبي بكر. وتزوج أيضاً في الإسلام حبيبة **بنت خارجة** بن زيد الأنصارية فولدت له بعد وفاته أم كلثوم[3].

أعماله في خلافته

جيش أسامة

أول أمر قام به أبو بكر رضي الله عنه انفاذ جيش أسامة بن زيد على أمر من رسول الله ﷺ، فسار وأوقع بقبائل من قضاعة التي ارتدت وغنم وعاد.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٠ ـ ٢١١، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٥٧.

(٣) الكامل ٢/ ٢٨٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حروب الردة

ارتدت طوائف كثيراً من العرب عن الإسلام حينما علموا بوفاة النبي ﷺ ومنعوا الزكاة، فنهض أبو بكر والمسلمون لقتالهم فجرت الوقعات التالية:

الأسود العنسي(١): أول ردة في الإسلام كانت على عهد رسول الله ﷺ، وكان مشعوذاً يريهم الأعاجيب ويسبي قلوب من يستمع منطقه، قتله فيروز الديلمي بالاتفاق مع زوجة العنسي المسلمة(٢).

طليحة الأسدي: ادعى النبوة في حياة النبي ﷺ، وكثر أتباعه بعد وفاة النبي ﷺ، سار إليه خالد بن الوليد في ثلاثة آلاف رجل فهزم جيش طليحة ثم أسلم وأهلّ بعمرة(٣).

مسيلمة الكذاب: ارتدت بنو حنيفة واتبعوا مسيلمة الكذاب، فسار إليهم خالد بن الوليد فالتقى بهم في عقرباء(٣) ومعه شرحبيل بن حسنة وعكرمة بن أبي جهل، فهزمهم وقتل منهم ناساً كثيرين، ورمى وحشي بن حرب حربته فأصابت مسيلمة، وسارع إليه أبو دجانة فقتله(٥).

سجاح بنت الحارث: ادعت النبوة، وعزمت على قتال أبي بكر رضي الله عنه، وتزوجت مسيلمة الكذاب، ثم انسحبت إلى أرض الجزيرة إلى أن اجلاها معاوية رضي الله عنه عام الجماعة(٦).

وبانسحاب سجاح، وهروب طليحة وقتل مسيلمة تكون قد خفتت أخطر دعوات الردة في الجزيرة العربية.

أهل البحرين: ارتد أهل البحرين، وملكوا عليهم المنذر بن النعمان بن

---

(١) اسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسي.

(٢) انظر تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص ١٨ ـ ١٩، والبداية والنهاية ٦/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩، والكامل ٣/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٣) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٩ ـ ٣٠، والكامل ٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٤) عقرباء: منزل من أرض اليمامة قريب من قرقرى (معجم البلدان ٤/ ١٣٥).

(٥) انظر البداية والنهاية ٦/ ٣٢٥.

(٦) المصدر السابق ٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٣.

المنذر، فبعث إليهم أبو بكر: العلاء بن الحضرمي فالتقى بجيش البحرين ليلاً وهم سكارى وعليهم ثمامة بن أثال، فقتلوهم قتلاً عظيماً[1].

أهل عُمان: في عمان ادعى النبوة لقيط بن مالك الأزدي، فأرسل إليه أبو بكر حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة ولحق بهما عكرمة بن أبي جهل، وكاد المسلمون أن ينهزموا حتى جاء المدد من بني ناجية وعبد القيس فقتلوا من المرتدين عشرة آلاف مقاتل وسبوا الذراري[2].

اليمن: ارتد من أهل اليمن قيس بن عبد يغوث بن مكشوح وتابعه عمرو بن معدي كرب، وحاولا قتل أمراء المسلمين الثلاثة في اليمن، فسار إليهم المهاجر بن أبي أمية ومعه عكرمة بن أبي جهل، فهزماهما، ثم أسلما وتابا.

الفتوحات الإسلامية
فتوحات العراق

وقعة ذات السلاسل

توجه خالد بن الوليد ومعه ثمانية عشر ألف مقاتل إلى العراق، فالتقى بجيش الفرس وعليهم هرمز بكاظمة، واقترن الفرس بالسلاسل لئلا يفروا، فقتل هرمز وانهزم أهل فارس[3].

وقعة الثني

نزل المنهزمون من أهل فارس بالثني، وأمدهم أردشير ملك الفرس بجيش عليهم قارن بن قريانس، وذلك في صفر سنة ١٢ هـ، فلقيهم خالد فقتل قائدهم وثلاثين ألفاً سوى من غرق، وكان في السبي عالم البصرة أبو الحسن البصري، وكان نصرانياً[4].

---

(١) المصدر السابق ٦/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩.

(٢) انظر الكامل ٣/ ٣٠٢، والبداية والنهاية ٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٣) الكامل ٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣، والبداية والنهاية ٦/ ٣٤٤، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٧٩.

(٤) الكامل ٢/ ٢٦٣.

وقعة الولجة

علم أردشير بالهزيمة، فأرسل جيشاً عليه الأندر زغر ثم أمده ببهمن جاذويه فعسكروا بالولجة، فسار إليهم خالد وقاتلهم قتالاً شديداً في صفر أيضاً، فانهزم أهل فارس وقتل منهم خلقاً عظيماً، ومات الأندر عطشاً، وصار الفلاحون ذمة[1].

وقعة أليس

اجتمع الفرس مع نصارى بكر بن وائل على «أليس» في صفر أيضاً، فجاءهم خالد بن الوليد بجمع من المسلمين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت فارس، وقتل منهم سبعين ألفاً[2].

فتح الحيرة

سار خالد إلى الحيرة، وحمل الرجال والأثقال في السفن، فخرج إليه مرزبان الحيرة «الأزاذبة»، وأرسل إبنه فقطع الماء عن السفن، فبقيت على الأرض، فساروا على صهوات الخيول، فلقي خالد ابن الأزاذبة على فرات بادقلى فقتله وقتل أصحابه، وهرب مرزبان الحيرة، ثم قاتل خالد أهل الحيرة حتى رضوا بالصلح، فصالحهم خالد على الجزية فقدرت بمائة وتسعين ألف درهم، وكان فتحها في شهر ربيع الأول[3].

ثم خرج الدهاقين فصالحوا خالد بن الوليد على ما بعد الحيرة في الفلاليج على جزية معلومة.

فتح الأنبار

سار خالد من الحيرة إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس، وعلى جيش الأنبار شيرزاد، وبدأ المسلمون القتال، فطلب شيرزاد الصلح، فصالحه خالد على شروط.

---

(١) الكامل ٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤، وتاريخ ٤/ ٨ ـ ٩.

(٢) الكامل ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥، والطبري ٤/ ٩ ـ ١٠، وابن خلدون، ٢/ ٨٠.

(٣) الكامل ٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧، وتاريخ الطبري ٤/ ١٣ ـ ١٥.

فتح عين التمر

سار خالد إلى عين التمر وبها مهران بن بهرام في جمع عظيم من الفرس، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وإياد وغيرهم، فترك مهران العرب يقاتلون خالداً فهزمهم خالد وأسر عقة، وهرب مهران(1).

دومة الجندل

سار خالد إلى دومة الجندل، فاجتمعت القبائل العربية لحربه، فقتل منهم كثيراً وأسر الجودي بن ربيعة رئيسهم، وهرب فلهم إلى الحصن، فاقتحمه خالد وقتل المقاتلة وسبى الذرية(2).

وقعة الفراض

سار خالد إلى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، في الخامس عشرة من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة، وقامت الروم للدفاع عن تخومها واستعانوا بمن يليهم من الفرس والعرب، وساروا إلى خالد وعبروا الفرات فقاتلوا قتالاً عظيماً، وانهزمت الروم ومن معهم وقتل المسلمون منهم مائة ألف.

فتوح الشام

دخلت سنة ثلاث عشرة، وفيها وجه أبو بكر رضي الله عنها الجنود إلى الشام بعد عوده من الحج وعليهم خالد بن سعيد بن العاص، وكان له أول حرب مع أحد بطارقة الروم ويدعى باهان، فهزمه وكتب خالد إلى أبي بكر يستمده فجهز أبو بكر أربعة جيوش على أحدها عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين، وعلى ثانيها شرحبيل بن حسنة ووجهه إلى الأردن، وعلى الثالث يزيد بن أبي سفيان ووجهه إلى البلقاء، وعلى الرابع أبي عبيدة بن الجراح ووجهه إلى حمص، فسارت الأمراء وأبو بكر يودعهم ويوصيهم بما فيه صلاح دينهم ودنياهم وأمر حربهم.

فلما علم الروم بذلك اجتمعت جيوشهم بحمص، ووجه هرقل عسكره بإزاء جيوش المسلمين كما سيأتي(3).

---

(1) عن البداية والنهاية ٢٤٩ ـ ٣٥٠، والكامل ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨١.

(2) الكامل ٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١، والبداية ٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(3) انظر الكامل ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٣ ـ ٨٥، وتاريخ الطبري ٤/ ٣٠ ـ ٣٢.

معركة اليرموك

اجتمع المسلمون باليرموك، والروم أيضاً بإزائهم، فأقاموا ثلاثة أشهر، واستمد المسلمون أبا بكر، فكتب إلى خالد أن يلحق بهم من العراق، فأعان الله خالداً فاجتاز الصحراء ووصل إلى المسلمين في ربيع الآخر. فصار عدد المسلمين ستة وثلاثين ألفاً، وعدد الروم مائتي وأربعين ألف مقاتل. وبدأ القتال وكان في اليوم الأول على إمارة المسلمين خالد بن الوليد، والتحم الجيشان، وحمل المسلمون حملة رجل واحد ففر العدو ووقعوا في الخندق لأنهم كانوا قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل. وأثناء المعركة جاء البريد من المدينة بوفاة أبي بكر رضي الله عنه، وتأمير أبي عبيدة بن الجراح لقيادة الجند جميعاً[(١)].

وفاة الصديق

كانت وفاة أبي بكر رضي الله عنه لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وصلى عليه عمر بن الخطاب، ودفن بجانب قبر النبي ﷺ[(٢)].

الأمور الشرعية في عهده

جمع القرآن

من أهم الأعمال في الأمور الشرعية التي قام بها الخليفة الأول هو جمع القرآن، فبعد أن كثر القتل يوم اليمامة بقراء القرآن، خشي عمر بن الخطاب على القراء أن يشتد بهم القتل في الغزوات، فأشار على أبي بكر بجمع القرآن، والحّ عليه الطلب، فانشرح صدر أبي بكر لرأي عمر، وأمر أحد كتاب الوحي وهو زيد بن ثابت، فجمعه مما كتبه الصحابة وكتاب الوحي من جريد النخل، وما كتب منه على الحجارة، وقارنه بما حفظ الحفاظ والقراء الكبار في صدورهم، وكتبه في

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٤ ـ ٨٥، وتاريخ الطبري ٤/ ٣٢ ـ ٤٢، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) انظر الكامل ٢/ ٢٨٧.

صحف وأودع عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين حتى عهد عثمان.

التشريع في عهده

وفي عهد أبي بكر كان إذا وقعت الحادثة، نظر الصحابة في كتاب الله فإن لم يجدوا حكمها التمسوا ذلك في أحاديث الرسول، فإن لم يجدوا جمع الخليفة كبار الصحابة وحفاظهم ومحدثيهم فيشاورهم في الأمر، ويؤيد ذلك ما نقله ابن القيم قوله: «كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه ما يقضي به، قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله ﷺ، فإن وجد فيهما ما يقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى به بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبي ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به»[1].

القتال على منع الزكاة

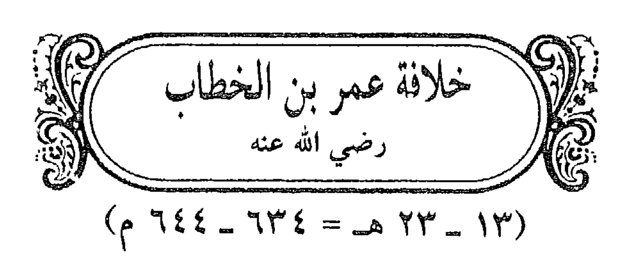
من المسائل المهمة التي عرضت للخليفة الأول هي: حكم من منع الزكاة، حيث رأى الخليفة أن يقاتل عليها، وقاسها على الصلاة التي هي أيضاً أحد أركان الإسلام، علماً أن عمر كان يرى عدم قتالهم، ثم رأى رأي أبي بكر الصديق.

أهم الوفيات في عهده

أهم من توفي بعهده رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ زوجة علي بن أبي طالب وأم الحسن والحسين. توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر. وممن توفي في عهده أيضاً أبو دجانة سماك بن خرشة الذي أبلى بلاء حسناً في أحد، وأعطاه رسول الله ﷺ سيفه. وفي سنة اثنتي عشرة توفي أبو العاص بن الربيع زوج أكبر بنات رسول ﷺ زينب رضي الله عنها.

---

(١) نقله ابن القيم في إعلام الموقعين عن أبي عبيدة معمر بن المثنى البصري(١/ ٦٣).



(١٣ ـ ٢٣ هـ = ٦٣٤ ـ ٦٤٤ م)

نسبه وحياته

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح القرشي العدوي أبو حفص، أمير المؤمنين. وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية. ولد قبل مبعث الرسول ﷺ بثلاثين سنة. كان إليه السفارة في الجاهلية، وكان عند المبعث شديداً على المسلمين، ولما أسلم كان إسلامه فتحاً على المؤمنين وفرجاً لهم من الضيق. قال عبد الله بن مسعود ما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر[١].

أزواجه وأولاده

كان لعمر من الولد عبد الله وعبد الرحمن وحفصة وأمهم **زينب بنت مظعون**. وله زيد الأكبر ورقية وأمهما **أم كلثوم بنت علي** بنت أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وله زيد الأصغر وعبيد الله وأمهما **أم كلثوم بنت جرول** بن مالك، وكان الإسلام فرق بين عمر وبين أم كلثوم بنت جرول. وله عاصم وأمه **جميلة بنت ثابت**. وله عبد الرحمن الأوسط يكنى بأبي المجبر وأمه **لهية** أم ولد. وله عبد الرحمن الأصغر وأمه أم ولد. وله فاطمة وأمها **أم حكيم بنت الحارث**. وله زينب وهي أصغر ولد عمر وأمها **فكيهة** أم ولد. وله عياض وأمه **عاتكة بنت زيد**[٢].

(١) انظر الإصابة ٢/٥١٨، والطبقات الكبرى ٣/ ٢٠١.
(٢) نقلاً عن الطبقات الكبرى ٣/ ٢٠١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توليه الخلافة

كان آخر عمل قام به أبو بكر الصديق رضي الله عنه مشورته بعض الصحابة في تولية عمر الخلافة، فاستشار عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، فكل اشار بخير، ثم طلب من عثمان أن يكتب العهد إلى عمر، ثم طلب أن يقرأ على الناس وهو مشرف عليهم، فقال أبو بكر «أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر، فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما آلوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم قال أبو بكر لعمر: «يا عمر، إن لله حقاً بالليل لا يقبله في النهار، وحقاً في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، ألم تر يا عمر، إنما ثقلت موازينهم يوم القيامة بإتباعهم الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا حق أن يكون ثقيلاً، ألم تر يا عمر، إنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل، وخفته عليهم. وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا باطل أن يكون خفيفاً. ألم تر يا عمر. إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه، ألم تر يا عمر، إنما ذكر الله أهل النار بأسوإ أعمالهم. فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون منهم. وإنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء، فإذا ذكرتهم قلت: أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه»[١].

وتوفي أبو بكر، فلما دفن[٢] صعد عمر بن الخطاب فخطب الناس قائلاً: إنما مثل العرب مثل جمل آنف[٣]، اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده. وأماأنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق.

وكان أول كتاب كتبه إلى أبي عبيدة بن الجراح بعزل خالد بن الوليد، ثم قدم

---

(١) نقلاً عن الكامل ٢/ ٢٩٣.

(٢) دفن ليلة وفاته، انظر تاريخ الطبري ٤/ ٥٤.

(٣) آنف: هو الذي يأنف من أن يضرب.

خالد على عمر بالمدينة، وقيل بل أقام بالشام مع المسلمين وهو أصح[١].

الحوادث في عهده
بقية الحديث عن فتوح الشام

فتح دمشق

بعد اليرموك سار أبو عبيدة بن الجراح ومعه خالد إلى دمشق، وعليها نسطاس، فحاصرهم المسلمون سبعين ليلة حصاراً شديداً، حتى ولد للبطريق مولوداً، فأقاموا وليمة وشرب الجند الخمر وتركوا مواقعهم، فنهض خالد ومعه القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي فتسلقوا الحصن وفتحوا الباب، ودخل المسلمون الحصن فخاف الروم وطلبوا الصلح، فصالحهم أبو عبيدة، وكان ذلك في رجب سنة أربع عشرة[٢].

غزوة فحل

ثم سار أبو عبيدة إلى فحل[٣]، ومعه شرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وكان أهل فحل قد تركوا الماء حول المدينة فأوحلت أرضها، فخرج الروم وقاتلوا جيش شرحبيل بن حسنة قتالاً شديداً، فانهزم الروم وعلقوا بالوحل[٤].

فتح ساحل الشام

لما سار أبو عبيدة إلى فحل، سار يزيد بن أبي سفيان إلى مدينة صيدا وعرقة[٥] وجبيل وبيروت، وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً.

---

(١) عن الكامل ٢/ ٢٩٣.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٥٧ ـ ٥٨، والكامل ٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٦ ـ ٨٧، وفتوح البلدان ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٣) فِحل: اسم موضع بالشام.

(٤) الكامل ٢/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

(٥) عِرقة: بلدة شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ (معجم البلدان ٤/ ١٠٩).

فتح بَيْسان وطبرية

أرسل أبو عبيدة شرحبيل بن حسنة في جيش إلى بيسان[1] فقاتلوا أهلها فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم صالحهم من بقي.

وأرسل أبو عبيدة الأعور إلى طبرية يحاصرها، فصالحه أهلها، وأن يقتسموا منازلهم مع المسلمين[2].

فتح بيت المقدس

في سنة خمس عشرة فتح عمرو بن العاص غزة ثم سَبَسْطية[3] ثم نابلس ثم اللد وعمواس وبيت جبرين ويافا ثم فتح مرج العيون، ثم حاصر بيت المقدس، فطلب أهلها الصلح، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فقدم عمر وصالحهم على الجزية[4].

حمص وحماه

سار أبو عبيدة وخالد إلى حمص، فمروا ببعلبك ففتحوها، وحاصروا حمص فطالب أهلها بالصلح، فأجابهم أبو عبيدة لذلك. ثم سار قاصداً حماه فتلقاه أهلها مذعنين، فصالحهم على الجزية والخراج، ثم سار إلى اللاذقية فصالح أهلها.

وفي السنة السابعة عشر قصد الروم أبا عبيدة بحمص، فتحصن المسلمون وجاءهم خالد من قنسرين، وأمر عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص أن يرسل القعقاع لنجدة المسلمين في الشام، وخرج عمر من المدينة فأتى الجابية يريد حمص، وخرج أبو عبيدة للروم فقاتلهم ففتح الله عليهم وقدم القعقاع بعد الوقعة بثلاثة أيام[5].

---

(١) بَيْسان: مدينة بالأردن، وهي بين حوران فلسطين (معجم البلدان ١/ ٥٢٧).

(٢) انظر الطبري ٤/ ٦، والكامل ٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٣) سبسطية: بلدة من نواحي فلسطين بينهما وبين بيت المقدس يومان، فيها قبر زكريا ويحيى عليهما السلام، وهي من أعمال نابلس (معجم البلدان ٣/ ١٨٤).

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٥) الكامل ٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢، والطبري ٤/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

فتح حلب

سار أبو عبيدة إلى حلب، فجمع أصنافاً من العرب فصالحهم على الجزية، ثم أسلموا بعد ذلك، ثم أتى حلب، فتحصن أهلها، ثم طلبوا الأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم فأجيبوا[1].

فتح انطاكية

ثم سار أبو عبيدة إلى أنطاكية فتحصن أهلها، ثم صالحهم أبو عبيدة على الجلاء أو الجزية، فجلا بعضهم وأقام بعضهم. ورتب أبو عبيدة في أنطاكية بعض المرابطين على أمر من عمر رضي الله عنه[2].

فتح أرمينية

وفي السنة الثامنة عشر للنصف من شعبان سير أبو عبيدة قبل وفاته عياض بن غنم إلى الجزيرة، فأتى على الرقة فحصرها ثم صالح أهلها، ثم سار إلى حران وجعل عليها عسكراً يحصرونها، وسار هو إلى الرها فحصر أهلها ثم صالحهم، وعاد إلى حران فصالح أهلها، ثم فتح سميساط وصالح أهل سروج ورأس كيفا. ثم أتى قريات على الفرات وهي جسر منبج ففتحها، ثم فتح تل موزن سنة تسع عشرة، ثم صالح أهل آمد، ثم فتح ميافارقين ثم صالح أهل نصيبين، وتوالت عليه الفتوحات حتى فتح كل أرمينية[3].

فتوحات العراق

توفي الصديق رضي الله عنه والمثنى بن حارثة أمير جيش العراق بالمدينة يطلب المدد، فلما ولي عمر رضي الله عنه ندب الناس مع المثنى به حارثة إلى أهل فارس.

الحيرة

وصل المثنى إلى الحيرة في عشرة آلاف من الجند، ثم وصل أبو عبيد الثقفي

(١) الكامل ٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨، والكامل ٢/ ٢٧٣ ـ ٣٧٥.

بعد شهر بمن معه، فاقتتلوا مع جيش الفرس بالنمارق وهزم الله أهل فارس، وأسر قائداهما جابان ومردنشاه[١].

وقعة الجسر

وفي شعبان سنة ثلاثة عشر ندب رستم الجالينوس وبهمن لقتال المسلمين ومعهما فيلة، فنزل المسلمون بالمروحة[٢]، ونزل الفرس بقس الناطف وبينهما جسر، فعبر المسلمون الجسر لقتال الفرس، فهابت خيل المسلمين فيلة الفرس، واشتد الأمر بالمسلمين، وتتابع في استلام الراية سبعة نفر من ثقيف كلهم يأخذ الراية ويقتل، وتواثب المسلمون إلى الفرات، فمات يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وقتل من الفرس ستة آلاف[٣].

وقعة البويب

أمدَّ عمر بن الخطاب المثنى بالجيش، ووافوه إلى البويب، ومهران بإزائه من وراء الفرات، فعبر مهران إلى المثنى في رمضان والتحم الجيشان وطال الأمر حتى قتل مهران، فاندحر الفرس، قيل قتل من الفرس يومئذ مائة ألف.

القادسية[٤]

لما رأى الفرس ما يفعل المسلمون بالعراق، اجتمعوا على تولية ملك عليهم من سلالة كسرى وهو يزدجرد، فعهد يزدجرد قيادة الجيش الفارسي إلى رستم، وبدأ رستم باسترجاع بعض المدن العراقية، فأرسل الخليفة مدداً إلى المثنى عليهم سعد بن أبي وقاص، واجتمع جيش المسلمين في القادسية [٥] وعليهم سعد بعد أن

---

(١) الكامل ٢/ ٢٩٨ ـ ٣٠١، والطبري ٤/ ٩١ ـ ٩٧.

(٢) المروحة: موضع في العراق على شط الفرات الغربي (معجم البلدان ٥/ ١١١ ـ ١١٢).

(٣) انظر الكامل ٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥، وابن خلدون ٢/ ٨٩، والطبري ٤/ ٧١ ـ ٧٤.

(٤) القادسية: سهل متسع يرويه الفرات.

(٥) كان عدد جيش المسلمين ثلاثين ألفاً، وعدد جيش الفرس مائة وعشرين ألفاً ومعهم ثلاثة وثلاثون فيلاً.

توفي المثنى وعرضوا على الفرس الإسلام أو الجزية فأبوا، وفي رمضان سنة أربع عشرة بدأت المعركة، وحمي القتال، ونفرت خيول المسلمين من الفيلة، وصبر المسلمون حتى هزموا الفرس في اليوم الرابع وقتل رستم[١].

فتح بابل

سار سعد من القادسية حتى وصل بابل، وبها فلول القادسية وكانوا استعملوا عليهم الفيرزان، فقاتلهم المسلمون فهزموهم.

فتح المدائن الغربية

وفي صفر من السنة السادسة عشر خاض سعد دجلة إلى المدائن الغربية، فهرب الفرس نحو حلوان العراق، فلما دخل المسلمون المدائن لم يجدوا فيها أحداً، وجمع المسلمون من غنائم أهل المدائن وإيوان كسرى بالذات ما لا يقدر بثمن[٢].

وقعة جلولاء

بعد المدائن اجتمعت فلول فارس في جلولاء، وأمروا عليهم مهران الرازي، فأرسل سعد ابن أخيه هاشم بن عتبة ومعه القعقاع بن عمرو فحاصرهم في خنادقهم حتى دخلوا عليهم وقاتلوهم قتالاً شديداً شبيهاً بقتال القادسية، فانهزم المشركون ولم ينج منهم إلا القليل وقتل منهم يومئذ مائة ألف[٣].

فتح حلوان

لما بلغت الهزيمة يزدجرد هرب من حلوان التي سار إليها القعقاع بن عمرو، فالتقى بأميرها خسرسنوم فاقتتلوا قتالاً شديداً فهرب خسرسنوم، واستولى المسلمون على حلوان.

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٢/ ٩٥ ـ ٩٨، والكامل ٢/٣١٦ ـ ٣٣١، والطبري ٤/ ١١٠ ـ ٢٢٤.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/ ١٧٠ ـ ١٧٩، والكامل ٢/٣٥٦ ـ ٣٦١.

(٣) انظر الكامل ٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٣، وتاريخ الطبري ٤/ ١٧٩ ـ ١٨٦.

بناء الكوفة والبصرة

في السنة السابعة عشر اختطت الكوفة، وتحول سعد بن أبي وقاص إليها من المدائن، وسبب ذلك أن سعداً أرسل وفداً إلى عمر بهذه الفتوح المذكورة، فلما رآهم عمر سألهم عن تغير ألوانهم وحالهم، فقالوا وخومة البلاد غيرتنا، فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً برياً بحرياً ليس بينهم وبين عمر بحر ولا جسر، فاختيرت الكوفة، ونزلها سعد في المحرم من سنة سبع عشرة. وبنوا الكوفة والبصرة بالقصب أولاً، فوقع فيهما الحريق، فاستأذنوا عمر أن يبنوها باللبن فأذن لهم[١].

من أخبار سنة سبع عشرة

في هذه السنة زاد عمر في المسجد النبوي، وتزوج عمر أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء وابنة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[٢]. وفيها فتحت الأهواز ومناذر ونهر تيري وتستر ورامهرمز والسوس وجنديسابور.

من أخبار سنة ثماني عشرة

فيها حصل طاعون عمواس بناحية الأردن، ومات فيه نحو خمسة وعشرين ألفاً. وفي هذه السنة حصل قحط شديد فسمي ذلك العام بعام الرمادة[٣].

فتح مصر

في سنة عشرين فتحت مصر والإسكندرية على يد عمرو بن العاص وبمساندة الزبير بن العوام وذلك بعد هزيمة المقوقس حاكم مصر بعين شمس، وصالح عمرو بن العاص أهل مصر على الأمان على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم[٤]. أما

---

(١) انظر الكامل ٢/٣٦٩.

(٢) عن شذرات الذهب ١/٢٩، وانظر الكامل ٢/٣٧٦.

(٣) انظر الكامل ٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩.

(٤) انظر الكامل ٢/٣٩٦ ـ ٣٩٧، والطبري ٤/٢٢٨ ـ ٢٣٢، وابن خلدون ٢/١١٤ ـ ١١٥، وتاريخ الإسلام جزء عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٢٤.

في الإسكندرية فقاتل عمرو المقوقس فيها وحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة، وغنم ما فيها وجعلهم ذمة.

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قتل عمر رضي الله عنه طعناً لثلاث وقيل لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين. طعنه مولى من نصارى العجم اسمه أبو لؤلؤة وهو في صلاة الصبح إماماً للناس، وطعن معه اثني عشر رجلاً، مات منهم ستة.

وقبل وفاته سأله أصحاب النبي ﷺ الوصية، فقال: «أوصيكم بكتاب الله فإنكم لن تضلوا ما اتبعتموه، وأوصيكم بالمهاجرين، فإن الناس يكثرون ويقلون، وأوصيكم بالأنصار، فإنهم شعب الإسلام الذي لجأ إليه، وأوصيكم بالأعراب فإنهم أصلكم ومادتكم، وعدو عدوكم، وأوصيكم بأهل الذمة فإنهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم، قوموا عني»[1].

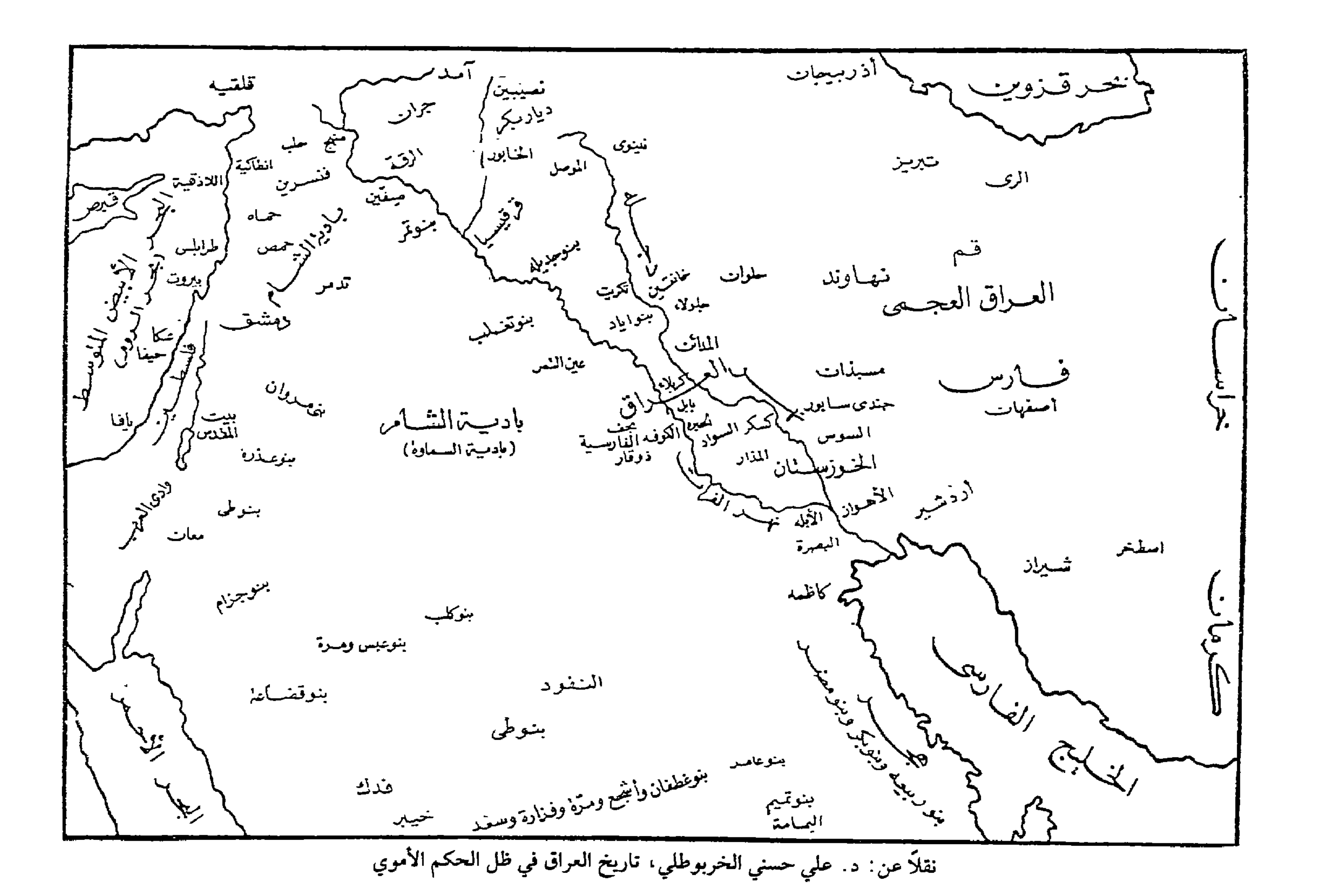
وقال له أصحاب رسول الله ﷺ استخلف، فقال: لا أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى: علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وجعل معهم ابنه عبد الله يشاورونه فقط وليس له من الأمر شيء.

فلما دفن عمر رضي الله عنه ورحمه اجتمع أهل الشورى الستة، وفوض الزبير ما له من الأمر إلى علي، وفوض سعد ما له إلى عبد الرحمن، وفوض طلحة حقه إلى عثمان رضي الله عنهم جميعاً، ثم انسحب عبد الرحمن على أن يختار هو بين علي وعثمان، فاستشار المسلمين مدة ثلاثة أيام وخلا بعلي ثم بعثمان وأخذ ميثاقهما، ثم بايع عثمان وقام الناس فبايعوا[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٦.

(٢) انظر تاريخ الإسلام جزء عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٧٨ ـ ٢٨٢، والطبقات الكبرى ٣/ ٢٥٩ ـ ٢٧٠، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦، والبداية والنهاية ٧/ ١٣٧ ـ ١٣٨، و ٧ ـ ١٤٤ ـ ١٤٧، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٣ ـ ٤٢.



نقلاً عن: د. علي حسني الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي

الأمور الشرعية في عهده

مصادر التشريع

في عهد عمر بن الخطاب زاد الفقهاء وبالتحديد هو رضي الله عنه مصدراً جديداً إلى مصادر التشريع وهو الفتاوى التي حصلت في عهد الصديق، حيث ورد في إعلام الموقعين أن عمر كان يقضي بين الناس بالكتاب والسنة كفعل الصديق. . . «فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به»[1] وهذا نص أيضاً يدل على العمل بالإجماع في عهد الصحابة، والخلفاء الراشدين تحديداً.

خطاب عمر في القضاء

من أهم أقوال عمر بن الخطاب في التشريع والقضاء خطابه المشهور الذي أرسله إلى أبي موسى الأشعري ونصه:

«أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف في عدلك، البينة على المدعي، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً. . ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي إليه، فإن بينه أعطيته بحقه، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإن ذلك هو أبلغ في العذر وأجلى للعماء، ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجرباً عليه شهادة زور، أو مجلوداً في حد، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة، فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان، ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٦٢، وانظر أخبار القضاة لوكيع ١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق، وإياك والغضب والقلق والضجر، والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم ـ شك أبو عبيدة ـ فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله، فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام عليك ورحمة الله»[1].

وضع التاريخ

من المعروف أن عمر بن الخطاب هو أول من وضع التاريخ، حيث استشار الصحابة رضوان الله عليهم من أي تاريخ يبدأ، فبعد المشاورة أشار عليه علي بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته عليه السلام من مكة إلى المدينة لأنه تاريخ معروف لكل الناس فاستحسن ذلك.

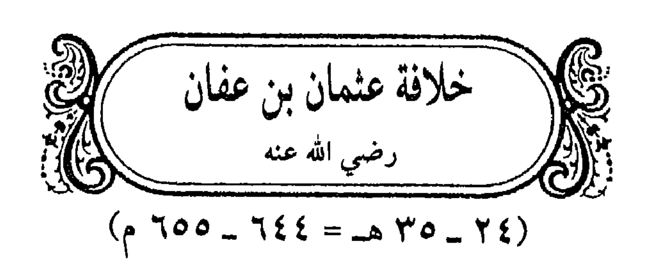
أهم الوفيات في عهده

توفي سنة ثلاث عشرة عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ أحد الأبطال والشجعان المشهورين. وتوفي سنة أربع عشرة عمرو بن أم مكتوم الأعمى المذكور في سورة عبس. والمثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني نائب خالد على العراق والأمير الثاني يوم الجسر. وأبو زيد الأنصاري البخاري أحد القراء الأربعة الذين حفظو القرآن من الأنصار في عهد رسول الله ﷺ. وتوفي أيضاً هند بنت عتبة بن ربيعة الأموية والدة معاوية بن أبي سفيان، كانت من سيدات نساء قريش ذات رأي ودهاء، وهي التي لاكت كبد حمزة فلم تستطع إساغتها. وفي سنة ست عشرة في المحرم توفيت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وصلى عليها عمر بن الخطاب. وفي سنة ثماني عشرة توفي شرحبيل بن حسنة أحد القواد الكبار في الإسلام. وفيها توفي أبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة. ومعاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي أحد الأربعة من

---

(١) عن إعلام الموقعين ١/ ٨٥ ـ ٨٦.

الخزرج الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ. وفي سنة تسع عشرة توفي أبي بن كعب سيد القراء. وفي سنة عشرين توفي أسيد بن حضير أحد النقباء ليلة العقبة. وبلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ. وفيها توفيت زينب بنت جحش أم المؤمنين. وصفية بنت عبد المطلب عمة النبي. وفي سنة إحدى وعشرين توفي خالد بن الوليد أحد القواد في العهد الإسلامي الأول.



خلافة عثمان بن عفان

رضي الله عنه

(٢٤ ـ ٣٥ هـ = ٦٤٤ ـ ٦٥٥ م)

اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضين من المحرم من سنة أربع وعشرين وقد دخل وقت العصر، وقد أذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس[١].

ثم صعد منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: إنكم في دار قلعة، وفي بقية من أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صُبحتم أو مُسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. ، اعتبروا بمن مضى، ثم جدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها، ومتعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم، ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب لها مثلاً والذي هو خير، فقال عز وجل: **﴿واضرب لهم مَثَلَ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدراً * المال والبنون زينةُ الحياةِ الدنيا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً﴾**[٢]»[٣].

نسبه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٤، والبداية والنهاية ٧/ ١٤٧.

(٢) سورة الكهب آية ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) نقلاً عن تاريخ الطبري ٥/ ٤٣، وانظر البداية والنهاية ٧/ ١٤٨.

قصي القرشي الأموي ذو النورين، وصاحب الهجرتين، زوج الابنتين. أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس. أحد المشهود لهم بالجنة، ثالث الخلفاء الراشدين المهديين.

حياته وأزواجه وأولاده

أسلم رضي الله عنه قديماً على يدي أبي بكر الصديق، ثم تزوج برقبة بنت الرسولﷺ، وهاجر إلى الحبشة ومعه زوجته، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة المنورة، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض رقية وأقام بسببها في المدينة، فلما توفيت زوجه رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضاً في صحبته فقال رسول الله ﷺ: «لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان» وشهد أحداً والخندق والحديبية، وبايع عنه رسول الله ﷺ بإحدى يديه، وشهد خيبر وعمرة القضاء، وحضر فتح مكة وهوازن والطائف وتبوك، وجهز جيش العسرة فوضع في حجر رسول الله ﷺ ألف دينار، فقال ﷺ: ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم، مرتين. وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، وتوفي وهو عنه راض[1].

أما أولاده فمن رقية: عبد الله، وبه كان يكنى، ولم يكن له أولاد من أم كلثوم. ثم تزوج **بفاختة بنت غزوان** بن جابر فولد له منها عبيد الله الأصغر، ثم تزوج **بأم عمرو بنت جندب** بن عمرو الأزدية، فولدت له عمراً، وخالداً، وأباناً، وعمر، ومريم. وتزوج **بفاطمة بنت الوليد** بن عبد شمس المخزومية، فولدت له الوليد وسعيداً. وتزوج **أم البنين بنت عيينة** بن حصن الفزارية، فولدت له عبد الملك وعتبة. وتزوج **رملة بنت شيبة** بن ربيعة فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو. وتزوج **نائلة بنت الفرافصة** بن الأحوص، فولدت له مريم، ويقال عنبسة. وقتل وعنده أربع نائلة ورملة وأم البنين وفاختة[2].

فضائله

ومما ورد فيه من أحاديث الرسول ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه بسنده أن

---

(١) عن البداية والنهاية بتصرف ٧/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) ملخصاً عن البداية والنهاية ٧/ ٢١٩.

أنساً حدثهم قال: «صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصدِّيق وشهيدان».
وفي مسند الإمام أحمد، قال رسول الله ﷺ: «ارحم أمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأشدها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة[1].

ومن فضائله أيضاً ما حدث به هو عن نفسه فقال: «لقد خبأت عند ربي عشراً: إني لرابع أربعة في الإسلام، وما تعنيت ولا تمنيت[2]، ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا مرت به جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة، إلا أن لا يكون عندي فأعتقها بعد ذلك، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، وجهزت جيش العسرة، وأنكحني النبي ابنتيه، ثم ماتت، فأنكحني الأخرى، وما سرقت في جاهلية ولا إسلام»[3].

غزواته وفتوحاته

أعماله في الكوفة

ولى أمير المؤمنين عثمان أمر الكوفة إلى سعد بن أبي وقاص، فعمل سنة وبعض سنة، ثم تولاها أبو موسى الأشعري[4] ثم الوليد بن عقبة ثم سعيد بن العاص.

وبعث أمير المؤمنين: سلمان بن ربيعة الباهلي إلى آذربيجان وأرمينيا في اثني عشر ألف مقاتل فاستولى أولاً على آذربيجان، ثم صالحهم الوليد بن عقبة. ثم استولى سلمان على أرمينية وسبى وغنم.

في الشام

في سنة أربع وعشرين جمع الروم للمسلمين، فطلب أهل الشام المدد من

---

(١) المصدر السابق ٧/ ٢٠٤.

(٢) أي ما كذبت.

(٣) تاريخ الإسلام جزء عهدالخلفاء الراشدين ص ٤٦٩.

(٤) انظر في سبب عزل سعد بن أبي وقاص تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٢٧.

الخليفة، فجاءهم سلمان الباهلي في ثمانية آلاف رجل، فشنوا الغارات على أرض الروم فسبوا وغنموا وافتتحوا حصوناً كثيرة.

الاسكندرية

في سنة ست وعشرين استنجد أهل الاسكندرية بهرقل، فنقضوا بذلك العهد مع المسلمين، فلقي عمرو بن العاص جنود هرقل فهزمهم واتبعهم إلى الاسكندرية حتى هدم سورها ثم رجع إلى مصر.

خبر أفريقية[1] والأندلس

في سنة ست وعشرين[2] عزل عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل مكانه عبد الله بن سعد بن أبي السرح أخاه من الرضاعة، وأمره بغزو أفريقية، فسار إليها في عشرة آلاف رجل فافتتحها سهلها وجبلها، وأسلم أهلها.

وصمد في قتال أفريقية ملك البربر جرجير[3] وكان في مائة وعشرين ألف جندي، فأحاط بالمسلمين، لكن وبخدعة من المسلمين قتل ملك البربر وفر جنده، فغنم المسلمون منهم أموالاً كثيرة.

فتح قبرص

وفي سنة ثمان وعشرين ركب معاوية البحر إلى قبرص في جيش كثيف، ولحق به من الجانب الآخر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبايا كثيرة، وغنموا أموالاً جزيلة، ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار في كل سنة[4].

فتح طبرستان[5]

في سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص بلاد طبرستان وكان معه من الصحابة

---

(١) المقصود بإفريقية تونس.

(٢) نقلاً عن الطبري ٥/ ٢٧. أما في ابن خلدون فكان ذلك سنة خمس وعشرين (٢/ ١٢٨)، وفي البداية والنهاية كان ذلك سنة سبع وعشرين (٧/ ١٥١ ـ ١٥٢).

(٣) هو الذي يسمى غريغوريوس بن نيكيتاس.

(٤) انظر البداية والنهاية ٧/ ١٥٣، والطبري ٥/ ٥١ ـ ٥٢.

(٥) طبرستان: بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم منها: دهستان وجرجان واستراباذ وآمل وشالوس (معجم البلدان ٤/ ١٣).

الحسن والحسين والعبادلة الأربعة، فسار بهم فمر على بلدان شتى يصالحونه على أموال جزيلة، وانتهى إلى جرجان فقاتله أهلها حتى احتاج المسلمون إلى صلاة الخوف، ثم سألوهم الأمان فصالحهم المسلمون على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلاً واحداً[1].

غزوة الصواري

في سنة إحدى وثلاثين اجتمعت الروم على قسطنطين بن هرقل، خرجوا إلى المسلمين في جمع كبير في البحر وقصدوا عبد الله بن سعد فخرج لإمداده معاوية، فالتقى الجمعان وعقدت الصواري بين سفن المسلمين والروم، ودار قتال شديد جداً حتى غلب لون الدم على البحر، وصبر المسلمون صبراً لم يعهد مثله قط حتى كان النصر للمسلمين وهرب قسطنطين وجيشه[2].

فتوحات أخرى

في سنة واحد وثلاثين قتل كسرى ملك الفرس يزدجرد، وفتحت أرمينية ومناطق في فارس هي: أبرشهر وطوس وبيورد ونسا وسرخس وحصل صلح مع أهل مرو.

وفي سنة اثنين وثلاثين فتح عبد الله بن عامر مروروذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان.

الفتنة الكبرى

اكتملت الفتوحات الإسلامية بالسيطرة على العراق والشام ومصر وأفريقية وكثير من مدن فارس وبعض أرمينية وأطراف بلاد الترك، ودخل في الإسلام كثير من هذه الشعوب، وقل صحابة رسول الله ﷺ إما بالموت أو بالشهادة. وأثر الترف والإسراف واقتناء القصور على نفوس المسلمين. في ظل هذه الظروف بدأ السخط يظهر ضد الخليفة وعابه الناس في أمور منها:

١ـ استعمل عثمان بن عفان عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان قد ارتد

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ١٥٤، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) البداية والنهاية ٧/ ١٥٧ ـ ١٥٨، وتاريخ الطبري ٥/ ٦٩ ـ ٧١، والكامل ٣/ ٥٨ ـ ٦٠.

وكفر، فأباح رسول الله ﷺ دمه، وكان أخا عثمان من الرضاعة.

٢ـ أخرج رسول الله ﷺ أقواماً واستعملهم عثمان.

٣ـ نزع أصحاب رسول الله ﷺ واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر [١].

٤ـ إخراج أبي ذر من الشام ومن المدينة إلى الربذة.

٥ـ زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة.

٦ـ إتمامه الصلاة في منى وعرفة، مع أن الأمر في حياة رسول الله ﷺ والشيخين بعده كان القصر.

٧ـ سقوط خاتم النبي ﷺ من يده في بئر أريس ولم يوجد.

ودخلت سنة أربع وثلاثين، وفيها تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان، وكان جمهورهم من أهل الكوفة، وثاروا على أمير الكوفة سعيد بن العاص، فتألفهم عثمان بإرسال بعض الأموال وشغلهم عن أمرهم بالغزو.

وفي سنة أربع وثلاثين أيضاً كلم الناس علي بن أبي طالب، فنصح علي عثمان رضي الله عنهما، فخرج عثمان إلى المسجد فوعظ وحذر الناس وأنذرهم وتوعدهم، ثم بيّن أن ما كان يعطيه لأقربائه هو من فضل ماله. وعرض عليه معاوية أن يصحبه إلى الشام أو يجهز له جيشاً يمنعونه من المنحرفين فرفض.

وفي سنة خمس وثلاثين كثرت المعارضة وتكاتبوا فيما بينهم حتى خرج من أهل الكوفة ستمائة رجل عليهم عمرو بن الأصم، ومن أهل البصرة مثلهم عليهم حرقوص بن زهير السعدي، ومن أهل مصر مثلهم عليهم الغافقي بن حرب العكي، وأقبل معهم محمد بن أبي بكر الصديق، فخرج إليهم عثمان وردهم إلى بلادهم وأزاح لهم جميع عللهم حتى لم يبق لهم شبهة. لكن أهل مصر والكوفة والبصرة عادوا وأحاطوا بالمدينة يريدون عزل عثمان، وحاصروا منزله، ولزم كثير من

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ففيه تفصيل وتحليل جيد ٢ قسم ١٣٨/٢ ـ ١٤٠، وانظر البداية والنهاية ١٦٧/٧ ـ ١٦٨.

الصحابة بيوتهم، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة عن أمر آبائهم، منهم الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو، وصاروا يحاجون عنه، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم.

واستمر الحصار أكثر من شهر، ثم تسور بعض جنود الأمصار داراً مجاوراً لدار عثمان، فدخلوا عليه، بين يديه المصحف وهو يتلو: **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾**[1] فضربه بالسيف رجل يقال له كنانة بن بشر، ثم ضربه سودان المرادي فقتله ثم طعنه عمرو بن الحمق فمات رحمه الله[2].

الأمور الشرعية في عهده

نسخ القرآن

من أهم الأمور الشرعية التي قام بها عثمان بن عفان نسخ القرآن على نُسخ وتوزيعها على الأمصار. والسبب الداعي لذلك اتساع رقعة البلاد حيث وقع بعض الاختلاف في أرمينية وأذربيجان في قراءة بعض الكلمات[3]، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام بنسخ المصحف عن الصحف التي لدى حفصة، ثم رد الصحف إليها. ووزع عثمان رضي الله عنه المصاحف إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وأبقى واحداً في المدينة.

أهم الوفيات في عهده

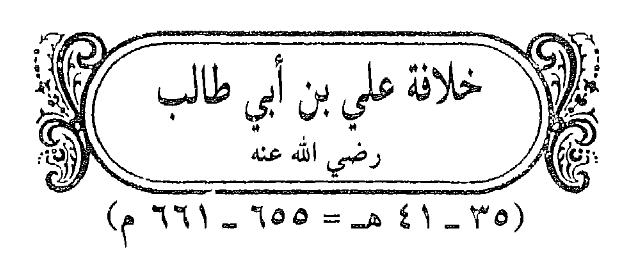
توفي في عهد عثمان وفي سنة ثنتين وثلاثين العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ. وعبد الله بن مسعود أحد كبار الصحابة ومن المكثرين عن رسول الله ﷺ تحديثاً. وعبد الرحمن بن عوف أحد كبار الصحابة. وفيها أيضاً توفي أبو ذر الغفاري صاحب النبي ومن المكثرين عنه ﷺ تحديثاً.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٣.

(٢) انظر تاريخ الإسلام جزء عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٥٦، والبداية والنهاية ٧/١٨٨ ـ ١٨٩، وطبقات ابن سعد ٣/٧٣، وتاريخ الطبري ٥/١٠٢ ـ ١١٠.

(٣) قيل هذا الاختلاف إنما هو من الحروف السبعة التي قرأها النبي ﷺ ولم يكن اختلافاً غير مشروع.



خلافة علي بن أبي طالب
رضي الله عنه

(٣٥ ـ ٤١ هـ = ٦٥٥ ـ ٦٦١ م)

وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه، إجتمع بعض الصحابة على بيعة علي بن أبي طالب، فتكلموا معه في صباح مقتل عثمان بالامر فأبى وقال: ليس ذلك إليكم، وإنما هو لأهل الشورى وأهل بدر، فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة. فتركوه، ثم خافوا الفرقة بين المسلمين، فرجعوا إلى علي وخوفوه الفتنة، ثم بايعه الأشتر النخعي، ثم دخل علي المسجد فبايعه الناس هناك. وكان فيمن بايع طلحة والزبير[١].

ثم قام علي خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال وولد عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم. هم أعظم الناس حيطة من ورائه، وإليهم سعيه وأعطفهم عليه إن أصابته مصيبة، أو نزل به بعض مكاره الأمور، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنه يقبض عنهم يداً واحدة، وتقبض عنه أيد كثيرة، ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى، يخلف الله له ما أنفق في دنياه، ويضاعف له في آخرته. واعلموا أن لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس، خير له من المال، فلا يزدادنّ أحدكم كبرياء، ولا عظمة في نفسه، ولا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصلها بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه.

واعلموا أن الدنيا قد أدبرت، والآخرة قد أقلبت، ألا وإن المضمار[٢] اليوم،

---

(١) انظر في بيعة علي رضي الله عنه: الإمامة والسياسة ص ٤٧ ـ ٥٠، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٢ ـ ١٥٥، والبداية والنهاية٧/ ٢٢٦ ـ ٢٢٩.

(٢) المضمار: مكان السباق.

والسبق غداً. ألا وإن السُبقة الجنة. والغاية النار. ألا إن الأمل يشهي القلب، ويكذب الوعد، ويأتي بغفلة، ويورث حسرة فهو غرور، وصاحبه في عناء، فافزعوا إلى قوام دينكم، وإتمام صلاتكم، وأداء زكاتكم، والنصيحة لإمامكم، وتعلموا كتاب الله، واصدقوا الحديث عن رسول الله ﷺ، وأوفوا بالعهد إن عاهدتم، وأدوا الأمانات إذا ائتمنتم، ارغبوا في ثواب الله، وارهبوا عذابه، واعملوا الخير تجزوا خيراً يوم يفوز بالخير من قدم الخير[1].

ترجمة علي رضي الله عنه

نسبه

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[2].

أزواجه وأولاده

أول زوجة تزوجها علي رضي الله عنه **فاطمة بنت رسول الله** ﷺ ورضي الله عنها، بنى بها بعد وقعة بدر، فولدت له الحسن والحسين ومحسناً، وزينب الكبرى وأم كلثوم[3]. وبعد وفاة فاطمة رضي الله عنها تزوج **خولة بنت جعفر** فولدت له محمد ابن الحنفية. وتزوج **ليلى بنت مسعود** فولدت له عبيد الله وأبو بكر. وتزوج **أم البنين بنت حزام** وولدت له العباس الأكبر وعثمان وجعفر الأكبر وعبد الله. وتزوج **أسماء بنت عميس** الخثعمية فولدت له يحيى وعون. وتزوج **الصهباء** أم حبيب بنت ربيعة، فولدت له عمر الأكبر ورقية. وتزوج **أمامة بنت أبي العاص** بن الربيع فولدت له محمد الأوسط. وتزوج **أم سعيد بنت عروة** فولدت له أم الحسن بنت علي ورملة الكبرى. وتزوج غيرهن وله منهن الأولاد: أم هانيء، ميمونة، زينب الصغرى، رملة الصغرى، أم كلثوم الصغرى، فاطمة، أمامة، خديجة، أم الكرام، أم سلمة، أم جعفر، جمانة ونفيسة[4].

---

(١) عن الإمامة والسياسة ص ٥٠ ـ ٥١. وانظر الكامل في التاريخ ٣/ ١٠٠.

(٢) عن الطبقات الكبرى ٣/ ١٣ ـ ١٤، وانظر الإصابة ٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨.

(٣) وهي زوجة عمر بن الخطاب كما تقدم.

(٤) ملخصاً عما ورد في الطبقات الكبرى ٣/ ١٣ ـ ١٥.

إسلامه وفضائله

هو أول من أسلم من الصغار وذلك بعد خديجة وأبي بكر رضي الله عنهما، وكان عمره تسع سنين، خلّفه رسول الله ﷺ على فراشه ليلة الهجرة، وأمره أن يؤدي ودائع الناس.

وخلفه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقال يا رسول الله: «تخلفني في النساء والصبيان؟»، فقال: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير انه لا نبي بعدي**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يحبُ الله ورسوله، يفتح الله على يديه» قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال فتساورت لها[2] رجاء أن أدعى لها. قال فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب. فأعطاه إياها، وقال: «إمش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك» قال: فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت. فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟«قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[3]».

أعماله وغزواته في خلافته

ولاة الأمصار

دخلت سنة ست وثلاثين وعلى الخليفة أن يحل قضيتين، الأولى: الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، والثانية: تغيير بعض الأمراء في الأمصار.

أول عمل قام به أمير المؤمنين علي أنه ولى على الأمصار نواباً، فولى عبد الله بن عباس على اليمن، وعثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، وسهل بن حنيف على الشام بدل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧١.

(٢) تساورت لها: تطاولت لها وأظهرت وجهي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧١ ـ ١٨٧٢.

معاوية، لكن معاوية لم يمكنه من استلام مركزه، فرجع إلى علي. وأما أهل البصرة فرفضوا البيعة حتى يقتصوا من قتلة عثمان، فجهز علي جيشاً لقتال من عصاه.

وقعة الجمل

كان أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج، وأقمن بمكة عندما علمن بمقتل عثمان. وأثناء تجهيز علي الجيش إلى الشام استأذن طلحة والزبير علياً في أداء العمرة، فأذن لهما، وتبعهما خلق كثير. وندب علي أهل المدينة إلى القيام فامتنعوا. وقامت عائشة رضي الله عنها تحث الناس على القتال بطلب دم عثمان فاستجابوا لها وخرجوا إلى البصرة في ثلاثة آلاف رجل وعائشة في هودج على جمل. فاقتتل جيشها مع جيش عثمان بن حنيف حتى اصطلحا في اليوم الثاني بعدما كثرت الجراح في الفريقين[1].

وفي شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين خرج علي من المدينة في نحو تسعمائة مقاتل، وارسل من يستنصر بأهل الكوفة، لكنهم لم ينصروه لأنهم يريدون الاقتصاص أولاً من قتلة عثمان، ثم حاول ابنه الحسن وعمار بن ياسر فاستجاب نهما من أهل الكوفة تسعة آلاف. وبعث علي القعقاع رسولاً إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة، فبدأ بعائشة رضي الله عنها ثم تكلم مع طلحة والزبير فتوافقوا على الصلح، إلا أن قتلة عثمان حاكوا مؤامرة فأثاروا القتال بين الفريقين، وقامت الحرب، وكان ذلك في جمادى الآخرة، وكان مع علي عشرون ألفاً، والتف على عائشة ومن معها نحواً من ثلاثين ألفاً. أما طلحة فأصابه سهم فمات، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين، وانهزم جيش عائشة رضي الله عنها[2].

ثم دخل علي البصرة فبايعه أهلها حتى الجرحى، ثم استأذن علي على أم

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٣٠ ـ ٢٣٤، وتاريخ ابن خلدون القسم الثاني من الجزء الثاني ص ١٥٣ ـ ١٥٧.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٨٤ ـ ٢١٩، والبداية والنهاية ٧/ ٢٣٠ ـ ٢٤٦، وتاريخ ابن خلدون القسم الثاني ص ١٥٣ ـ ١٦٤.

المؤمنين فدخل عليها، ورحبت به، ولما أرادت الخروج من البصرة اختار علي لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ليخرجن معها. فلما ودعها الناس قالت لهم: يا بني، لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القِدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار» فخرجت إلى مكة ثم إلى المدينة[1].

خبر مصر

في سنة ست وثلاثين ولى علي بن أبي طالب نيابة مصر لقيس بن سعد بن عبادة، فبايع أهل مصر علياً إلا قرية منها يقال لها خربتا في عشرة آلاف فوادعها قيس. ثم ولى علي بعد ذلك أمر مصر إلى محمد بن أبي بكر[2].

أمر معاوية

أما معاوية فرفض مبايعة علي، فأرسل له علي من الكوفة برسالة يحضه فيها على المبايعة والدخول بما دخلت به الجماعة، فرفض، وتتابعت المراسلات بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بدون جدوى، ورفض علي ترك أمر الشام إلى معاوية. لكن معاوية استفاد من خبرة عمرو بن العاص، فتعاقدا على إعطاء مصر لعمرو وبالمقابل يساعد معاوية ضد علي.

موقعة صفين

خرج علي من الكوفة يريد معاوية في الشام، فالتقى بجيش معاوية في صفين، فتواجه الفريقان وتقابلا طويلاً وذلك في أوائل ذي الحجة؛ وكانت ماء الفرات من جهة أهل الشام، ولما التحم الفريقان أزال أولاً أهل العراق أهل الشام عن الماء، ثم اصطلحوا على ورود الماء جميعاً ولا يؤذي أنسان إنساناً.

وتهادن الفريقان أول سنة سبع وثلاثين، وفي أول يوم صفر بدأ القتال، وكان صحاب علي خمسين ألفاً وقيل تسعين، وأصحاب معاوية سبعين ألفاً[3]،

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٥٣، وتاريخ الطبري ٥/ ٢٢٦ ـ ٢٣٢.

(٣) انظر تاريخ الإسلام جزء الخلفاء الراشدين ص ٥٤٢.

وبعد عشرة أيام من القتال كان قد قتل بعض أمراء الأجناد وقتل عمار بن ياسر وكان مع علي، فتذكر الناس حديث رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»، فأجاب عن ذلك معاوية: «إنما قتل عماراً من جاء به».

وبدا التعب على أهل الشام فرفعوا المصاحف، وتوقف أهل العراق عن القتال، لكن علياً حضهم على متابعة الحرب فلم يجيبوه، ولجأوا إلى التحكيم[١].

التحكيم

وبعد مراسلات ومراجعات بين معاوية وعلي استقر الرأي على أن يحكم كل واحد من الأميرين رجلاً من جهته، فوكل معاوية عمرو بن العاص ووكل علي أبا موسى الأشعري. وأخذ الحكمان من علي ومن معاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، وأجلا القضاء إلى رمضان وذلك بدومة الجندل، وأطلق كل فريق أسرى الفريق الآخر.

وفي رمضان، وبحضور كبار الصحابة، وبعد حوار وخلاف، اتفق الحكمان على أن يخلع كل واحد منهما صاحبه ويتركا الأمر شورى، فقام أولاً أبو موسى الأشعري فخلع علياً، ثم قام عمرو فثبَّت معاوية وحياه بتحية الخلافة. فقام علي في أصحابه خطيباً غير راض عمَّا آلت الأمور إليه، وطلب منهم المسير إلى الشام[٢].

أمر الخوارج

وحال بين علي وبين المسير إلى الشام انقسام أهل العراق، وقيام الخوارج الذين زعموا أن قبول مبدأ التحكيم كفر واحتكام لهوى البشر، فناقشهم ابن عباس في الأمر فرجع بعضهم عن غيهم. ثم عبأ علي أصحابه لقتال الخوارج بعد أن قتلوا نسوة بريئات ورجلين، فالتقى الجمعان، فهزم الخواج ولم ينج منهم إلا ثمانية أشخاص[٣].

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٨٤، وتاريخ ابن خلدون القسم الثاني ٢/ ١٧٧ ـ ١٧٨، وتاريخ الطبري ٦/ ٤٠.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون القسم الثاني ٢/ ١٨٠ ـ ١٨١، والبداية والنهاية ٧/ ٢٨٩، والكامل ٣/ ١٧٢ ـ ١٧٥.

رجوع علي إلى الكوفة

لما فرغ علي من أمر الخوارج، أراد أن يتابع مسيره إلى أهل الشام، إلا أن بعض جنده اعتذر إليه، وأرادوا إعادة تجهيز أنفسهم، فعاد إلى الكوفة وعسكر بهم في النخيلة، وأمرهم أن يلزموا عسكرهم، فتسلل كثير منهم إلى داخل الكوفة، وتثاقلوا عن الحرب، فخاطبهم علي وحثهم على القتال وتوعدهم وهددهم، لكنهم لم يستجيبوا لذلك، وتفرقوا عنه[١].

أمر مصر

ذكرنا أن علياً ولى على مصر محمد بن أبي بكر الصديق، ففسدت مصر في عهده، وقام جماعة يطالبون بدم عثمان، فلما علم علي بذلك عزله وولى عليها الأشتر. وقبل أن يصل الأشتر إلى مصر حاك له معاوية خديعة فقتله بشربة عسل مسمومة. وجهز معاوية عمرو بن العاص ومعه ستة آلاف رجل وأرسله إلى مصر، فتمكن عمرو من مصر بعد أن قتل محمد بن أبي بكر وتغلب على جيشه، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين[٢]. فلما علم علي بالأمر قام خطيباً في الناس، ومما قاله: «. . . واستصرخكم معلناً، وأناديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولاً . . . فأنتم القوم لايدرك بكم الثأر . . . دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليست له نية في جهاد العدو . . .[٣]».

أمر البصرة

وفي سنة ثمان وثلاثين، وبعد أن تم لمعاوية أمر مصر سير إلى البصرة عبد الله الحضرمي، فلما قدم البصرة خرج منها عبد الله بن عباس إلى الكوفة، واستخلف عليها زياد بن أبيه، فنصره كثير من أهلها، فأرسل علي إلى أهل البصرة جارية بن قدامة السعدي فدعا أهلها إلى علي فاستجاب له كثير من أهلها وقاتل ابن الحضرمي فهزمه وقتله[٤].

---

(١) الكامل ٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧، والبداية والنهاية ٧/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩.

(٢) انظر الكامل ٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠، وتاريخ الطبري ٦/ ٥١ ـ ٦٠، والبداية والنهاية ٧/ ٣١٣ ـ ٣١٧.

(٣) عن الكامل ٣/ ١٨٠ ـ ١٨١.

(٤) عن الكامل ٣/ ١٨١ ـ ١٨٢.

سرايا معاوية

في سنة تسع وثلاثين فرق معاوية جيوشه في العراق وغيرها ليدخلها في طاعته فوجه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى **عين التمر**. ووجه سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل إلى **هيت** ثم يأتي **الأنبار والمدائن**. ووجه عبد الله بن مسعدة ابن حكمة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى **تيماء** وبلغ أيضاً **مكة والمدينة**. ووجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف رجل وأمره أن يمر بأسفل **واقصة**[١]، ويغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب. أما عثمان وسفيان فتغلبا على ما سارا إليه، وأما عبد الله ومعاوية فاستطاع جيش علي أن يردهما[٢].

وفي سنة أربعين بعث معاوية بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف إلى المدينة، فهرب عامل علي عليها، ودخل بسر **المدينة** ولم يقاتله أحد. ثم سار إلى مكة ودخلها. ثم مضى إلى **اليمن** فهرب عامل علي عليها إلى الكوفة. فلما علم علي بالأمر أرسل جارية بن قدامة السعدي في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين، فسار جارية حتى أتى نجران فقتل بها ناساً من شيعة عثمان وهرب بسر وأصحابه منه[٣].

مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

في سنة أربعين قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وسبب ذلك أن ثلاثة من الخوارج تعاهدوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وذلك في ليلة واحدة. أما ابن ملجم فانتظر علياً ليلة الجمعة قبيل الفجر أمام المكان الذي يدخل منه إلى المسجد، فلما دخل علي بادره ابن ملجم فضربه بالسيف على جبهته فوصل إلى دماغه، فعاش علي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً. وقطعت أطراف ابن ملجم وأحرقوه بالنار[١].

---

(١) انظر الكامل ٣/ ١٨٨ ـ ١٩٠.

(٢) انظر الكامل ٣/ ١٩٢ ـ ١٩٣، والطبري ٦/ ٨٠ ـ ٨١، والبداية والنهاية ٧/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٣) انظر الكامل ٣/ ١٩٥ ـ ١٩٧.

وقبل وفاته رضي الله عنه دعا الحسن والحسين فقال لهما: «أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصيماً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم، ثم نظر إلى محمد بن الحنفية ابنه فقال: «هل حفظت ما أوصيت به أخويك»؟ قال: نعم، قال: «فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك، وتزين أمرهما، ولا تقطع أمراً دونهما، ثم قال: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه»[٢].

أما الذي أراد قتل معاوية فأخطأه فقتل. وأما الذي أراد قتل عمرو فإن عمرو لم يخرج تلك الليلة، لألم في بطنه، فصلى بالناس صاحب الشرطة فقتل مكانه.

خلافة الحسن

وبعد وفاة علي رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن رضي الله عنه. وأول من بايعه قيس بن سعد، ثم بايعه الناس. وكان يشترط عليهم أن يسمعوا ويطيعوا ويسالموا من سالم، ويحاربوا من حارب، فارتابوا وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد القتال. وبلغ الخبر بمقتل علي إلى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمير المؤمنين.

حياة الحسن وفضائله

هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أبو محمد، سبط رسول الله عليه الصلاة والسلام وريحانته. ولد سنة ثلاث من الهجرة في النصف من رمضان. روي أنه حج خمساً وعشرين حجة ماشياً. كان جواداً كريماً. أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وزوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي. روي له عن النبي ﷺ أحاديث. وروت عنه عائشة رضي الله عنها وكثير من التابعين. كان شبيهاً بالنبي ﷺ سماه النبي ﷺ «الحسن»، وعقّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يتصدق بزنة شعره.

---

(١) الكامل ٣/ ١٩٧.

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن البراء قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه». وأخرج البخاري عن أبي بكرة قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1].

تسليم الحسن الخلافة إلى معاوية.

في سنة إحدى وأربعين بلغ الحسن أن معاوية سار في أهل الشام إليه، فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا علياً على الموت قبل مقتله وعددهم أربعون ألفاً، وسار حتى عسكر بظاهر المدائن، لكن المعسكر عمه الفوضى لدى مقتل أحد القواد حتى انتهبوا سراديق الحسن. فكتب إلى معاوية يراوده على الصلح، فاصطلحا على شروط منها أن لمعاوية الإمامة ما كان حياً، فإذا مات فالأمر للحسن[1].

فلما تم الصلح صعد الحسن إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، إن الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة، تحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت، وقد سالمت معاوية، وبايعته فبايعوه، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين»[3].

ثم بايع أهل الكوفة معاوية، ولحق الحسن وأهله بالمدينة، وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة. وكانت خلافة الحسن خمسة أشهر ونحو نصف شهر[4].

الأمور الشرعية في عهده

اشتهر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقضي بين

---

(١) انظر: تاريخ الخلفاء ص ١٨٦ ـ ١٨٨، وشذرات الذهب ١/ ٥٥ ـ ٥٦، والكامل ٣/ ٢٢٨.

(٢) انظر: الكامل ٣/ ٢٠٣، والبداية والنهاية ٨/ ١٤ ـ ١٥، وتاريخ الطبري ٦/ ٩٣ ـ ٩٤.

(٣) عن الإمامة والسياسة ١/ ١٤١.

(٤) الكامل ٣/ ٢٠٤.

الناس، حتى اشتهرت عنه بعض الفتاوى في زمن النبي ﷺ. وقد قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أقرؤنا أُبَي، وأقضانا علي، وإنا لندع من قول أُبي وذاك أن أبياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾[1]. وقال علي عن نفسه: «ما شككت في قضاء بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا»[2] وقد ورد عن عائشة أنها كانت تقول: «أعطي علي تسعة أعشار العلم وإنه لأعلمهم بالعشر الباقي»[3].

أهم الوفيات في عهده

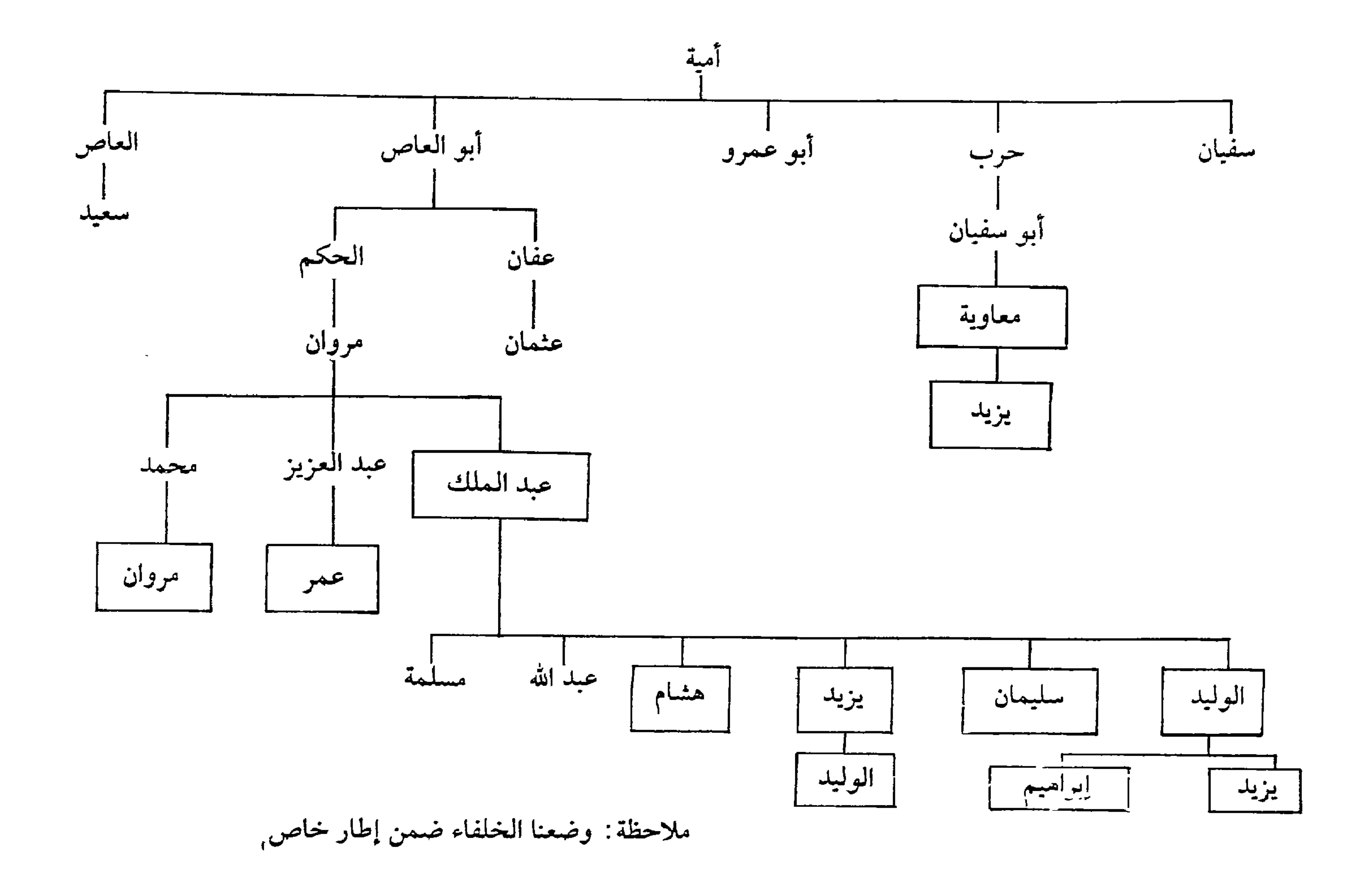
وممن توفي في عهد علي بن أبي طالب الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله ﷺ قتل يوم الجمل. وممن مات سنة سبع وثلاثين عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم أحد كتاب الوحي للنبي ﷺ قتله الخوارج. وقتل في هذه السنة عمار بن ياسر كما قدمنا. وفي سنة ثمان وثلاثين قتل محمد بن أبي بكر الصديق، وتوفيت فيها أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب ثم تزوجها أبو بكر الصديق، ثم تزوجها علي بن أبي طالب.

---

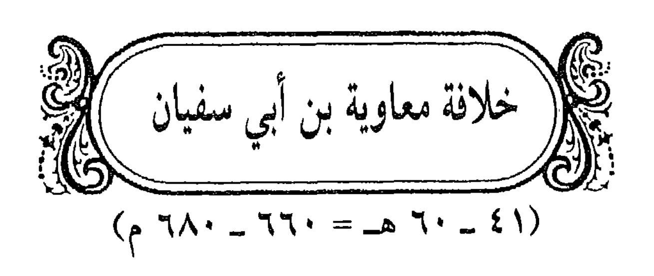
(١) أخرج الحديث البخاري في صحيحه ٦/ ٢٣ ـ ٢٤. وقد ورد الحديث مرفوعاً إلى النبي ﷺ برواية البغوي (انظر فتح الباري ٨/ ١٦٧).

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٢.

(٣) المصدر السابق ص ٤٢.



ملاحظة: وضعنا الخلفاء ضمن إطار خاص,



خلافة معاوية بن أبي سفيان

(٤١ ـ ٦٠ هـ = ٦٦٠ ـ ٦٨٠ م)

نسبه

هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي، أبو عبد الرحمن. وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

حياته وأزواجه وأولاده

أسلم معاوية عام الحديبية وكان يكتم إسلامه من أبي سفيان، حتى دخل رسول الله ﷺ مكة فأظهر إسلامه، وقيل أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة. شهد مع رسول الله ﷺ من الحروب حنيناً والطائف، وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة من الإبل وأربعين أوقية من الذهب وكان من المؤلفة قلوبهم.

كان من الموصوفين بالدهاء والحلم، مهيب الطلعة، بعيد الأناة. أول من اتخذ الحرس من الخلفاء، وأول من اتخذ ديوان الخاتم وحزم الكتب.

أما نساؤه وأولاده. فكان تزوج **فاختة بنت قرظة** فولدت له عبد الرحمن وبه يكنى وعبد الله. وتزوج أختها بعد موتها **كنوة بنت قرظة**. وتزوج **نائلة بنت عمار** الكلبية. وتزوج ميسون **بنت بحدل** فولدت له يزيد وبنتاً سماها أمة رب المشارق.

فضائله

كان معاوية أحد كتاب الوحي للنبي ﷺ، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين. جاهد وفتح البلاد بعدما تولى الإمارة بعد وفاة أخيه كما أسلفنا في عهد عمر، ثم في عهد عثمان، ثم في عهد علي، حتى استقرت له الخلافة

بعدما صالحه الحسن. يقال كانت إمارته عشرين سنة، وخلافته عشرين سنة[1].

أعماله في خلافته

سنة إحدى وأربعين

الخوارج

سار الخوارج في خمسمائة رجل لقتال معاوية، فأرسل معاوية إليهم جمعاً من أهل الشام، فانهزم أهل الشام. ثم أرسل إليهم جمعاً من أهل الكوفة فهزموهم وقتلوهم وذلك في ربيع الأول.

ثم اجتمع الخوارج مرة أخرى وولوا عليهم حوثرة بن وداع الأسدي، فأخرج إليهم معاوية عبد الله بن عوف الأحمر في ألفين فقاتلهم فقتل حوثرة، وبقي منهم خمسين رجلاً فدخلوا الكوفة، وذلك في جمادى الآخرة[2].

سنة ثنتين وأربعين

فيها غزا المسلمون اللان[3] **والروم** فقتلوا من أمرائهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً.

وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم نيابة المدينة، وجعل على مكة خالد بن العاص بن هشام، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى قضائها شريح القاضي وعلى البصرة عبد الله بن عامر، وعلى خراسان قيس بن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر[4].

سنة ثلاث وأربعين

فيها غزا بسر بن أرطأة بلاد الروم، وتوغل فيها حتى بلغ القسطنطينية.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ٨/ ١١٤ ـ ١٤٦، والطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٥، وتاريخ الخلفاء ص ١٩٤ ـ ٢٠٥، والكامل في التاريخ ٣ج٢٦١ ـ ٢٦٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥، وتاريخ الطبري ٦/ ١٨٠ ـ ١٨٣.

(٢) انظر الكامل ٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦، وتاريخ الطبري ٦/ ٩٥ ـ ٩٨، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢.

(٣) اللان: بلاد واسعة في طرف أرمينية، قرب باب الأبواب، مجاورة للخزر (معجم البلدان ٥/ ٨ ـ ٩).

(٤) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢٤ ، والكامل ٣/ ٢١٠ ـ ٢١١.

وفيها مات عمرو بن العاص بمصر، فولى معاوية بعده ولده عبد الله، فعمل عليها سنتين.

وفيها اجتمع الخوارج وولوا عليهم المستورد بن علفة التيمي وهم ثلاثمائة رجل، فجهز المغيرة بن شعبة جنداً عليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف، فهزمهم معقل بعد قتال شديد وقتل المستورد وتشتت شملهم[1].

سنة أربع وأربعين

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون، وشتوا هناك.

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة، بعد أن ظهر فيها الفساد، وكان رجلاً سهلاً ليناً يريد أن يتألف الناس، وولى عليها الحارث بن عبد الله الأزدي[2].

سنة خمس وأربعين

فيها عزل معاوية الحارث الأزدي عن ولاية البصرة، وولى عليها زياد بن أبيه، ويقال له زياد بن أبي سفيان. واستعمله أيضاً على خراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان، وخافه الناس بعدما أقام أمر السلطان، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة، واستعان بجماعة من الصحابة، فولى عمران بن حصين على قضاء البصرة، وولى سمرة بن جندب وأنس ابن مالك وعبد الرحمن بن سمرة.

سنة سبع وأربعين

فيها وجه زياد بن أبيه الحكم بن عمرو إلى جبال الغور[3] فغزا من بها،

---

(١) انظر: تاريخ الطبري فيه كلام مفصل حول محاربة الخوارج ٦/ ١٠٣ ـ ١٢٠.

(٢) انظر: الكامل ٣/ ٢١٩ ـ ٢٢١، والبداية والنهاية ٨/ ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) جبال الغور: جبال وولاية بين هراة وغزنة، وهي بلاد واسعة باردة موحشة، وهي لا تنطوي على مدينة مشهورة (معجم البلدان ٤/ ٢١٨).

وكانوا ارتدوا فأخذهم بالسيف عنوة. وفي الطريق مات الحكم فوُلّيّ المهلب بن أبي صفرة، فغزا بعض جبال الترك[1].

سنة تسع وأربعين

فيها سير معاوية جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم، وجعل عليهم سفيان بن عوف، وألحق بهم ابنه يزيد في جيش فيهم عبد الله بن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري، فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية. وفيها قتل أبو أيوب الأنصاري ودفن هناك.

وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة في ربيع الأول، وأمّر سعيد بن العاص عليها.

وفي هذه السنة توفي سبط رسول الله ﷺ وريحانته الحسن بن علي بن أبي طالب، وصلى عليه سعيد بن العاص.

سنة خمسين

في هذه السنة اشتد أمر زياد بن أبيه على الخوارج فقتلهم، وأمر سمرة بن جندب وكان استخلفه على الكوفة، في قتلهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً.

وفيها أراد معاوية نقل منبر رسول الله ﷺ وعصاه من المدينة إلى الشام، لأن في أهل المدينة من قتل عثمان، فحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية، فأعظم الناس ذلك فتركه.

وفيها عزل معاوية عقبة بن نافع عن افريقية وولى عليها مسلمة بن مخلد.

سنة ثلاث وخمسين

فيها فتحت جزيرة رودوس، على يدي جنادة بن أبي أمية الأزدي، فأقام بها المسلمون يعترضون على الكفار في البحر ويقطعون سبيلهم. وكانوا على حذر من الروم، حيث كانوا يبيتون في حصن عظيم فيه حوائجهم ودوابهم[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٢٩ ـ ١٣٠، والكامل ٣/ ٢٢٦.
(٢) البداية والنهاية ٨/ ٦١، والكامل ٣/ ٢٤٤.

سنة أربع وخمسين

فيها فتح جنادة بن أبي أمية جزيرة أرواد، وأقام فيها المسلمون سبع سنين. وكان معهم مجاهد بن جبر.

وفيها استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة، واستعمل عبد الله بن عمرو بن غيلان على البصرة [1]. واستعمل عبيد الله بن زياد بن أبيه على خراسان بعد وفاة زياد. فسار إلى خراسان، فقطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ففتح رامني ونسف وبيكند، وغنم منهم غنائم كثيرة[2].

سنة ست وخمسين

البيعة ليزيد بولاية العهد

في هذه السنة أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد بناء على مشورة المغيرة بن شعبة، فبايع له الناس في سائر الأقاليم إلا عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وابن عباس[3].

سنة ثمان وخمسين

الخوارج في الكوفة

فيها خرج الخوارج الذين كان المغيرة بن شعبة قد حبسهم، وبايعوا حيان بن ظبيان. وخرجوا إلى نانقيا فسار إليهم الجيش من الكوفة فقتلوهم جميعاً.

الخوارج في البصرة

وفي هذه السنة حبس عبيد الله بن زياد الخوارج الذين كانوا يعيبون السلطان في البصرة، ثم دعاهم وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً ويخلي سبيل القاتلين، ففعلوا فأطلقهم، وأرادوا التوبة فما عذرهم أصحابهم. ثم قاتلوا شرطة البصرة يريدون الوصول إلى عبيد الله بن زياد فقتل منهم الكثير[4].

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٦٦ ـ ٦٧، والطبري ٦/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٢) الكامل ٣/ ٢٤٧.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٥٢.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ٢٥٢.

سنة ستين

وفاة معاوية

خطب معاوية قبل مرضه فقال: «إني كزرع مستحصد، وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي، ولن يأتيكم بعدي إلا من أنا خير منه، كما أن من قبلي كان خيراً مني. وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي، وبارك لي فيه»[1] فلم يمض غير قليل حتى ابتدأ به مرضه، فحذر ابنه من النفر الذين لم يبايعوه، وحذره أشد الحذر من ابن الزبير.

وكان موت معاوية في شهر رجب بدمشق، وكانت مدة خلافته استقلالاً من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي، تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر. وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة، وقيل خمساً وسبعين سنة وقيل ثمانياً وسبعين سنة[2].

أهم الوفيات في عهده

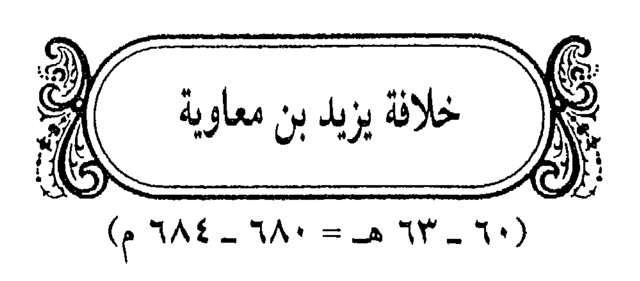
توفي سنة ثلاث وأربعين عمرو بن العاص أحد أهم القواد الكبار في التاريخ الإسلامي وفي سنة أربع وأربعين توفيت أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين. وفي سنة خمس وأربعين توفي زيد بن ثابت الأنصاري أحد كتاب الوحي، وهو الذي كتب المصحف الإمام الذي أرسل إلى الشام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفيها أيضاً توفيت حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين. وفي سنة تسع وأربعين توفي الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سبط رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة وريحانته وأشبه خلق الله به في وجهه. وفي سنة خمسين توفيت صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين من سلالة هارون عليه السلام. وفي نفس السنة مات دحية بن خليفة الكلبي الصحابي، كان جميل الصورة، وكان جبريل يأتي كثيراً

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٥٩.

(٢) انظر الكامل ٣/ ٢٦٠، والبداية والنهاية ٨/ ١١٥ ـ ١١٦، والطبري ٦/ ١٨٠ ـ ١٨١، وابن خلدون ٣٠/ ١٨ ـ ١٩، وتاريخ الخلفاء ص ١٩٨.

في صورته. وفيها توفي المغيرة بن شعبة أحد دهاة العرب. وفيها توفيت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث. وفي سنة أربع وخمسين توفي أسامة بن زيد بن حارثة وهو الذي قاد أول حملة بعد وفاة النبي ﷺ. وفي سنة خمس وخمسين توفي الأرقم بن أبي الأرقم صاحب الدار التي كان يأوي إليها رسول الله ﷺ ومن أسلم من قريش حينما كان بمكة. وفيها توفي سعد بن أبي وقاص أحد كبار القواد المسلمين. وفي سنة ثمان وخمسين توفي سعيد بن العاص أحد أمراء عثمان بن عفان ومعاوية. وفيها توفي عبد الرحمن بن أبي بكر شقيق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما. وفيها توفيت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق وزوجة رسول الله ﷺ وأحب أزواجه إليه. وفي سنة تسع وخمسين توفي الحطيئة الشاعر واسمه جرول بن مالك. وفيها توفي أبو هريرة الدوسي أحد كبار الصحابة.



خلافة يزيد بن معاوية

(٦٠ ـ ٦٣ هـ = ٦٨٠ ـ ٦٨٤ م)

نسبه وحياته

هو يزيد بن معاوية أبو خالد الأموي، ولد سنة خمس أو ست وعشرين، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية. بويع له بالخلافة في حياة أبيه. كان له من الولد معاوية بن يزيد وخالد يكنى أبا هاشم وأبو سفيان وأمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة. وله أيضاً عبد العزيز وكان من أرمى العرب وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر. وله عبد الله الأصغر وأبو بكر وعتبة وعبد الرحمن والربيع ومحمد ويزيد وحرب وعمر وعثمان. وله من البنات عاتكة ورملة وأم عبد الرحمن وأم يزيد وأم محمد.

كان فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك. وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات[1].

أعماله في خلافته

لما تولى يزيد الأمر كان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص. وعلى البصرة عبيد الله بن زياد. وعلى الكوفة النعمان بن بشير. ولم يكن يهم يزيد إلا أمر بيعة النفر الذين أبوا على معاوية

(١) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام جزء حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٥، وشذرات الذهب ١/ ٧١، والكامل ٣/ ٣١٦ ـ ٣١٨، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢٦ ـ ٢٣٧، وتاريخ الخلفاء ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

بيعته. فطلب يزيد من الوليد بن عتبة أن يجبر الحسين وابن الزبير وعبد الله بن عمر على البيعة له. فخرج ابن الزبير إلى مكة ولحق به الحسين. أما ابن عمر فقال إن بايع الناس بايعت[1].

غزو مكة

عزل يزيد الوليد بن عتبة عن المدينة واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق، فاستعمل عمرو على شرطته عمرو بن الزبير، وكان بينه وبين أخيه عبد الله بغضاء، فجهز جيشاً في ألفي رجل لغزو عبد الله في مكة، فالتقى بجيش عبد لله بن الزبير فانهزم وتفرق عنه أصحابه، وعظم شأن عبد الله بن الزبير في الحجاز[2].

موقف الحسين

كثر ورود الناس على الحسين في مكة، وكثر ورود الكتب عليه من العراق يدعونه إليهم. فأرسل إلى العراق مسلم بن عقيل ليرى الأمر. فلما دخل الكوفة والتقى بأتباع الحسين، علم بذلك أمير الكوفة النعمان بن بشير فجمعهم وحذرهم من الفرقة والفتنة. فلما علم يزيد بوقفة النعمان الضعيفة أقاله وعهد أمر الكوفة ثانية إلى عبيد الله بن زياد وكان أيضاً على البصرة. ولما دخل عبيد الله الكوفة بث عيناً له لطلب مسلم بن عقيل لكي يقتله، فقتله وبعث برأسه إلى يزيد[3].

مسير الحسين إلى الكوفة

أجمع الحسين أمره للمسير إلى الكوفة رغم نصح الناصحين، وفي الطريق التقى بالفرزدق الشاعر فسأله الخبر، فأجاب الفرزدق: «قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء». ووصل إلى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل، فناشده أصحابه الرجوع، فأبى إلا الإقدام، ثم أتاه خبر مقتل أخيه من الرضاعة، فأخبر أصحابه وقال: قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف، فانصرف الناس عنه إلا من جاء معه من مكة.

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٩ ـ ٢٠، والكامل ٣/ ٦٣ ـ ٦٥، والبداية والنهاية ٨/ ١٤٧ ١٤٨.

(٢) انظر البداية والنهاية ٨/ ١٤٨ ـ ١٤٩، والكامل ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٣) الكامل ٣/ ٢٦٦ ـ ٢٧٥، والبداية والنهاية ٨/ ١٥١ ـ ١٥٧، والطبري ٦/ ١٩٥ ـ ٢١٥.

مقتل الحسين

ودخلت سنة إحدى وستين، فعرض الحسين على عبيد الله بن زياد الصلح فأبى إلّا النزول على حكمه أو القتال، فاختار الحسين القتال. وفي يوم عاشوراء، وكان منزلهم كربلاء، عبأ عمر بن سعد أمير جيش عبيد الله بن زياد جيشه، وخطب الحسين فيمن معه، ثم وقع القتال، وترامى الناس بالنبل، وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين، والنصر في ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم، وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قتل بان فيهم الخلل لقلتهم. ودافع عن الحسين صناديد أصحابه حتى قتل من أهل البيت علي الأكبر ابن الحسين ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر، ثم قتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبي طالب، ثم قتل القاسم بن الحسن بن أبي طالب. ومكث الحسين نهاراً طويلاً وحده لا يأتي أحد إليه إلا رجع عنه لا يحب أن يلي قتله، ثم تكاثر عليه الرجال فقتلوه رضي الله عنه واحتزوا رأسه وأرسلوه إلى ابن زياد الذي أرسله إلى يزيد[1].

سنة ثنتين وستين

أمر أفريقية

أعاد يزيد تولية عقبة بن نافع على أفريقية هذه السنة، فوصل إلى القيروان، وقبض على أميرها وأوثقه في الحديد. ثم سار في عسكر عظيم حتى دخل مدينة **باغايا**[2]، وكان اجتمع فيها كثير من الروم فقاتلوه قتالاً شديداً، ثم انهزموا عنه، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً.

ثم سار إلى أربة[3] فامتنع من بها هناك من الروم وهرب بعضهم إلى الجبال، فقاتل المسلمون من بالمدينة فهزموهم. ثم استعان الروم بالبر فاجتمعوا في جمع

---

(١) انظر الكامل ٣/ ٢٧٩ ـ ٣٠١، والبداية والنهاية ٨/ ١٧٢ ـ ١٩٧، والإمامة والسياسة ٢/ ٣ ـ ٧، وتاريخ الخلفاء ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢١ ـ ٢٢، وتاريخ الطبري ٦/ ٢١٥ ـ ٢٦٧.

(٢) باغايا: مدينة كبيرة في أقصى أفريقية بين مجّانة وقسنطينية (معجم البلدان ١/ ٣٢٥).

(٣) أَرَبَة: اسم مدينة بالمغرب من أعمال الزاب، وهي أكبر مدن الزاب (معجم البلدان ١/ ١٤٠).

كثير واقتتلوا قتالاً شديداً، واشتد الأمر على المسلمين لكثرة العدد، ثم نصرهم الله تعالى وغنموا غنائم كثيرة.

ثم سار عقبة حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم، فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه، ثم سأله عن الأندلس فعظم الأمر عليه، فسأله عن البربر فقال: هم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله وهم بالسوس الأدنى[1]، وهم كفار لم يدخلوا في النصرانية ولهم بأس شديد. فسار نحوهم، فلاقاه البربر في جمع كثير، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وبعث خيله في كل مكان هربوا إليه.

ثم سار حتى وصل إلى السوس الأقصى فلقي البربر في جمع لا يحصى فقاتلهم وهزمهم وغنم منهم وسبى سبياً كثيراً.

ثم سار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط، فقال: يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك، ثم عاد في طريقه فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفاً منه[2].

سنة ثلاث وستين

وقعة الحرة

خلع أهل المدينة يزيداً وبايعوا عبد الله بن حنظلة، فاستغاث من بالمدينة من بني أمية بيزيد، فأرسل لهم جيشاً عليهم مسلم بن عقبة المري، وطلب منه استباحة المدينة ثلاثة أيام. فلما وصل مسلم إلى المدينة دعاهم إلى السلم أو المحاربة بعد ثلاث، فاختاروا الحرب. ووقع القتال في الحرة وكان قتال كر وفر حتى قتل عبد الله بن حنظلة وانهزم أصحابه، وكانت وقعة الحرة لليلتين بقيتا من ذي الحجة[3].

---

(١) السوس الأدنى: كورة بالمغرب، مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى، منها إلى السوس الأدنى مسيرة شهرين (معجم البلدان ٣/ ٢٨١).

(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٣٠٨.

(٣) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢١٧ ـ ٢٢١، والكامل٣/ ٣١٠ ـ ٣١٦، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٢٣ ـ ٣٢.

سنة أربع وستين

أمر مكة

لما فرغ مسلم بن عقبة من الحرة، توجه إلى المدينة، واستخلف على المدينة روع بن زنباع الجذامي، وأدرك مسلماً الموت، وعهد بالأمر إلى حصين بن نمير، فقدم إلى مكة لأربع بقين من المحرم، فحاصرها شهر صفر، ورموا ابن الزبير بالمنجنيق، واحترق بيت الله الحرام من شررة من نار أوقدت حول الكعبة. وأقام أهل الشام يحاصرون ابن الزبير حتى بلغهم وفاة يزيد بن أبي سفيان، فخمدت الحرب وانطفأت نار الفتنة[1].

وفاة يزيد

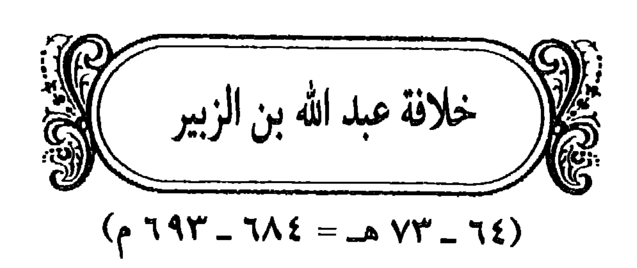
مات يزيد بحوارين من قرى دمشق في الرابع عشر من ربيع الأول، وكانت ولايته بعد أبيه في منتصف رجب سنة ستين. وقيل في سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضته وقيل غير ذلك. حمل بعد موته إلى دمشق وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد، ودفن بمقابر باب الصغير.

أهم الوفيات في عهده

في سنة إحدى وستين قتل الحسين رضي الله عنه كما أسلفنا. وفيها توفي شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري الحجبي صاحب مفتاح الكعبة. وفيها توفيت أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية. وفي سنة ثنتين وستين توفي عقبة بن نافع الفهري بعد فتوحاته في افريقية. وفي سنة أربع وستين قتل النعمان بن بشير أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة للأنصار فحنكه النبي ﷺ وبشر أمه بأنه يعيش حميداً ويقتل شهيداً حيث قتل في حصار مكة.

---

(١) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٣ ـ ٣٤، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦، والكامل ٣/ ٣١٦، وتاريخ الطبري ٧/ ١٣ ـ ١٥، وأخبار مكة المشرفة ٢/ ١٦٨ ـ ١٧٠.



خلافة عبد الله بن الزبير

(٦٤ ـ ٧٣ هـ = ٦٨٤ ـ ٦٩٣ م)

نسبه

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، كنيته أبو بكر وقيل أبو خبيب. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. وأبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. وأم أبيه صفية عمة النبي ﷺ.

حياته وفضائله

ولد بالمدينة عام الهجرة، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، روى الحديث عن رسول الله ﷺ، شهد وقعة اليرموك وغزا القسطنطينية والمغرب، وكان فارس قريش في زمانه. بنى الكعبة في أيام ولايته وكساها الحرير، وكان يطيب الكعبة حتى كان يوجد ريحها من مسافة بعيدة.

كان ابن الزبير عالماً عابداً مهيباً وقوراً كثير الصيام والصلاة، شديد الخشوع، جيد السياسة. روي أنه كان له مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته(١).

الأحداث في زمن ابن الزبير

سنة أربع وستين

في سنة أربع وستين وبعد وفاة يزيد بويع عبد الله بن الزبير بالحجاز، وبويع معاوية بن يزيد بالخلافة بالشام. وبايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد ثم مسحوا

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٤٣٥ ـ ٤٤٧. والبداية والنهاية ٨/ ٣٣٢ ـ ٣٤٥، وتاريخ الخلفاء ص ٢١١ ـ ٢١٤.

أكفهم بالحيطان ورفض أهل الكوفة مبايعته. ثم جاء إلى البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلي ودعا إلى بيعة ابن الزبير فبايعه الناس. واجتمع لابن الزبير البصرة والكوفة. ثم أرسل إلى مصر فبايعوه، ثم إلى اليمن وخراسان وإلى الضحاك بن قيس بالشام فبايعوه جميعاً.

أما معاوية بن يزيد فكان رجلاً مريضاً تولى الأمر فترة قصيرة قيل أربعين يوماً وقيل شهرين وقيل غير ذلك، ثم توفي عن إحدى وعشرين ولم يوص لأحد.

بيعة مروان بن الحكم

وسبب ذلك أن معاوية بن يزيد عزم على بيعة ابن الزبير، وكان قد بايعه زفر بن عبد الله الكلابي بقنسرين، ونائل بن قيس بفلسطين. فلما مات معاوية بن يزيد حاول ابن زياد والحصين بن نمير إقناع مروان بن الحكم أن يتولى الأمر، وحذروه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام، فوافقهم على ما أرادوا، فبايعه الناس يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين. فلما تمهد له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس فالتقيا بمرج راهط، فغلبه مروان وقتله وذلك في ذي الحجة[1].

هدم الكعبة وبناؤها

في هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة بعد أن مال جدارها من رمي المنجنيق. ثم أعاد بناءها على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيها عليه من الشكل، فأدخل فيها الحجر وجعل لها باباً شرقياً وباباً غربياً، وألصق بابها بالأرض[2].

فتح مروان لمصر

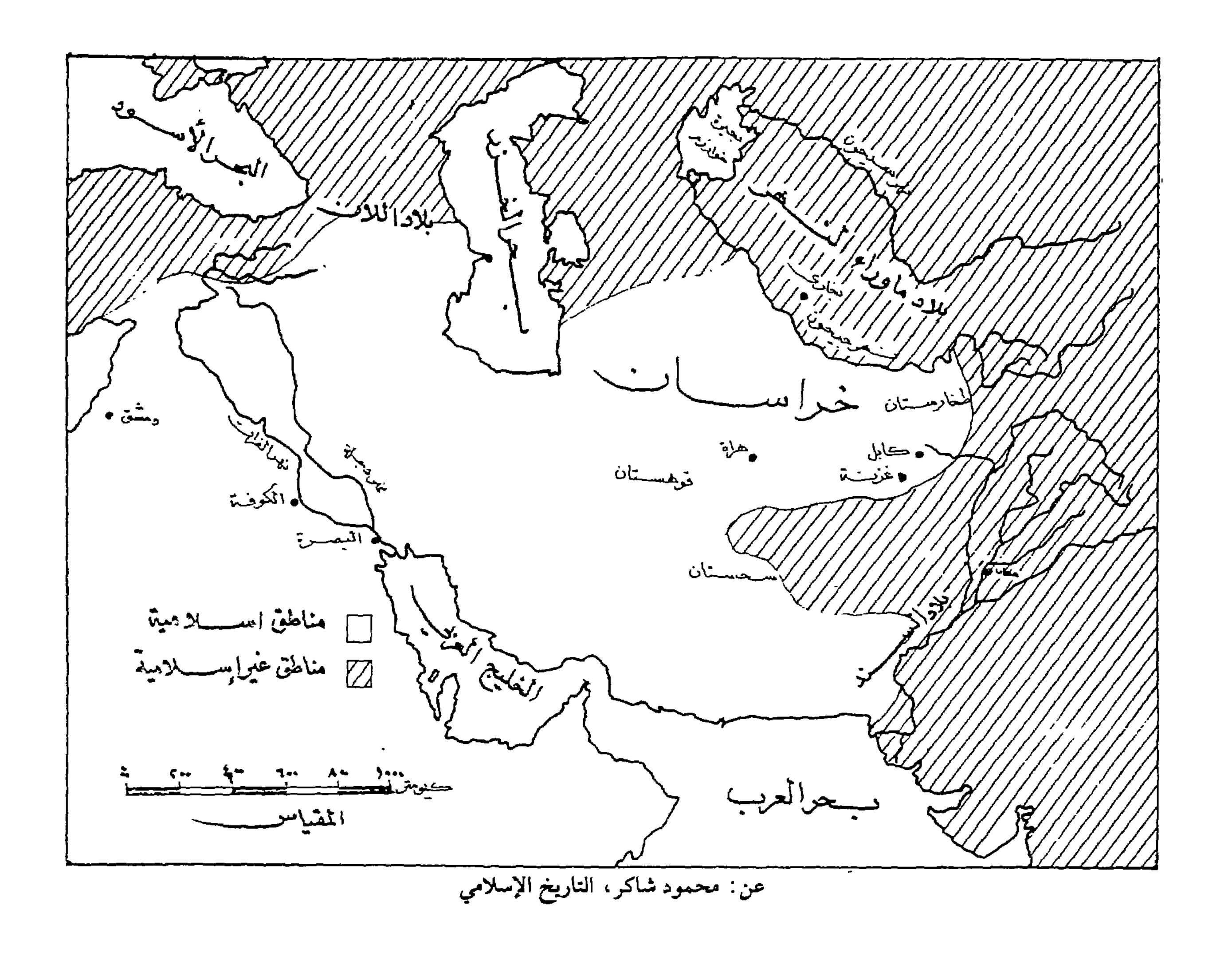
استقرت الشام لمروان، فسار إلى مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشي من قبل ابن الزبير، فهرب ابن جحدم، وبايع الناس مروان ثم رجع إلى دمشق[3].

---

(١) البداية والنهاية ٨/٢٣٩ ـ ٢٤١، والإمامة والسياسة ٢/١٣. وقيل إن بيعته كانت سنة خمس وستين، انظر تاريخ الطبري ٧/ ٣٤.

(٢) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢٥٠.

(٣) الكامل ٣/ ٣٣٠، والبداية والنهاية ٨/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦.



عن: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي

أمر التوابين

ندم شيعة الحسين على تركهم نصرته حتى قتل، فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤساء الشيعة وهم: سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة، والمسيب ابن نجبة الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وأل التيمي، ورفاعة بن شداد البجلي، وكانوا من خيار أصحاب علي، فولوا ابن صرد عليهم واتفقوا على قتل قاتل الحسين، وجمعوا كل ما لديهم من مال لتجهيز جيشهم، وكتبوا إلى شيعة المدائن والبصرة يستنهضوهم فأجابوهم، وكانت بداية دعوتهم سنة إحدى وستين، ثم قويت عزيمتهم بعد موت يزيد، وصاروا يشترون السلاح[1].

سنة خمسة وستين

اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو سبعة عشر ألفاً من الرجال فخرجوا إلى النخيلة بعدما نادى المنادي في الكوفة: «يا ثارات الحسين» ثم خرجوا نحو الشام، لا يتقدمون مرحلة إلاّ تخلف عنهم طائفة من الناس، ثم نزلوا «عين الورد» والتقوا بجيش الشام عليهم الحصين بن نمير في اثني عشر ألفاً، ولما أبى كل فريق المبايعة للآخر اقتتلوا قتالاً شديداً حتى كاد أهل العراق أن ينتصروا فجاء أهل الشام المدد، فأحاط أهل الشام بأهل العراق واقتتلوا قتالاً عظيماً حتى خاضوا في الدماء ثم قتل سليمان بن صرد واستلم الراية بعده أربعة من الرجال كلهم قتل، فلما أخذ الراية رفاعة بن شداد قفل راجعاً بمن معه. وكان يسمى جيش ابن صرد «جيش التوابين»[2].

المختار الثقفي

دعا المختار الثقفي بعد خروجه من مكة الشيعة لنصرته في الكوفة، فأجابوه بعد قتل سليمان بن صرد فاستفحل أمره[3].

---

(١) انظر الكامل ٣/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥، والبداية والنهاية ٨/ ٢٥٢، وتاريخ الطبري ٧/ ٥١ وما بعدها.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٢٥١ ـ ٢٥٥، والكامل ٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤٦.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ هـ ص ٤٥ ـ ٤٨، وتاريخ الطبري ٦/ ٥٨ ـ ٦٥.

وفاة مروان بن الحكم

وفي هذه السنة أخذ مروان بن الحكم العهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز، وأخذ بيعة الأمراء في ذلك.

وسبب موته أن مروان كان قد تزوج بأم خالد امرأة يزيد بن معاوية، فعابها مروان أمام ابنها خالد، فبيتت له الأمر حتى نام عندها ذات ليلة من ليالي رمضان، فلما أخذه النوم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه وتحاملت عليها هي وجواريها حتى مات. وكانت إمارته تسعة أشهر، وقيل عشرة أشهر[1].

مروان بن الحكم

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك، ابن عم عثمان وكاتبه في خلافته، وأمه آمنة بنت علقمة الكنانية. ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، له رواية في الحديث وروي عنه أيضاً.

فضائله

وصفه بعض الناس بأنه سيد شباب قريش، وكان عثمان بن عفان يكرمه ويعظمه، وهو أحد أسباب مقتله رضي الله عنه. كان فقيهاً يفتي للناس، قارئاً لكتاب الله، شديداً في حدود الله. ولي إمرة المدينة وحج بالناس لمعاوية غير مرة، وبويع بالخلافة بعد معاوية بن يزيد كما أسلفنا، وكان تحت امرته الشام ومصر.

وكانت وفاته خنقاً كما قدمنا عن إحدى وقيل ثلاث وستين سنة، وقيل إحدى وثمانين سنة، وصلى عليه ابنه عبد الملك[2].

ولاية عبد الملك بن مروان

ولما توفي مروان قام بأمر الشام بعده ابنه عبد الملك. وكان بمصر ابنه عبد العزيز الذي دان بالطاعة لأخيه عبد الملك.

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، وتاريخ الطبري ٦/ ٨٣ ـ ٨٥، والإمامة والسياسة ٢/ ١٣ ـ ١٤.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٢٢٧ ـ ٢٣٤، والكامل في التاريخ ٣/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٩١ ـ ٩٢، والبداية والنهاية ٨/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠، والإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

بقية حوادث سنة خمس وستين

في هذه السنة وقع في البصرة الطاعون الذي يقال له الطاعون الجارف، فهلك به خلق كثير من أهلها[1].

أمر الخوارج

في هذه السنة اشتد أمر الخوارج بالبصرة، وكان رئيسهم نافع بن الأزرق، وكان سبب قوتهم اشتغال أهل البصرة واختلافهم. فاقتتل الخوارج وأهل البصرة في مكان يقال له دولاب من أرض الأهواز فقتل نافع بن الأزرق وقتل أمير أهل البصرة، وكانت الغلبة في النهاية للخوارج فساروا نحو البصرة، فخرج إليهم المهلب بن أبي صفرة، الذي كان ولاه ابن الزبير إمرة خراسان، فلقيهم عند «الجسر الأصغر»[2] فهربوا منه حتى اقتتلوا «بسولاف» قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان، ثم انحاز المهلب. ثم اقتتلوا فانهزم أهل البصرة، لكن المهلب أعاد جمعهم، وهاجم الخوارج على حين غرة فقتل أميرهم وشردهم.

ثم عزل ابن الزبير الحرث بن أبي ربيعة أمير البصرة وولى مكانه مصعب بن الزبير، وولى الخوارج عليهم الزبير بن الماحوز[3].

سنة ست وستين

فيها وثب المختار الثقفي على أمير الكوفة فأخرجه عنها وبايعه أهلها، ثم جعل يتتبع قتلة الحسين فيقتلهم، ثم ادعى أنه يأتيه الوحي فسمي المختار الكذاب، فاتفق أهل الكوفة على إخراجه لكذبه، فاقتتلوا في نواحي الكوفة قتالاً شديداً انتصر بعده جيش المختار، وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٨٥، والبداية والنهاية ٨/ ٢٦٢.

(٢) أي الذي يوصِّل إلى البصرة.

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٨٥ ـ ٩١، والكامل ٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٢، والبداية والنهاية ٨/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٤) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٥٠ ـ ٥٣، والبداية والنهاية ٨/ ٢٦٤ ـ ٢٧٠، والكامل ٣/ ٣٥٦ ـ ٣٦٤.

حال محمد ابن الحنفية

دعا ابن الزبير محمد ابن الحنفية إلى بيعته فامتنع. فحصره بزمزم يريد حرقه. فأرسل ابن الحنفية إلى المختار بالأمر، فوجه إليه رجالاً فأنقذوه من ابن الزبير، واستأذنوا ابن الحنفية لقتل ابن الزبير فلم يأذن بذلك. ثم استقر ابن الحنفية بالطائف إلى أن مات ابن الزبير. فطلب الأمان من عبد الملك بن مروان فأمنه، ثم بايعه[1].

* * *

وفي هذه السنة وقع بمصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها.

وفيها قام عبد العزيز بن مردان بضرب الدنانير بمصر وهو أول من ضربها في الإسلام.

وفيها ابتدأ عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين[2].

سنة سبع وستين

مقتل عبيد الله بن زياد

سار إبراهيم بن الأشتر النخعي لمحاربة ابن زياد في ثمانية آلاف من الكوفيين، فالتقى به بمكان يقال له الخازر، فحرض ابن الأشتر جنده على قتال ابن زياد وهو يقول: هذا قاتل ابن بنت رسول الله ﷺ . . . والتقى الفريقان، كان عدد جيش ابن زياد أربعين ألفاً من الشاميين، وكانت الحرب كر وفر، وانحازت ميسرة ابن زياد إلى ابن الأشتر، فانهزم جيش الشام وقتل عبيد الله بن زياد. وأرسل ابن الأشتر البشارة بالنصر إلى المختار.

قتل المختار

طلب أهل الكوفة من مصعب بن الزبير أمير البصرة أن يقاتل المختار،

---

(١) عن الكامل ٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦.

(٢) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٥٣، والبداية والنهاية ٨/ ٢٨٠.

(٣) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢٨١ ـ ٢٨٣، والكامل ٣/ ٣٧٩ ـ ٣٨٢، وتاريخ الطبري ٧/ ١٤٢ ـ ١٤٦.

فاستعان عليه بالمهلب بن أبي صفرة وكان في بلاد فارس. فقدم المهلب البصرة بجموع كثيرة وأموال عظيمة. فخرج الفريقان وتقابلا في «المذار» فهزم مصعب أصحاب المختار. فلما علم المختار بهزيمة جيشه جهز جيشاً ونزل حروراء، والتحم مع جيش مصعب، وكانت الحرب سجال، حتى حمل المهلب بن أبي صفرة على من بإزائه فهزموا أصحاب المختار، وهرب المختار ومن معه فدخلوا الكوفة، فحاصره جيش مصعب، فخرج لفك الحصار في تسعة عشر رجلاً فقاتل حتى قتل، وقتل مصعب بقية أصحاب المختار. وكان ذلك لأربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين[1].

سنة ثمان وستين

قتال الخوارج

عزل مصعب عن ناحية فارس المهلب وولاه الجزيرة، وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن معمر، فثار عليه الخوارج فقتلهم وكسرهم ثم فروا إلى اصطخر فتبعهم فقتل منهم جموعاً عظيمة وقتلوا هم ابنه. ثم هربوا إلى أصبهان فتقووا هنالك وكثر عددهم، ثم ساروا إلى البصرة، فخرج مصعب إليهم، وكان عمر يلحق بهم، فعلموا بذلك فعدلوا إلى المدائن وجعلوا يقتلون الولدان ويبقرون بطون الحبالى. ثم هربوا عندما علموا بمسير أمير الكوفة لقتالهم، وطاردهم حتى نزلوا أرض أصبهان.

ثم قصد الخوارج الري فقتلوا أميرها، ثم حاصروا أصبهان، فقاتلهم عتاب بن ورقاء وفك الحصار عنها بعد قتال شديد. فكتب مصعب إلى المهلب بن أبي صفرة أن يسير لقتال الخوارج، وكان أبصر الناس بقتالهم، فانصرف المهلب إليهم فقاتلهم بالأهواز ثمانية أشهر قتالاً لم يسمع بمثله[2].

* * *

وفي هذه السنة شهد موقف عرفة أربع رايات مختلفة، كل واحدة منها لا

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٩ ـ ٣١، والكامل ٣/ ٣٨٢ ـ ٣٨٧.

(٢) انظر البداية ٨/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤، والكامل ٣/ ٣٨٩ ـ ٣٩٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٦٣ ـ ٦٤.

تأتم بالأخرى: واحدة لمحمد بن الحنفية في أصحابه، والثانية لنجدة الحروري وأصحابه، والثالثة لبني أمية، والرابعة لعبد الله بن الزبير[1].

سنة تسع وستين

مقتل عمرو الأشدق

خرج عبد الملك بن مروان من دمشق لقتال زفر الكلابي صاحب سليمان بن صرد، واستخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق، فتحصن بها عمرو وأخذ أموال بيت المال، فلما علم عبد الملك كر راجعاً، فحاصره وقاتله مدة ستة عشر يوماً، ثم اصطلحا على أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك.

ثم إن عبد الملك حاك له مكيدة فقتله بيديه وحز رأسه[2].

الطاعون

وفي أول هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة، قيل كان ثلاثة أيام فمات في كل يوم نحو من سبعين ألفاً، وأصبح الناس في اليوم الرابع ولم يبق منهم إلا اليسير.

سنة سبعين

أمر الروم

في هذه السنة ثارت الروم، وزحفوا إلى الشام، واستضعفوهم لما يرون من الاختلاف الواقع بين بني مروان وابن الزبير. فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام.

سنة إحدى وسبعين

مقتل مصعب بن الزبير وبيعة عبد الملك

في هذه السنة سار عبد الملك بن مروان في كثير من الجنود من الشام قاصداً مصعب بن الزبير، فلما وصل عبد الملك «مسكن» خرج إليه مصعب وقد خذله

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٣١ ـ ٣٣، والبداية والنهاية ٨/ ٣٠٧ ـ ٣١٠.

أهل العراق، لكنه استقتل وعزم على المضي، فتواجه الجيشان «بدير الجاثليق» من مسكن، وكانت الحرب كر وفر، ثم هرب أحد ألوية جيش مصعب إلى عبد الملك، واشتد القتال، فأرسل عبد الملك أخاه إلى مصعب يعطيه الأمان، فأبى. ثم قتل ابنه ثم قتل مصعب، وكان ذلك يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الآخرة وكان عمره ستاً وثلاثين سنة.

ثم دعا عبد الملك جند العراق لبيعته فبايعوه، ودخل الكوفة فبايعه أهلها، ثم بايعه المهلب بن أبي صفرة. ثم بعث عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد والياً على البصرة فأخذها من واليها(١).

سنة ثنتين وسبعين

الخوارج

في هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين المهلب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له سولاق.

وفيها أيضر تولى حرب الخوارج في الأهواز عبد العزيز بن عبد الله بأمر من أخيه وال البصرة خالد بن عبد الله، فانهزم عبد العزيز، فأرسل عبد الملك بالمدد وأمره باستشارة المهلب في جميع أموره مع الخوارج. فزحف خالد ومعه المهلب نحو الخوارج فهرب الخوارج منهم، فتبعهم من قبل خالد داود بن قحذم حتى هلكت خيولهم وأصابهم الجوع والجهد، فرجع عامة الجيش مشاة إلى الأهواز.

وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجي فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي، فبعث خالد بن عبد الله أخاه أمية في جند كثيف فهزمه أبو فديك(٢).

---

(١) انظر تاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٦٩.

(٢) انظر البداية والنهاية ٨/ ٣١٤ ـ ٣١٧، والكامل ٤/ ٩ ـ ١٦، وتاريخ الطبري ٧/ ١٨٤ ـ ١٨٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٧، والإمامة والسياسة ٢/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) انظر البداية والنهاية ٨/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، والكامل ٤/ ١٩ ـ ٢٠.

سنة ثلاث وسبعين

مقتل عبد الله بن الزبير

لما قتل عبد الملك مصعباً وأتى الكوفة، وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ثلاثة آلاف لقتال عبد الله بن الزبير، وكتب معه أماناً لابن الزبير ومن معه إن أطاعوا، فسار في جمادى الأولى سنة ثنتين وسبعين ونزل الطائف، وكان يبعث الخيل إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير أيضاً فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كل ذلك، وتعود خيل الحجاج بالظفر.

ثم استأذن الحجاج عبد الملك في دخول الحرم وحصر ابن الزبير فأرسل إليه طارق بن عمرو في خمسة آلاف، فقدم طارق المدينة في ذي القعدة سنة ثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها، ثم لحق بالحجاج. فحاصر الحجاج مكة، ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقاً كثيراً، لكن الصواعق التي ضربت بعض الناس جعلت أهل الشام يحجمون عن الرمي بالمنجنيق، فباشر ذلك الحجاج بنفسه، حتى خرج كثير من أهل مكة يريدون الأمان. وأصاب أهل مكة مجاعة شديدة. ثم دخل الحجاج مكة، وصار ابن الزبير يقاتل كأنه أسد ضاري، حتى أصيب بحجر فهجموا عليه فقتلوه وذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة.

وهكذا اجتمع الأمر لعبد الملك بن مروان، واستعمل على الحرمين الحجاج بن يوسف، فأعاد بناء الكعبة على بناء قريش لما أصابها من المنجنيق[1].

قتل أبي فديك

في هذه السنة وجه عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك في البحرين، فقاتله عمر حتى دخل عسكر الخوارج وقتل أبا فديك، وحاصر أصحابه فقتل منهم صبراً نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة[2].

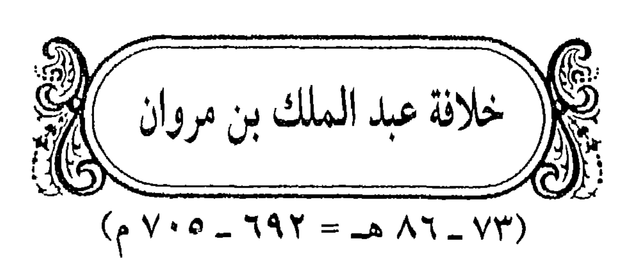
---

(١) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٣١٠ ـ ٣١٥، والكامل ٤/ ٢١ ـ ٢٧، والبداية والنهاية ٨/ ٣٢٩ ـ ٣٣٢، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٠٢ ـ ٢٠٦، والإمامة والسياسة ٢/ ٢٣ ـ ٢٥، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٧ ـ ٤٠.

(٢) الكامل ٤/ ٢٨، وتاريخ الطبري ٧/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

أهم الوفيات في عهد ابن الزبير

قتل سنة سبع وستين عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان أمير العراق بعد أبيه زياد. وفي سنة ثمان وستين توفي عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وابن عم رسول الله ودفن في الطائف. وفي سنة تسع وستين توفي أبو الأسود الدؤلي مؤسس علم النحو. وفيها توفي جابر بن سمرة له صحبة ورواية. وفي سنة إحدى وسبعين توفي سفينة مولى رسول الله ﷺ. وفي سنة ثنتين وسبعين توفي البراء بن عازب الصحابي الجليل، الذي روى الكثير من الأحاديث.



خلافة عبد الملك بن مروان

(٧٣ ـ ٨٦ هـ = ٦٩٢ ـ ٧٠٥ م)

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو الوليد القرشي الأموي، وأمه عائشة بنت معاوية بن أبي العاص، يعد والد الخلفاء الأمويين.

حياته وفضائله

ولد سنة ست وعشرين، وكان قبل الخلافة يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصالحين الملازمين للمسجد التالين للقرآن. روى الحديث عن أبيه وعن جابر وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم، وروى عنه جماعة منهم الزهري. قيل: كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب وعروة وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة. قال الشعبي: ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني منه، ولا شعراً إلا زادني فيه. وكان عبد الملك بعدما تولى الأمارة، مقداماً على سفك الدماء، وكان حازماً فهماً فطناً سائساً لأمور الدنيا، لا يكل أمر دنياه إلى غيره. وعبد الملك أول من ضرب الدنانير وكتب عليها القرآن

أزواجه وأولاده

من أزواجه: ولادة بنت العباس بن جزء العبسية، فولدت له: الوليد وسليمان ومروان الأكبر وعائشة. وتزوج عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فولدت له: يزيداً ومروان ومعاوية وأم كلثوم. وتزوج عائشة بنت إسماعيل المخزومية، فولدت له هشاماً. وتزوج عائشة بنت موسى فولدت له أبا بكر واسمه بكار. وتزوج أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان، فولدت له الحكم. وتزوج أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص، فولدت له فاطمة. ومن أولاده عبد الملك والمنذر

ومسلمة وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لأمهات الأولاد.

قال الثعالبي: كان عبد الملك يقول: ولدت في رمضان، وفطمت في رمضان، وختمت القرآن في رمضان، وبلغت الحلم في رمضان ووليت في رمضان، واتتني الخلافة في رمضان، وأخشى أن أموت في رمضان، فلما دخل شوال وأمن مات[1].

سنة أربع وسبعين

الأزارقة

في هذه السنة ولى عبد الملك بن مروان المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة من الخوارج، وأرفده بوجهاء البصرة والكوفة.

إفريقية

جهز عبد الملك جيشاً عليه حسان بن النعمان الغساني وارسله إلى إفريقية، فلم يدخل إفريقية جيش مثله. فسار حسان من القيروان يريد قرطاجنة، ولم يكن المسلمون قد حاربوها قط. فلما وصل إليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فحصرهم وقتل منهم كثيراً فهربوا ودخلها حسان.

ثم بلغه أن الروم والبربر اجتمعوا له في صطفورة[2] وبنزرت[3]، فسار إليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة، فصبر لهم المسلمون، فانهزمت الروم، واستولى حسان على بلادهم. وخافه أهل إفريقية.

ثم سار حسان لقتال أعظم ملوك البربر وهي امرأة تعرف بالكاهنة فالتقى بجيشها على نهر نيني، واقتتلوا أشد قتال رآه الناس، فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير. فأقام بعدها حسان ببرقة خمس سنين بانتظار أوامر عبد الملك، وفي

---

(١) انظر ترجمته في الكامل ٤/ ١٠٢ ـ ١٠٤، والبداية والنهاية ٩/ ٦١ ـ ٦٩، وتاريخ الخلفاء ص ٢١٤ ـ ٢٢٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ١٣٥ ـ ١٤٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢٢٣ ـ ٢٣٥، وتهذيب التهذيب ٦/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣، وشذرات الذهب ١/ ٩٧.

(٢) صطفورة: مدينة في نواحي افريقية (معجم البلدان ٣/ ٤٠٥).

(٣) بنزرت: مدينة بإفريقيا بينها وبين تونس يومان مشرفة على البحر (معجم البلدان ١/ ٤٩٩).

تلك الفترة ملكت الكاهنة إفريقية وأساءت السيرة في أهلها وظلمتهم. ثم جاءت الإمدادات من عبد الملك وتهيأ حسان للمسير إلى إفريقية، فلما علمت الكاهنة بمسيره خَّربت إفريقية وهدّمت الحصون ونهبت الأموال، فدخلها حسان وأهلها على الطاعة، وأطاعه أهل قابس وقفصة وقسطيلية.

ثم سار حسان إلى الكاهنة فالتقى بها وبمن معها فاقتتلوا، واشتد القتال، وكثر القتل، ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلت الكاهنة.

واستأمن البربر حسان بن النعمان فأمنهم، وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر ألفاً يجاهدون العدو، فأجابوه إلى ذلك، ثم فشا الإسلام في البربر، وأقام حسان في إفريقية لا ينازعه أحد إلى أن توفي عبد الملك[1].

سنة خمس وسبعين

ولاية الحجاج على العراق

في هذه السنة ولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان. فلما دخلها هدد الناس وخوفهم، ثم دعا بالبيعة فبايعه الناس. ثم أمر الرجال بالمسير إلى المهلب بن أبي صفرة لحرب الخوارج[2].

حرب الخوارج

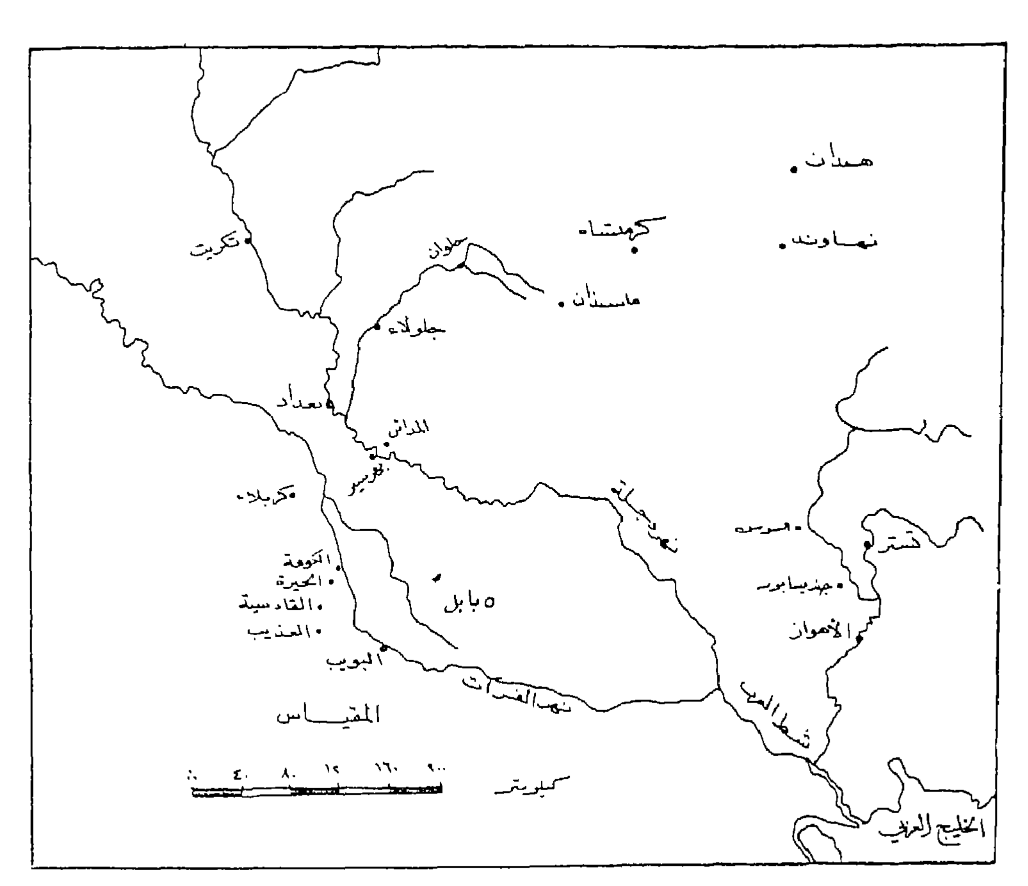
أرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف بحرب الأزارقة، فنهضا بمن معهما إلى الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بايسر قتال. وهربوا إلى إقليم سابور، ولحق المهلب وعبد الرحمن بهم وذلك في رمضان، فوثبوا ليلاً على حين غرة من عبد الرحمن فقاتلوه فقتل عبد الرحمن، فبعث الحجاج بديلاً عنه عتاب بن ورقاء[3].

---

(١) عن الكامل ٤/ ٣١ ـ ٣٢.

(٢) انظر البداية والنهاية ٩/ ٧ ـ ٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤١ ـ ٤٢، والكامل ٤/ ٣٣ ـ ٣٦.

(٣) الكامل ٤/ ٤٠ ـ ٤١، والبداية والنهاية ٩/ ٩ ـ ١٠.



عن: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي

الصفرية

في هذه السنة خرج صالح بن مسرح التميمي، وكان يرى رأي الصفرية، واجتمع معه شبيب بن يزيد وأصحابه، فوثبوا على خيل لمحمد بن مروان فأخذوها، وقويت شوكتهم وأخافوا المسلمين، فغضب محمد بن مروان وبعث إليهم ثلاثة آلاف رجل فتغلبوا على جيش صالح، وهرب الصفرية إلى الجزيرة. فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة، فقتلوا صالح بن مسرح.

ثم جمع شبيب رجاله وهجم على الكوفة، وقتل بها بعض الناس، فوجه الحجاج لحربه زائدة بن قدامة الثقفي في جيش كبير، فالتقوا بأسفل الفرات، فقتل زائدة. فوجه الحجاج لحربه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فلم يقاتله.

واستفحل أمره، وكان لا يوجه إليه الحجاج أحداً إلا هزمه، وخافه عبد الملك[1].

نقش الدراهم والدنانير

في هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم، ضربها بنصيحة خالد بن يزيد بن معاوية، ذكر على جانب منها «الله أحد» وعلى الوجه الآخر «الله الصمد». وقيل إن أول من ضرب الدراهم والدنانير في الإسلام مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير[2].

سنة سبع وسبعين

الخوارج

وفيها أخرج الحجاج خمسين ألفاً من أهل الكوفة لحرب شبيب، وأمّر عليهم عتاب بن ورقاء، فالتقى بهم شبيب في ألف رجل، فهزمهم وقتل أميرهم، وتوجه شبيب نحو الكوفة.

خرج الحجاج بمن معه من أهل الشام لقتال شبيب، فأقبل شبيب في ستمائة رجل، فالتحم الجيشان، وظهر تفوق أصحاب الحجاج، فهرب شبيب ومن بقي معه، ولحق بهم أصحاب الحجاج فهزموهم وفروا هاربين.

ثم إن شبيباً عاد وحاول دخول الكوفة فيمن بقي له من الجيش، فكان يخرج له الجند فينهزموا ويقتل أميرهم. وسار شبيب في البلاد لايبرز له أحد إلا قتله. وأنفق الحجاج أموالاً كثيرة على الجيوش والعساكر في طلب شبيب فلم يقدروا عليه، حتى شاء الله أن يقتل غرقاً حيث وقع عن فرسه في نهر دجيل فمات[3].

مصر

في هذه السنة امر عبد العزيز بن مروان بتحسين جامع مصر فهدم وزيد فيه من جهاته

---

(١) انظر تاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٩، والبداية والنهاية ٩/ ١٢ ـ ١٥.

(٢) البداية والنهاية ٤/ ١٤ ـ ١٥، والكامل ٤/ ٥٣ ـ ٥٤. وانظر غير ذلك في كتاب «النقود العربية وعلم النميات»، رسائل في النقود للبلاذري والمقريزي والذهبي، نشرها الأب انستاس ماري الكرملي، بيروت، محمد أمين دمج، لات.

(٣) انظر البداية والنهاية ٩/ ١٧ ـ ٢٠، وتاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٣٠ ـ ٣٣٤، والكامل ٤/ ٥٥ ـ ٦١.

الأربع، وأمر ببناء حصن الاسكندرية، وكان مهدوماً منذ أن فتحها عمرو بن العاص.

سنة ثمان وسبعين

الروم

فيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم فتحوا إرقيلية، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وثلج وبرد، فأصيب بسببه ناس كثير.

المغرب

وفيها أمر عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعها، فسار إلى طنجة، وقد جعل على مقدمة جيشه طارق بن زياد، فقتلوا ملوك تلك البلاد، وغنموا المائدة التي يتحدث عنها أهل الكتاب أنها مائدة سليمان عليه السلام[1].

سنة تسع وسبعين

أمر الترك

في هذه السنة امتنع رتبيل ملك الترك عن أداء الخراج، فأمر الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة أمير سجستان أن يحاربه، فسار عبيد الله في أهل البصرة وأهل الكوفة، فدخل بلاد الترك وغنم غنائم كثيرة، وهدم حصوناً، وأصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم أرضاً بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم، فحاصرهم الأتراك حتى ظنوا أنهم هلكى، لكنهم صبروا وقاتلوا حتى خرجوا من أرض رتبيل وقد قتل منهم كثيراً[2].

طاعون الشام

في هذه السنة وقع طاعون عظيم بالشام حتى كاد أهلها يفنون من شدته، ولم يغز أحد منهم لضعفهم وقلتهم. ووصلت الروم فيها إلى أنطاكية فأصابوا بعضاً من أهلها.

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢١ ـ ٢٢، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢) انظر الكامل ٤/ ٧٢ ـ ٧٣، والبداية والنهاية ٩/ ٢٩ ـ ٣٠، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٣.

سنة ثمانين

في هذه السنة كان السيل الجارف، وهو سيل عظيم جرف كل شيء بمكة المكرمة، حتى بلغ الحجر الأسود، فهلك كثير من الحجاج.

وفي هذه السنة صابر المهلب بن أبي صفرة الأتراك، وأقام بكش سنتين صابراً للأعداء من الأتراك.

قتال رتبيل

بعد عودة عبيد الله بن أبي بكرة من قتال رتبيل، طلب عبد الملك من الحجاج الانتقام لما حصل. فجهز الحجاج أربعين ألف مقاتل، وأمّر عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فسار ابن الأشعث نحو أرض رتبيل، فلما علم رتبيل بذلك كتب يعتذر من ابن الأشعث لما حصل في العام الفائت وسأله الصلح، فأبى ابن الأشعث، وكان كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة استعمل عليها نائباً من جهته يحفظها له، فأخذ كثيراً من بلاد رتبيل، وغنم أموالاً كثيرة. ثم توقف عن التوغل ليستقيم له ما بيده من البلاد على أن يتابع الغزو في العام القابل[1].

سنة إحدى وثمانين

فتنة ابن الأشعث

وسبب هذه الفتنة البغض الواقع بين الحجاج وابن الأشعث، حيث أمر الحجاج ابن الأشعث بمتابعة الفتوحات في بلاد الترك، وهو كان يرى أن ينتظر نهاية الشتاء، وكثرت الخطابات بين الاثنين بكلام جعل بن الأشعث يدعو من معه للمبايعة، فبايعوه وخلعوا الحجاج. فسار ابن الأشعث بمن معه لقتال الحجاج في العراق، وفي الطريق خلعوا أيضاً عبد الملك وبايعوا ابن الأشعث، وبايعهم هو على كتاب الله وسنة رسوله وخلع أئمة الضلال وجهاد الملحدين. فأمد عبد الملك الحجاج بجنود من الشام، والتقى الجندان فانهزم جند الحجاج ودخل ابن الأشعث البصرة، وكان ذلك في ذي الحجة وبايعه أهلها. وكان عدد جند ابن الأشعث ثلاثة

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣١ ـ ٣٢، وتاريخ الطبري ٨/ ٣ ـ ٤، والكامل ٤/ ٧٤ ـ ٧٥.

وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل[1] .

الأندلس

في هذه السنة غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بن مروان بلاد الأندلس، ففتح مدناً كثيرة، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الرقاق المنبثق من البحر المحيط[2] .

سنة ثنتين وثمانين

وقعة الزاوية

في آخر محرم التقى جيش الحجاج بجيوش ابن الأشعث، وبعد قتال شديد فرَّ ابن الأشعث ومن بقي معه فدخل الكوفة، وبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك، وتفاقم الأمر، وكثر متابعوا ابن الأشعث[3] .

وقعة دير الجماجم

أقبل الحجاج من البصرة فنزل دير قرة، فجهز له ابن الأشعث: عبد الرحمن بن العباس الذي نزل دير الجماجم. واجتمع كثير من الناس على قتال الحجاج لظلمة وسفكه الدماء، فكانوا مائة ألف مقاتل، وجاءت الامدادات من الشام للحجاج، فكانوا كل يوم يقتتلون ويثبت الفريقان. وضاق الأمر على الحجاج، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام حتى انسلخت هذه السنة[4] .

* * *

في هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة غازياً وعمره ستة وسبعون سنة، وجعل الأمر من بعده لابنه يزيد على خراسان، فأمضى له ذلك الحجاج وعبد الملك.

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٥ ـ ٣٧، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٥، والكامل ٤/ ٧٧ ـ ٧٩.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٧.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨ ـ ٤٩، والبداية والنهاية ٩/ ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩ ـ ٥٠، والبداية والنهاية ٩/ ٤٠ ـ ٤٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٨ ـ ١١.

وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم، ثم سألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أبا الشيخ بن عبد الله فغدروا به فقتلوه[1].

سنة ثلاث وثمانين

أمر ابن الأشعث

استهلت هذه السنة وما زال الحجاج بدير قرة وابن الأشعث بدير الجماجم متواقفون للقتال، حتى حمل الحجاج على كتيبة القراء فانتصر عليهم، ثم حمل على ابن الأشعث فانهزم أصحابه وتفرقوا في كل وجه، وهرب ابن الأشعث ومعه قليل من الناس، فاتبعه الحجاج بجيش كثيف، لكنه كان يهرب من بلد إلى آخر وهم وراءه، حتى دخل ابن الأشعث بلاد رتبيل، فأكرمه[2].

* * *

في هذه السنة بنى الحجاج واسطاً، سميت بذلك لأنها وسط بين الكوفة والبصرة.

سنة خمس وثمانين

موت ابن الأشعث

في هذه السنة بعث الحجاج: عمارة بن تميم القيني إلى رتبيل في أمر ابن الأشعث. فغدر رتبيل بابن الأشعث وقيده وسيره إلى الحجاج، وفي الطريق طرح ابن الأشعث نفسه من فوق بنيان فمات[3].

بيعة عبد الملك لولده الوليد

مات عبد العزيز بن مروان بمصر، فأخذ عبد الملك البيعة لابنه الوليد ومن بعده لسليمان.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٣٠، والكامل ٤/ ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٤٧ ـ ٤٩، والكامل ٤/ ٨٤ ـ ٨٩، وتاريخ الطبري ٧/ ٢١ ـ ٣٠.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ١٨، والبداية والنهاية ٩/ ٥٥ ـ ٥.

سنة ست وثمانين

وفاة عبد الملك

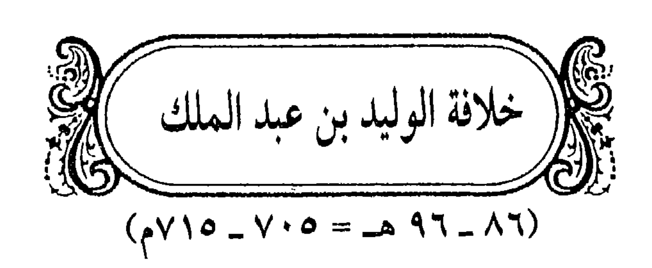
في منتصف شوال من هذه السنة توفي خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان، وكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر بعد اجتماع الناس عليه وقتل عبد الله بن الزبير. وكان عمره يوم قتل ستين سنة على خلاف في ذلك، ودفن بدمشق بباب الجابية الصغير[1].

أهم الوفيات في أيامه

وفي سنة أربع وسبعين توفي أبو سعيد الخدري الصحابي الجليل. وفيها توفي عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي الفقيه المحدث. وفي سنة ثمان وسبعين توفي شريح بن الحارث قاضي الكوفة وقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. وفي سنة إحدى وثمانين توفي محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٦٧.



خلافة الوليد بن عبد الملك

(٨٦ ـ ٩٦ هـ = ٧٠٥ ـ ٧١٥م)

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو العباس الأموي، هو أكبر أولاد عبد الملك، وأمه ولادة بنت العباس بن حزن.

حياته

ولد الوليد سنة خمسين للهجرة، وكان أبواه يترفانه، فشب بلا أدب، وكان لا يحسن العربية، وكان طويلاً أسمراً، به أثر جدري خفي، أفطس الأنف، يتبختر في مشيته، وكان جباراً ظالماً، لكنه أقام الجهاد في أيامه، وحصلت في خلافته فتوحات عظيمة، وكان يرتب للأيتام المؤدبين، وللزمنى من يخدمهم، وللأضراء من يقودهم، وعمر المسجد النبوي ووسعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وحرَّم عليهم سؤال الناس، وفرض لهم ما يكفيهم. وبنى مسجد دمشق المعروف اليوم بالمسجد الأموي.

بويع بالخلافة أيام أبيه بعهد من أبيه، وجددت له البيعة لما رجع من دفن أبيه، فلم يدخل المنزل حتى صعد المنبر فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة فبايعوه. ثم كتب ببيعته إلى الآفاق والأمصار، وإلى الحجاج بالعراق فبايع له الناس ولم يختلف عليه أحد. ثم دخل عليه أخوه سليمان فقال له: يا أمير المؤمنين، إعزل الحجاج بن يوسف عن العراقين فإن الذي أفسد الله به أكثر مما أصلح، فقال له الوليد: إن عبد الملك قد أوصاني به خيراً، فقال سليمان: عزل الحجاج والانتقام منه من طاعة الله، وتركه من معصية الله. فقال الوليد: سنرى في هذا الأمر، وترون إن شاء الله.

أزواجه وأولاده

أما أزواجه، فيروى أن الوليد كان كثير الجماع مطلاقاً، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الإماء، وقيل ذلك غير صحيح.

كان له من الولد تسعة عشر ولداً ذكراً وهم: عبد العزيز ومحمد والعباس وإبراهيم وتمام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشر ويزيد ويحيى. وممن يعرف من زوجاته أم البنين بنت عمه عبد العزيز، وأم أبي عبيدة فزارية[1].

الحوادث في عهده

سنة سبع وثمانين

في هذه السنة وُلي عمر بن عبد العزيز المدينة المنورة، وله خمس وعشرون سنة، وعُزل عنها هشام بن إسماعيل، فجمع عمر عشرة من فقهاء المدينة وجعلهم مجلس شورى له، حتى لا يحكم إلاّ بما أمر الله.

وفيها غزا قتيبة بن مسلم نواحي بخارى، فغزا بيكند، فكانت هناك وقعة عظيمة هزم الله فيها المشركين، ثم صالحهم واستعمل عليها رجلاً من أقاربه، فقتلوا عامة أصحابه وغدروا به، فرجع قتيبة لحربهم وقاتلهم، ثم افتتحها عنوة، فقتل وسبى وغنم أموالاً عظيمة.

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً، وفتح حصوناً كثيرة وغنم غنائم جمة[2].

سنة ثمان وثمانين

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الطبري ٨/ ٩٧ ـ ٩٩، وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥، والبداية والنهاية ٩/ ١٦١ ـ ١٦٦، الإمامة والسياسة ٢/ ٤٤ ـ ٤٨، والكامل ٤/ ١٣٧ ـ ١٣٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٤٩٦ ـ ٥٠٠.

(٢) انظر البداية والنهاية ٩/ ٧١ ـ ٧٢، والكامل ٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٢٧ ـ ٢٩.

بلاد الروم، وكانت الروم قد جمعت الجموع لحرب المسلمين، فهزم الله الروم، وفتح المسلمون طوانة.

عمارة مسجد النبي ﷺ

في هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في ربيع الأول يأمره بإدخال حُجر أزواج النبي ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ، وأن يزاد فيه من جهاته الأربع، وأن يشتري ما في نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع، وأن يعطي الناس ثمن الزيادات، شاءوا أم أبوا[١].

سنة تسع وثمانين

غزو السند

استعمل الحجاج بن يوسف محمد بن القاسم بن محمد الثقفي، وسير معه ستة آلاف مقاتل ووجهه إلى السند، ففتح مكران وفنزبور وأرمائيل ثم الديبل التي بنى فيها مسجداً، وجعل لا يمر بمدينة إلا فتحها. ثم سار إلى نهر مهران فبلغ خبره ذاهر ملك السند، فاستعد لمحاربته، فلقيه محمد والمسلمون، وكان معه فيلة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل ذاهر، وانهزم الكفار.

الأندلس

فيها افتتح موسى بن نصير جزيرتي ميورقة ومنورقة، وهما جزيرتان بين جزيرة صقلية والأندلس[٢].

سنة إحدى وتسعين

المغرب

في هذه السنة غزا موسى بن نصير بلاد المغرب، ففتح مدناً كثيرة، وأوغل حتى دخل أراضي قاصية فيها آثار قصور وبيوت وليس بها ساكن[٣].

---

(١) انظر الكامل ٤/ ١٠٩، والبداية والنهاية ٩/ ٧٥.

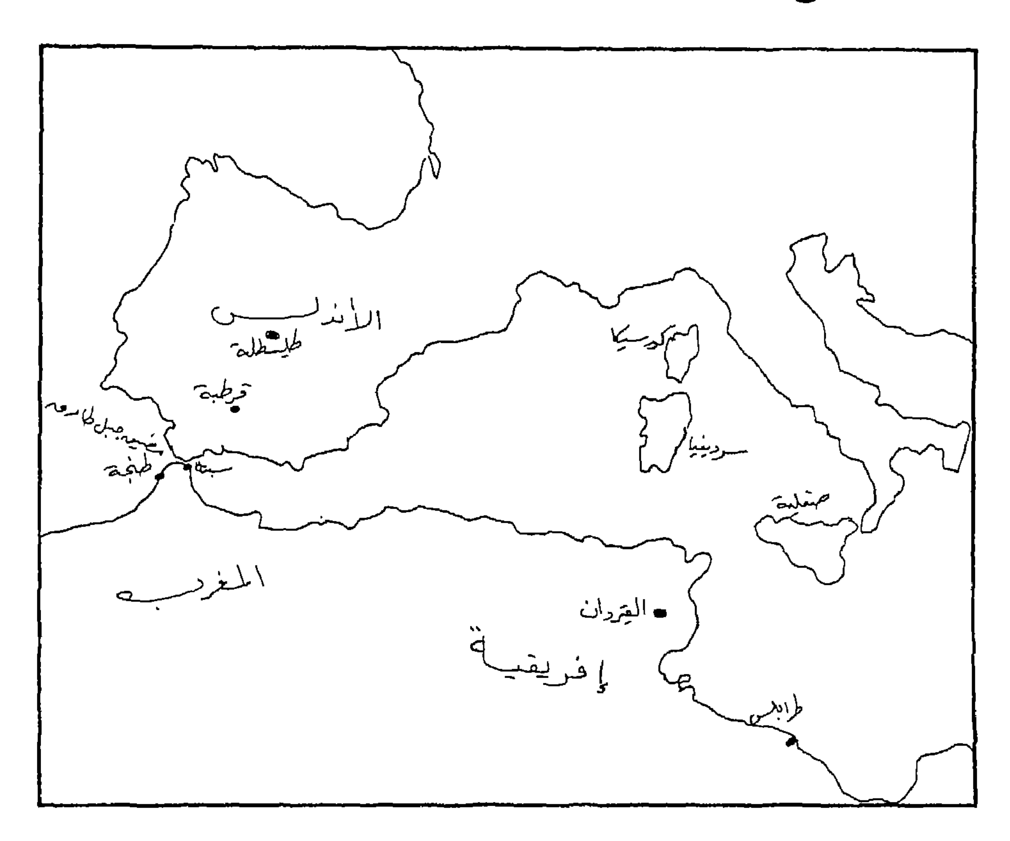
(٢) الكامل ٤/ ١١٠ ـ ١١٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) انظر البداية والنهاية ٩/ ٨١.

قتيبة بن مسلم

في هذه السنة سار قتيبة بن مسلم، أمير خراسان، في جمع عظيم إلى «مرو الروذ» فهرب مرزبانها. ثم سار إلى «الطالقان»، فلم يحاربه صاحبها، فكف قتيبة عنه، وقتل لصوصاً كثيرة بها. ثم سار إلى أن وصل «الفارياب»[1] فخرج إليه ملكها سامعاً مطيعاً، فاستعمل عليها عامر بن مالك، ثم دخل بلخ، فأقبل نيزك فعسكر ببغلان، فاقتتل هو وقتيبة أياماً، حتى عمل قتيبة حيلة فجاءه نيزك معتذراً من غير أمان، فتركه أياماً ثم قتله، وقتل سبعمائة من أصحابه.

وفيها فتح قتيبة شومان[2] وكس[3] ونسف.



(١) الفارياب: مدينة مشهورة بخراسان، قرب بلخ (معجم البلدان ٤/ ٢٢٩).

(٢) شومان: بالصغانيان من وراء نهر جيحون (معجم البلدان ٣/ ٣٧٣).

(٣) كس: هي الصُّغد، مدينة تقارب السمرقند (معجم البلدان ٤/ ٤٦٠).

سنة ثنتين وتسعين

استأذن موسى بن نصير الوليد لدخول الأندلس، فوافق الوليد على أن يخوض البحر بالموالي فقط. فدعا موسى طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم من البربر والموالي، فأبحر فكان وصوله إلى جبل سمي باسمه في رجب سنة ثنتين وتسعين. فلما علم رذريق صاحب الأندلس بغزو المسلمين جمع لهم مائة ألف مقاتل، فأمد موسى طارقاً بخمسة آلاف رجل. فالتقى جيش المسلمين بجيش رذريق على نهر دلكه في آخر أيام رمضان، ودامت الحرب ثمانية أيام، هزم الله بعدها رذريق ومن معه ومات غرقاً، ثم انهزم أهل الأندلس، ولم يلق المسلمون بعدها حرباً مثلها. وتوغل طارق في بلاد الأندلس فاتحاً كثيراً من البلاد.

ولحق موسى بن نصير بطارق، وأقام يفتح في بلاد الأندلس ويجمع الأموال نحو سنتين، فغنم شيئاً لا يحدد ولا يوصف من الجواهر واليواقيت والذهب والفضة[1].

سنة ثلاث وتسعين

فتح سمرقند

حاصر قتيبة بن مسلم الصغد، فكتب أهلها إلى ملك الشاش وخاقان وأخشاد فرغانة يستنجدونهم ويخوفونهم من وصول المسلمين إليهم، فأرسلوا جيشاً لحرب قتيبة، فنصر الله المسلمين عليهم وأخذوا سلاحهم، فلما رأى الصغد ذلك انكسروا وطلبوا الصلح، فصالحهم على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام، وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس، وأن يخلوا المدينة لقتيبة، فيبني فيها مسجداً[2].

---

(١) انظر الكامل ٤/١١٩ ـ ١٢٤، والبداية والنهاية ٩/٨٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٢٥٥، والإمامة والسياسة ٢/٦٠ ـ ٦٢.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٢٥٦، والكامل ٤/١٢٤ ـ ١٢٥.

الهند

في هذه السنة فتح محمد بن القاسم مدينة الدبيل وغيرها من بلاد الهند، وكان ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة، وقتل الملك داهر وغالب جنده[1].

سنة ست وتسعين

الصين

فيها فتح قتيبة بن مسلم كاشغر من أرض الصين، وبعث إلى ملك الصين رسلاً يتهدده، فأرسل ملك الصين بعضاً من أبناء الملوك، وجاءه خبر موت الوليد، ففترت همته على المتابعة، وحدثته نفسه بدعوة الناس لمبايعته لما تحت يده من الجنود والبلاد، فلم يمكنه ذلك، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله[2].

الجامع الأموي بدمشق

وفي هذه السنة تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبد بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق، وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة. ثم حوله النصارى بعد ذلك إلى كنيسة. وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين، فلما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه، ولا أبهى ولا أجمل[3].

وفاة الوليد

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة مات الوليد بن عبد الملك. وكانت خلافته تسع سنين وسبعة أشهر، وكانت وفاته بدير مروان، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

---

(١) عن البداية والنهاية ٩/ ٨٧، ثم قال ابن كثير «. . . فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه».

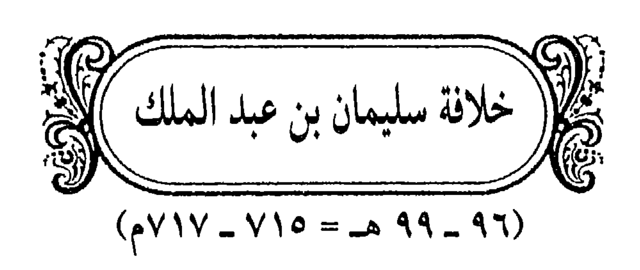
(٢) انظر البداية والنهاية ٩/ ١٤٢ ـ ١٥٣.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ١٤١ ـ ١٤٢، والكامل ٤/ ١٣٥ ـ ١٣٧، وتاريخ الطبري ٨/ ٩٩ ـ ١٠٢.

نقلاً عن: د. ماجد والبنا، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى

أهم الوفيات في عهده

في سنة ثلاث وتسعين توفي خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك. وفيها توفي عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور بالغزل. وفي سنة أربع وتسعين قتل سعيد بن جبير قتله الحجاج بن يوسف، وهو من أكابر أصحاب ابن عباس. وفيها مات سعيد بن المسيب سيد التابعين والإمام في علم الحديث. وفيها توفي علي بن الحسين زين العابدين. وفي سنة خمس وتسعين توفي الحجاج بن يوسف الثقفي.



خلافة سليمان بن عبد الملك

(٩٦ ـ ٩٩ هـ = ٧١٥ ـ ٧١٧م)

حياته

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي، أمير المؤمنين، أبو أيوب. ولد سنة ستين للهجرة.

وصفته امرأة فقالت: رأيته أبيض عظيم الوجه مقرون الحاجبين، يضرب شعره منكبيه، ما رأيت أجمل منه.

روى قليلاً عن أبيه وعبد الرحمن بن هبيرة. وروى عنه ابنه عبد الواحد والزهري، وكان فصيحاً مفوهاً، مؤثراً للعدل، محباً للغزو.

كان سليمان ينهى عن الغناء، وكان من الأكلة المشهورين، يقال إنه أكل في مجلس سبعين رمانة، وخروفاً، وست دجاجات، ومكوك زبيب طائفي. ويقال أكل أربعين دجاجة تشوى على النار على صفة الكباب، وأكل أربعاً وثمانين كلوة بشحومها، وثمانين جردقة (رغيفاً).

يعتبر من خيار ملوك بني أمية، فمن محاسنة أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير، فكان يمتثل أوامره في الخير، فعزل عمال الحجاج، وأخرج من كان في سجن العراق، وأحيا الصلاة لأول مواقيتها، وكان بنو أمية قد أماتوها بالتأخير[1].

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٣٧٧ ـ ٣٨٢، وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨، وتاريخ الطبري ٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨. وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٧٤ ـ ٧٥.

توليه الخلافة

أراد الوليد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز، فأبى سليمان، فكتب إلى عماله ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه إلا الحجاج وقتيبة بن مسلم، وخواص من الناس، فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه فأبطأ، فعزم الوليد على المسير إليه ليخلعه فمات قبل أن يسير إليه[1].

الحوادث في خلافته

سنة سبع وتسعين

المغرب

في هذه السنة بعث سليمان بن عبد الملك على المغرب محمد بن يزيد مولى قريش، فولي سنتين فعدل، ولكنه عسف بآل موسى بن نصير وقبض على ابنه عبد الله بن موسى وسجنه ثم قتله، ثم قتل عبد العزيز بن موسى لكونه خلع طاعة سليمان[2].

سنة ثمان وتسعين

القسطنطينية

في هذه السنة جهز أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية، وأرسله وراء الجيش الذين هم بها، فسار إليها ومعه جيش عظيم، فلما اجتمع الجيشان طلب منهم أن يزرعوا الأرض من القمح وغيره، وأن يبنوا بيوتاً من خشب، لأنه لن يعود إلا بعد فتح القسطنطينية، فأرسل الروم إليه بالصلح فلم يقبل، فغدر به رجل من النصارى فأحرق طعامهم ثم وقعت بعدها الحرب ولقي المسلمون ما لم يلقه جيش آخر، ودخل الشتاء وسليمان مقيم بدابق، فلم يقدر أن يمدهم حتى مات[3].

بيعة أيوب

في هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من

---

(١) الكامل ٤/١٣٨.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٣) الكامل ٤/١٤٦ ـ ١٤٧، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٤ ـ ١٧٥.

بعده، وعدل عن تولية أخيه يزيد، فمات أيوب في حياة أبيه[1] .

فتح جرجان وطبرستان

تولى يزيد بن المهلب أمر خراسان، ولم يكن همه إلا فتح جرجان، فسار إليها في مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان، وكانت يومئذ جرجان جبال وأبواب، فابتدأ بقهستان فحاصرهم يزيد حتى ضعفوا وعجزوا، فطلبوا الصلح فصالحهم على أن يدخل المسلمون المدينة ويأخذوا ما فيها من الأموال والكنوز ما لا يحصى.

ثم تحول يزيد إلى طبرستان، فدخلها في أربعة آلاف جندي، فانهزم أهلها، ولحق بهم المسلمون حتى صعدوا الجبال وصاروا يرمون المسلمين بالحجارة، فانهزم المسلمون، وصالحوا صاحب طبرستان[2] .

سنة تسع وتسعين

وفاة سليمان

في هذه السنة توفي أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر بقين من صفر عن خمس وأربعين سنة، وقيل ثلاث وأربعين، مات غازياً حيث أصابته حمى وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر. كان الناس يقولون: «سليمان مفتاح الخير، أذهب الحجاج، وأطلق الأسرى، وأخلى السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز» وهو الذي صلى على جنازته. وكان موته بدابق من أرض قنسرين[3] .

أهم الوفيات في عهده

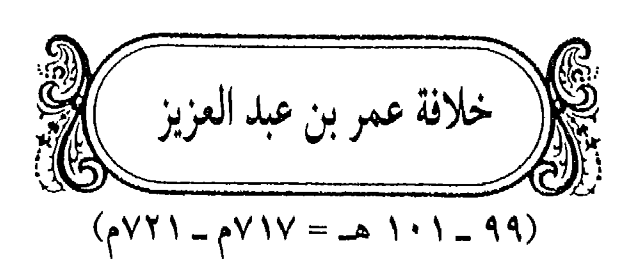
توفي في سنة سبع وتسعين الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكانت زوجته فاطمة بنت الحسين. وفيها أيضاً توفي موسى بن نصير القائد المشهور.

---

(١) البداية والنهاية ٩/١٥٧.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٨/١١٨ ـ ١٢٠، والكامل ٤/١٤٧ ـ ١٤٩.

(٣) انظر البداية والنهاية ٩/١٧٧، والكامل ٤/١٥١.



خلافة عمر بن عبد العزيز

(٩٩ ـ ١٠١ هـ = ٧١٧م ـ ٧٢١م)

نسبه وحياته

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو حفص القرشي الأموي، أمير المؤمنين، اعتبروه خامس الخلفاء الراشدين. وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

كان عمر تابعياً جليلاً، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام، وروى عن خلق من التابعين، وعنه جماعة من التابعين وغيرهم. كان ثقة مأموناً روى له أصحاب الكتب الستة، وله فقه وعلم وورع.

قال الزبير بن بكار: حدثني العتبي قال: إن أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب، إن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه، فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام، فقال:يا أبت أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي؟ قال: وما هو؟ قال: ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهائها وأتأدب بآدابهم، فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة، وأرسل معه الخدام، فقعد مع مشايخ قريش، وتجنب شبابهم، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم، وزوجه بابنته فاطمة، وهي التي يقول الشاعر فيها:

بنت الخليفة والخليفة جدها   أخت الخلائف والخليفة زوجها

توليه الخلافة

عن رجاء بن حيوة، وكان وزير صدق لبني أمية، قال: استشارني سليمان بن

عبد الملك، وهو مريض، أن يولي له ابناً صغيراً لم يبلغ الحلم، فقلت: إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح، ثم شاورني في ولاية ابنه داود، فقلت: إنه غائب عنك بالقسطنطينية، ولا تدري أحي هو أو ميت، فقال: من ترى؟ فقلت: ما رأيك يا أمير المؤمنين، قال فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله، ولكن أتخوف عليه إخوتك أن لا يرضوا بذلك، فقال: هو والله على ذلك. وأشار رجاء أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن العزيز ليرضى بذلك بنو أمية فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليته الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم عدوكم. وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب الشرطة، فقال له: إجمع أهل بيتي فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوماً، فمن أبى منهم فاضرب عنقه. فاجتمعوا ودخل كل رجل منهم فسلموا على أمير المؤمنين، فقال لهم: هذا الكتاب عهدي إليكم، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه، فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً. قال رجاء: فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستعفيه الآن، قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة، فقلت: والله لا أخبرك حرفاً واحداً . . . فلما مات سليمان . . . جمع الناس في مسجد دابق، فقلت (أي رجاء) بايعوا لمن في هذا الكتاب، فقالوا قد بايعنا، فقلت: بايعوا ثانية، ففعلوا، ثم قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، وقرأت الكتاب عليهم، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان . . . ونادى هشام لا نبايعه أبداً، فقلت: أضرب عنقك والله، قم فبايع.

ثم قام عمر بن العزيز فخطب الناس خطبة بليغة، فكان مما قال: أيها الناس، إني لست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأنصار والمدن إن أطاعوا كما

أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوال، ثم نزل[1].

الحوادث في خلافته

بقية حوادث سنة تسع وتسعين

أول ما بادر إليه عمر بن عبد العزيز أن بعث إلى مسلمة بن عبد الملك يأمره بالرجوع من القسطنطينية هو ومن معه من المسلمين.

الأمراء

وفيها عزل عمر يزيد بن المهلب عن إمرة العراق، وبعث عدي بن أرطأة الفزاري على إمرة البصرة واستقضى عليهاالحسن البصري، ثم استعفاه فأعفاه. وبعث على إمرة الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، واستقضى عليها عامراً الشعبي. وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي. وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد، وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو الذي حج بالناس في هذه السنة. وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن أبي وداعة وولى عليها أيوب بن شرحبيل، وجعل الفتيا إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي جعفر، فهؤلاء الذين كانوا يفتون الناس. واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله المخزومي، وأسلم في ولايته في بلاد المغرب خلق كثير من البربر[2].

سنة مائة من الهجرة

ابتداء الدعوة العباسية

في هذه السنة وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الدعاة في الآفاق، وذلك بعد أن فوض الأمر له أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ودعى أصحابه لذلك من بعد وفاته[3].

(١) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ٩/ ١٩٢ ـ ٢٠٧، والكامل ٤/ ١٥٢ ـ ١٥٧، وتهذيب التهذيب ٧/ ٤٧٥ ـ ٤٧٨، وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٨ ـ ٢٣٦، وتاريخ الطبري ٨/ ١٣٧ ـ ١٤٠، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ١٠١ ـ ١٢٠ ص ١٨٧ ـ ٢٠٦، وشذرات الذهب ١/ ١١٩ ـ ١٢١.

(٢) عن البداية والنهاية ٩/ ١٨٥.

(٣) الكامل ٤/ ١٥٩، والبداية والنهاية ٩/ ١٨٩.

سنة إحدى ومائة

أمر يزيد بن المهلب

لما عزل أمير المؤمنين عمر يزيد بن المهلب عن إمرة العراق وسيق إليه موثوقاً، فحبسه لعدم أداء يزيد حقوق المسلمين من المال الذي كان يجمعه من العراق وخراسان، فلما دخلت سنة إحدى ومائة هرب يزيد من السجن لعلمه بمرض أمير المؤمنين وخشيته من يزيد بن عبد الملك، (وسيأتي بقية أمره لاحقاً)[١].

وفاة عمر بن عبد العزيز

في هذه السنة توفي عمر بن عبد العزيز في رجب، وكان قد مرض عشرين يوماً. ولما مرض قيل له: «لو تداويت، قال: لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها، نعم المذهوب إليه ربي». وكان موته بدير سمعان[٢]، وقيل بخناصرة[٣] ودفن بدير سمعان.

وقيل سبب وفاته إصابته بالسل. وقيل إن سببها أن مولى له سمه وأعطي على ذلك ألف دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فاستدعى مولاه الذي سمه فقال له: ويحك، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: ألف دينار أعطيتها فقال: هاتها، فوضعها في بيت المال، ثم قال له: إذهب حيث لا يراك أحد فتهلك.

وقيل له هؤلاء بنوك ـ وكانوا اثني عشر ـ ألا توصي لهم بشيء فإنهم فقراء؟ فقال: ﴿**إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين**﴾[٤] والله لا أعطيتهم حق أحد وهم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه، ثم استدعى أولاده فودعهم وعزاهم بهذا[٥].

---

(١) الكامل ٤/ ١٦٠ ـ ١٦١، والبداية والنهاية ٩/ ١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) دير سمعان: هو دير بنواحي دمشق في موضع نزه وبساتين محدقة به وعنده قصور ودور (معجم البلدان ٢/ ٥١٧).

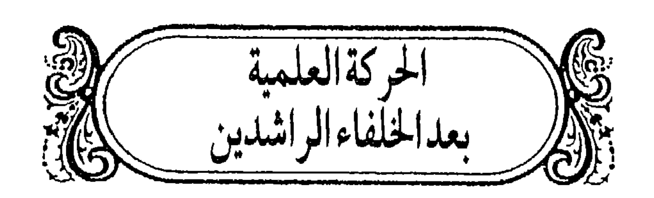
(٣) خناصرة: بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية (معجم البلدان ٢/ ٣٩٠).

(٤) سورة الأعراف آية ١٩٦.

(٥) البداية والنهاية ٩/ ٢٠٩ ـ ٢١٠، والكامل ٤/ ١٦١.

أهم الوفيات في عهده

من أشهر من مات في زمن عمر بن عبد العزيز: الحسن بن محمد بن الحنفية التابعي الجليل، والفقيه الزاهد مسلم بن يسار، والصحابي المحدث سهل بن حنيف أبو أمامة.



الحركة العلمية بعد الخلفاء الراشدين

أ ـ مميزات هذه الفترة

١ ـ **انقسام المسلمين سياسياً**، وهذا واضح مما ذكرناه آنفاً، ونخص بالذكر أمر الخوارج بفرقهم المختلفة، وأمر عبد الله بن الزبير وشيعة الحسين ومن بعدهم ابن الأشعث وكلهم كان على خلاف مستحكم مع الخليفة المركزي، أو تحديداً مع الخليفة الأموي.

٢ ـ **اتساع رقعة الدولة**، حيث بلغت الدولة الإسلامية مدى بعيداً جداً في اتساعها حتى بلغت الصين شرقاً والأندلس والمغرب غرباً.

٣ ـ **تفرق علماء المسلمين في البلاد المفتوحة**، بعد أن كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمنع القراء والفقهاء من أصحاب الشورى من الخروج من المدينة المنورة، فُسح لهم الأمر بعد عهده باختيار البلاد التي يسكنوها، فكان منهم المعلم ومنهم القارىء ومنهم المجتهد حيث تربى على أيديهم كبار التابعين، فظهر كبار المجتهدين من قضاة وفقهاء ومحدثين ومفسرين، وكان جامعهم الوحيد وحلقة اتصالهم الحج حيث كانوا يلتقون في تلك الفترة بالمدينة ومكة.

٤ ـ **دخول كثير من أهالي البلاد المفتوحة في الإسلام**، وكان عند كثير من هذه الشعوب ظمأ للعلم، فتعلموا على أيدي الصحابة وكبار التابعين، وأجادوا في العلوم الإسلامية، وبرعوا فيها، وظهر منهم المجتهدون، وكان لهم التأثير البيِّن على الحركة العلمية في تلك الفترة.

ب ـ القرآن

كان القرآن قبل هذه الفترة قد جمع ونسخ ووزع على الأمصار الأساسية، فلم يعد هناك أي اختلاف في قراءة القرآن بوجود المصحف الإمام، ولكن الناس

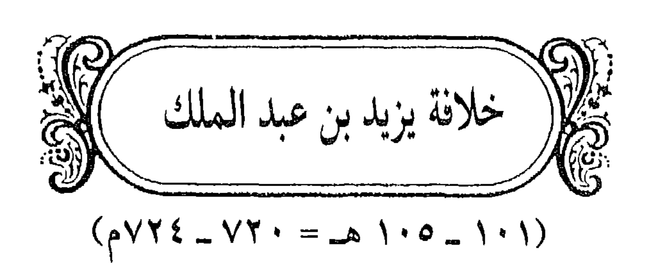
احتاجوا إلى تفسير آيات القرآن، فكانوا يلجأون إلى الصحابة بصفة أساسية، وربما سمعوا منهم أحاديث في تفسير القرآن، وهو ما يسمى التفسير بالمنقول، لذلك اشتغل بعض مجتهدي هذا العصر بالتفسير لحاجة الناس إليه، نذكر من أهم مفسري هذه الفترة عبد الله بن عباس، وسعيد بن جبير التابعي وجابر بن زيد صاحب ابن عباس. وفي عصر التابعين بدأ يظهر التفسير بالإسرائيليات لكثرة من دخل من اليهود والنصارى في الإسلام.

ج ـ الحديث

منع النبي ﷺ أن يكتب حديثه، لكنه أذن لبعض الصحابة بذلك. وفي عهد الخلفاء بقي الرأي على منع تدوين الحديث. أما بعد عهدهم فقد أذن بعض المجتهدين بكتابة الحديث فقالوا: إن النهي عن الكتابة كان وقت نزول القرآن خشية التباس القرآن بالحديث. لكن التدوين للحديث بقي نادراً وغير منظم وبدون قواعد في هذه الفترة، إلى أن تنبه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز لأهمية تدوين الحديث فكتب إلى عامله بالمدينة محمد بن عمرو بن حزم يطلب منه تدوين حديث رسول الله ﷺ. وظهر من كبار علماء الحديث سعيد بن المسيب المخزومي. وعبيدة بن عمرو السلماني المرادي، والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

د ـ الفقه

سبق أن قلنا بأن كبار الصحابة كانوا يستعملون رأيهم في استنباط الأحكام التي لا نص فيها، مما جعل بوادر الاجتهاد تظهر في هذه الفترة ويتربى عليها كبار التابعين الذين كانوا يستفتون بوجود بعض الصحابة، نذكر منهم سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير بن العوام، وعلقمة بن قيس النخعي فقيه العراق، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع الهمداني، وشريح بن الحارث الكندي القاضي، وإبراهيم بن يزيد النخعي. ففي هذه الفترة عرضت مسائل لم يكن هناك فيها نص أو فتوى في عهد الخلفاء الراشدين، وذلك لاتساع رقعة البلاد الإسلامية ودخول كثير من الشعوب في الدين الإسلامي، فأكثر المجتهدون من استعمال الرأي والقياس.



خلافة يزيد بن عبد الملك

(١٠١ ـ ١٠٥ هـ = ٧٢٠ ـ ٧٢٤م)

نسبه وحياته

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير المؤمنين، أبو خالد الدمشقي الأموي. أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية.

ولد سنة إحدي أو اثنتين وسبعين. وكان جسيماً أبيض مدور الوجه لم يشب. كان يكثر من مجالس العلماء قبل أن يلي الخلافة، فلما ولي عزم أن يتأسى بعمر بن عبد العزيز، فما تركه قرناء السوء، وحسنوا له الظلم. قال عبد الرحمن بن زيد: لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر، فمكث كذلك أربعين ليلة، فأتي بأربعين شيخاً فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب.

كان يزيد على حب شديد لجارية تدعى حبابة، كان اشتراها في زمن أخيه بأربعة آلاف دينار. فبينما هو معها ذات يوم على أسر حال، وبين يديهما عنب يأكلان منه، إذ رماها بحبة عنب وهي تضحك فشرقت بها فماتت، فمكث أياماً يقبلها وهي ميتة حتى أنتنت وجيفت، فأمر بدفنها، فلما دفنها أقام أياماً عندها على قبرها هائماً، ثم رجع إلى المنزل ثم عاد إلى قبرها وهو يقول:

فإن تَسَلُ عنكِ النفسُ أو تدعُ البكا — فباليأس أسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قائلٌ — من أجلكِ هذا هامة اليوم أو غدِ

ثم رجع إلى منزله فما خرج إلا على النعش، وكان مرضه بالسل، ومات بإرْبد بسواد الأردن وذلك لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وكانت خلافته أربع سنين وشهراً.

توليه الخلافة

بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة بعهد من أخيه سليمان أن يكون الخليفة بعد عمر بن عبد العزيز، كما قدمنا. وكتب إليه عمر بن عبد العزيز وصية فيها: «أما بعد، فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة، إنك تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتصير إلى من لا يعذرك، والسلام»(١).

الحوادث في عهده

بقية حوادث سنة إحدى ومائة

الخوارج

وفيها كانت وقعة مع الخوارج، وهم أصحاب بسطام الخارجي، وكان عدد الخوارج قليل، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس. وكادت الخوارج أن تكسر جند الكوفة، لكن سعيد بن عمرو الحرشي قائد جيش الكوفة وبخ أصحابه وأعاد شملهم فطحنوا الخوارج طحناً عظيماً، وقتلوهم عن آخرهم.

يزيد بن المهلب

وفيها خرج يزيد بن المهلب فخلع يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة، وذلك بعد محاصرة طويلة وقتال طويل، فلما استولى عليها بسط العدل في أهلها، وبذل الأموال، وحبس عاملها عدي بن أرطأة، لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة، واستقر أمر يزيد بن المهلب على البصرة، وبعث نوابه في النواحي والجهات، واستناب في الأهواز، وأرسل أخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان، ومعه جماعة من المقاتلة، فلما بلغ أمر ابن المهلب الخليفة جهز ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف رجل، فالتقى بجنود يزيد بن المهلب في مكان يقال له العقر، ودارت الحرب، وقاتل يزيد قتالاً شديداً، ثم تكاثر عليه أهل الشام فقتلوه (٢).

---

(١) انظر ترجمته في: الكامل ٤/ ١٩٠ ـ ١٩٢، وتاريخ الخلفاء ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦، والبداية والنهاية ٩/ ٢٣١ ـ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام حوادث ١٠١ ـ ١٢٠ ص ٢٧٩ ـ ٢٨١، وتاريخ الطبري ٨/ ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) انظر البداية والنهاية ٩/ ٢١٩ ـ ٢٢١، والكامل ٤/ ١٦٨ ـ ١٧٤، وتاريخ الطبري ٨/ ١٤٤ ـ ١٥٩.

سنة ثنتين ومائة

البيعة لهشام

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش لمحاربة يزيد بن المهلب، وأشاروا عليه ببيعة من يناسب من أهله لكي يليه في الإمارة، فبايع يزيد: هشام بن عبد الملك، ثم من بعده لابنه الوليد، وبايع الناس[1].

غزو الترك

بعث ملك الترك جيشاً إلى الصغد لقتال المسلمين، وعليهم رجل يقال له كورصول، فأقبلوا حتى حاصروا قصر الباهلي وفيه خلق من المسلمين فصالحهم نائب سمرقند عثمان بن عبد الله بن مطرف على أربعين ألفاً، ثم حث عثمان الناس على قتالهم، فخرج أربعة آلاف عليهم المسيب بن بشر الرياحي، وفي الطريق تخاذل عن المسيب الناس حتى صاروا سبعمائة مقاتل، فقاتل بهم الترك قتالاً شديداً وصبروا حتى فر المشركون هاربين، ثم أخذوا المسلمين من قصر الباهلي وساروا إلى سمرقند[2].

سنة أربع ومائة

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحكمي نائب أرمينية وأذربيجان أرض الترك، ففتح «بلنجر» وهزم الترك وأغرقهم وذراريهم في الماء، وفتح عامة الحصون التي تلي بلنجر، وأجلى عامة أهلها، والتقى هو والخاقان الملك فجرت بينهما وقعة هائلة انهزم بعدها ملك الترك[3].

سنة خمس ومائة

وفاة يزيد بن عبد الملك

في هذه السنة توفي يزيد بن عبد الملك لخمس بقين من شعبان، وله أربعون

---

(١) عن الكامل ٤/ ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) انظر الكامل ٤/ ١٧٨ ـ ١٧٩، والبداية والنهاية ٩/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

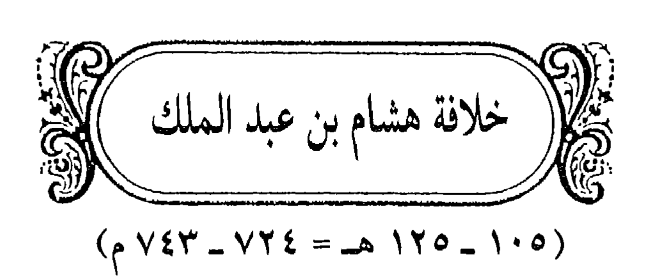
(٣) انظر الكامل ٤/ ١٨٤ ـ ١٨٩، والبداية والنهاية ٩/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، وتاريخ الطبري ٨/ ١٦٨ ـ ١٧٨.

سنة، وقيل خمس وثلاثون سنة، وكانت ولايته أربع سنين وشهراً وأياماً[1].

أهم الوفيات في عهده

وممن مات في خلافة يزيد من المشاهير التابعي المحدث الضحاك بن مزاحم الهلالي، وإمام التابعين والمفسرين مجاهد بن جبير المكي أبو الحجاج القرشي المخزومي.

(١) الكامل ٤/ ١٩٠، والبداية والنهاية ٩/ ٢٣١.



خلافة هشام بن عبد الملك

(١٠٥ ـ ١٢٥ هـ = ٧٢٤ ـ ٧٤٣ م)

نسبه وحياته

هوهشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي. وأمه فاطمة[1] بنت هشام بن اسماعيل المخزومي.

ولد سنة ٧٢ هـ، وكان جميلاً أبيض أحول يخضب بالسواد، كان في خلافته حازم الرأي جماعاً للأموال بخيلاً، وكان ذكياً مدبراً، له بصر بالأمور جليلها وحقيرها، وكان فيه حلم واناة. شتم مرة رجلاً من الأشراف، فقال له: أتشتمني وأنت خليفة الله في الأرض؟ فاستحيا وقال: اقتص مني بدلها، فقال: إذاً أكون سفيهاً مثلك، قال فخذ عوضاً، قال: لا أفعل، قال: فاتركها لله، قال هي لله ثم لك، فقال هشام عند ذلك، والله لا أعود إلى مثلها.

قال الشافعي: لما بنى هشام الرصافة بقنسرين أحب أن يخلو يوماً لا يأتيه فيه غم، فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم من بعض الثغور، فأوصلت إليه، فقال: ولا يوماً واحداً.

توليه الخلافة

استخلف هشام بعد وفاة أخيه يزيد، وبعهد منه كما قدمنا، وذلك لأربع بقين من شعبان عام ١٠٥ هـ، وعمره آنذاك أربعة وثلاثون عاماً، استخلف تسع عشرة

(١) وقيل عائشة، انظر الكامل ٤/ ١٩٢.

سنة وسبعة أشهر، وهو الخليفة الرابع من أبناء عبد الملك بن مروان[١].

الحوادث في عهده
سنة سبع ومائة

السند

في هذه السنة استعمل خالد القسري الجنيد بن عبد الرحمن على السند، فنزل شط مهران، فمنعه جيشبة بن ذاهر من العبور وقال: إننا مسلمون، فقد استعملني الرجل الصالح - يعني عمر بن عبد العزيز - على بلادي، ولست آمنك، فأعطاه رهناً، وأخذ منه رهناً بما على بلاده من الخراج، ثم إنهما ترادا الرهن وكَفَرَ جيشبة وحاربه الجنيد، وأخذ جيشبة أسيراً ثم قتله[٢].

الأندلس

في هذه السنة غزا عنبسة بن سحيم الكلبي عامل الأندلس غربي أوروبا في جمع كثير، ونازل مدينة «قرقسونة» فصالحه أهلها على نصف أعمالها، وعلى جميع ما في المدينة من أسرى المسلمين وأسلابهم، وأن يعطوه الجزية، وأن يلتزموا بأحكام أهل الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من سالموه، وبعد أن عاد عنبسة مات في شعبان[٣].

غرشستان[٤]

وفيها غزا أسد بن عبد الله القسري متولي خراسان بلاد غرشستان، فانكسر المسلمون واستشهدت طائفة، ورجع الجيش مجهودين جائعين[٥].

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤، والبداية والنهاية ٩/ ٣٥١ ـ ٣٥٣، شذرات الذهب ١/ ١٦٣، والكامل ٤/ ٢٥٤ ـ ٢٥٦.

(٢) الكامل ٤/ ١٩٧.

(٣) المصدر السابق ٤/ ١٩٧.

(٤) ولاية تقع هراة في غربيها، والغور في شرقيها، ومرو الروذ في شماليها، وغزنة في جنوبها (معجم البلدان ٤/ ١٩٣).

(٥) تاريخ الإسلام حوادث ١٠١ ـ ١٢٠ ص ١٦.

سنة ثمان ومائة

وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان وحاصر مدينة ورثان ورماها بالمناجيق، فسار إليه أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه، وقتل من جيشه خلق كثير[1].

سنة عشر ومائة

إسلام أهل سمرقند

في هذه السنة دعا أشرس بن عبد الله السلمي نائب خراسان أهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام، ويضع عنهم الجزية، فأجابوه إلى ذلك، وأسلم غالبهم، ثم طالبهم بالجزية، فحاربوه وقاتلوه[2].

سنة ثنتي عشرة ومائة

الخزر والترك

في هذه السنة اجتمع الخزر والترك من ناحية اللان[3] لقتال المسلمين، فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمي مع أهل الشام، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان، واستشهد الجراح وكثير ممن كان معه بمرج أردبيل، فطمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل. فبعث هشام بن عبد الملك سعيداً الحرشي لقتال الخزر والترك، فكان لا يمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها فيجيبه من يريد الجهاد، حتى التقى بأصحاب الجراح وساروا معه، فالتقى بالخزر ليلاً وهم نيام، فهاجمهم مع الفجر، فما بزغت الشمس حتى قتلوا جميعاً غير رجل واحد. ثم سار الحرشي إلى الخزر المجتمعين في مكان آخر فباغتهم وقتلهم.

ثم حث ابن ملك الخزر الجنود على معاودة القتال، فاجتمع معه عساكر كثيرة، فسار الحرشي إليه، فالتقيا بأرض برزند، وصبر المسلمون حتى ولى الخزر الأدبار منهزمين. ثم تتابعت حملات الخزر وكانوا ينكسرون في كل مرة[4].

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٥٦، والكامل ٤/ ١٩٩.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢٥٩.

(٣) اللان: بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر.

(٤) انظر تاريخ ابن خلدون ٣/ ٨٩ ـ ٩٠، والكامل ٤/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، والبداية والنهاية ٩/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

سنة ثلاثة عشرة ومائة

الروم

فيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش[١]. وقيل كانت فيها وقعة عظيمة هائلة بأرض الروم، انكسر فيها المسلمون، وكانوا ثمانية آلاف رجل، وكان عليهم مالك بن شبيب الباهلي فاستشهد، واستشهد البطال الذي تضرب الأمثال بشجاعته[٢].

دعاة بني العباس

وفيها صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان وانتشروا فيها، وقد أخذ أميرهم رجلاً منها فقتله وتوعد غيره بمثل ذلك.

سنة سبع عشرة ومائة

بلاد اللان

في هذه السنة بعث مروان بن محمد (المسمى بالحمار) وهو على أرمينية بعثين، ففتح حصوناً في بلاد اللان، ونزل كثير منهم على الإيمان[٣]

الترك

وفيها جاشت الترك بخراسان ومعهم الحارث بن سريج وعليهم الخاقان الكبير، فعاثوا وأفسدوا، ووصلوا إلى مرو الروذ، فسار أسد القسري فالتقاهم فهزمهم، وكانت وقعة هائلة قتل فيها من الترك خلائق كثيرة[٤].

المغرب والأندلس

استخلف عبيد الله بن الحبحاب على مصر ولده وسار إلى إفريقية، وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً إلى المغرب فبلغ السوس فلم يقاتله أحد إلا تغلب عليه، وأصاب من الغنائم والسبي أمراً عظيماً، فهابه أهل المغرب.

---

(١) مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق (معجم البلدان ٥/ ١٠٧).

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٠٤، وتاريخ الإسلام حوادث ١٠١ ـ ١٢٠ ص ٣٠٨.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٣١٣.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث سنة ١٠١ ـ ١٢٠ ص ٣١٤.

وظهر في تلك الأثناء جماعة بإفريقية فأظهروا مقالة الخوارج عليهم ميسرة السقاء، فوجه إليهم الحبحاب: حبيب بن أبي عبيدة، فاقتتلوا في ضواحي طنجة قتالاً شديداً، وعاد ميسرة إلى طنجة، فأنكرت البربر سيرته فقتلوه وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي، فالتقى بخالد بن حبيب بن أبي عبيدة فانكسر المسلمون وصبروا حتى قتلوا جميعاً، وسميت غزوة الأشراف.

ولما بلغ الأمر هشام بن عبد الملك سير جيشاً كثيفاً جداً عليه كلثوم بن عياض القشري وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائة فالتقى بالبربر قريب من طنجة فانهزم الخيل أولاً، ثم انهزم جيش المسلمين وقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة، ومضى أهل الشام إلى الأندلس وعليهم بلج بن بشر.

فلما علم هشام بالأمر بعث أميراً على إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي فوصلها في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة، فلم يمكث بالقيروان إلا يسيراً حتى زحف إليه عكاشة الخارجي[1] في جمع عظيم من البربر فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عكاشة، وقتل من البربر ما لا يحصى.

وعاد حنظلة إلى القيروان وسير أربعين ألفاً من جيش كثيف إلى عبد الواحد بن يزيد صاحب عكاشة، فلما قاربوه لم يجدوا شعيراً يعلفونه دوابهم فأطعموها حنطة، ثم لقوا عبد الواحد من الغد فانهزموا وعادوا إلى القيروان، وهلكت دوابهم بسبب الحنطة.

وسار عبد الواحد فنزل على ثلاثة أميال من القيروان بمكان يعرف بالأصنام وقد اجتمع معه ثلاثمائة ألف مقاتل، فحشد حنظلة كل من بالقيروان وفرق فيهم السلاح والمال فكثر جمعه، وتقابل الجمعان، وحرض العلماء والنساء على الجهاد، وثبت الفريقان، ثم هزمت الخوارج والبربر، ونصر الله المسلمين، وكان عدد قتلى الخوارج مائة وثمانين ألفاً[2].

---

(١) كان على رأي الخوارج الصفرية.

(٢) عن الكامل ٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤.

سنة ثماني عشرة ومائة

دعاة بني العباس

في هذه السنة وجه بكير بن ماهان: عمار بن يزيد إلى خراسان أميراً على شيعة بني العباس، فنزل مرو وغير اسمه وتسمى باسم خداش، ودعا إلى مبايعة محمد بن علي، فسارع إليه الناس وأطاعوه، ثم غير ما دعاهم إليه وأظهر دين الخرمية[1]، ورخص لبعضهم في نساء بعض، فبلغ خبره أسد بن عبد الله فقطع لسانه وسمل عينيه ثم قتله وصلبه بآمل[2].

سنة تسع عشرة ومائة

قتل ملك الترك

في هذه السنة سار أمير خراسان أسد بن عبد الله القسري بجيوشه إلى مدينة خُتَّل[3] ففتحها، وتفرقت في أرضها جنوده يقتلون ويأسرون ويغنمون، فاغتنم خاقان فرصة تفرق جنود المسلمين، فقصد بجنوده أسداً، وجمع أسد جنده وسار نحو خاقان، فتواجه الجيشان في يوم عيد الفطر فانهزم خاقان.

ثم سار أسد بمن معه حتى نزل مرج بلخ حتى انقضى الشتاء، فسار إلى الخاقان، وتقاتل الجيشان، فقتل المسلمون منهم خلقاً وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه، وهرب الترك ولحق بهم أسد حتى قتل خاقان، فتفرقت الأتراك بعد ذلك[4].

الخوارج

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ولقبه كشارة ومعه دون المائة من الرجال يريد قتل خالد القسري، فبعث إليهم خالد بالجيوش فكان يهزم جيشاً تلو الآخر، واستفحل أمر بهلول وعزموا على المسير إلى أمير المؤمنين لقتله

---

(١) الخرمية: هم أصحاب التناسخ والحلول والإباحة.

(٢) الكامل ٤/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٣) ختَّل: كورة واسعة كثيرة المدن خلف جيحون، وهي على تخوم السند (معجم البلدان ٢/ ٣٤٦).

(٤) عن البداية والنهاية ٩/ ٣٢١ ـ ٣٢٣، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٣١ ـ ٢٤٠، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٩٣ ـ ٩٦.

بالشام، فوجه إليهم خالد جنداً من العراق، وسير عامل الجزيرة جنداً من الجزيرة، ووجه هشام جنداً من الشام، واجتمعت الجيوش بدير بين الجزيرة والموصل، وأقبل بهلول إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل كثير من أصحاب بهلول وطعن بهلول فولى عليهم دعامة الشيباني، فإن هلك فعمرو اليشكري، فلما مات بهلول هرب دعامة، ثم قتل اليشكري، وأبيدوا عن آخرهم(١).

سنة عشرين ومائة

أمر بني العباس

في هذه السنة وجهت شيعة بني العباس بخراسان سليمان بن كثير إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس لعلمه أمرهم بعد الذي حدث مع خداش، حيث ترك محمد مكاتبتهم ومراسلتهم لاتباعهم خداش الكذاب، فأعلمهم محمد بغضبه عليهم وأنهم عصاة(٢).

سنة إحدى وعشرين ومائة

أمر زيد بن علي

التف على زيد بن علي بن الحسين أربعون ألفاً من أهل العراق، بايعوه ضد أمير المؤمنين، واستمر يبايع في الباطن على كتاب الله وسنة رسوله حتى استفحل أمره، وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة، وفيها أمر زيد أتباعه بالخروج والتأهب، فعلم أمير العراق يوسف بن عمر بخروجهم، فأمر نائبه على الكوفة الحكم بن الصلت بجمع الناس في المسجد فجمعهم وحصر أصحاب زيد، ثم حضر يوسف بن عمر فقاتل أصحاب زيد، وكان كر وفر، حتى أصاب زيد بن علي سهم في جبهته فوصل إلى دماغه فمات، وانتشر أصحابه حيث لم يبق لهم رأس يقاتلون معه(٣).

---

(١) الكامل ٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٢، والبداية والنهاية ٩/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٢٦، والكامل ٤/ ٢٣٥.

(٣) انظر البداية والنهاية ٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣١، والكامل ٤/ ٣٤٥ ـ ٣٤٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٩٨ ـ ١٠٠، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٧٢ ـ ٢٧٨.

سنة أربع وعشرين ومائة

ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني

قدم جماعة من دعاة بني العباس من خراسان يريدون مكة فمروا بالكوفة، فبلغهم أن في السجن جماعة من الأمراء من دعاة بني العباس قد حبسهم يوسف بن عمر فيهم أبو مسلم الخراساني في خدمة أحد السجناء، فاجتمعوا بهم بالسجن، ودعوهم إلى بيعة بني العباس، فوجدوهم على ذلك، ثم اشترى بكر بن ماهان أبا مسلم الخراساني من سيده بأربعمائة درهم وخرجوا به معهم، وندبوه للدعوة لبني العباس، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب ونتج ما يوجهونه إليه[1].

سنة خمس وعشرين ومائة

فيها مات أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وواحداً وعشرين يوماً. وكانت وفاته بالذبحة[2].

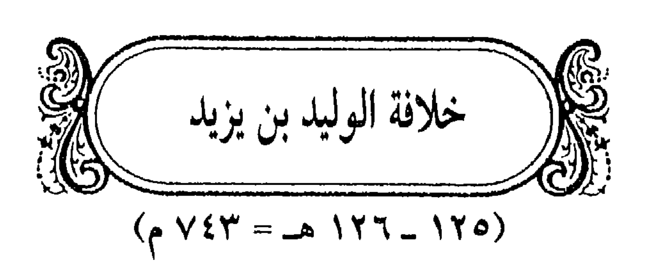
من مات في خلافته من الأعلام

وممن مات في خلافة هشام بن عبد الملك من الأعلام طاووس بن كيسان اليماني أحد أكبر أصحاب ابن عباس، جمع العبادة والزهادة والعلم النافع والعمل الصالح. وسليمان بن يسار أحد التابعين المحدثين. وممن مات أيضاً كُثَيِّر عزة الشاعر المشهور. ومحمد بن كعب القرظي التابعي المفسر العابد. وجرير بن الخطفي الشاعر المشهور، والفرزدق همام بن غالب الشاعر المشهور أيضاً. ومحمد بن سيرين العالم الذي اشتهر بتعبير الرؤيا. والحسن البصري أحد الأئمة الفقهاء المشهورين بالعلم والعمل. ووهب بن منبه الذي اشتهر بمعرفته بكتب الأوائل، وشهر بن حوشب التابعي المحدث. ومكحول الشامي التابعي أحد

(١) انظر البداية والنهاية ٩/ ٣٤٠، والكامل ٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٨٤.

العلماء الكبار في الفقه وعلوم الشرع. وعطاء بن أبي رباح أحد كبار التابعين الثقات الزهاد. وأبو جعفر الباقر وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي تابعي جليل القدر وأحد الأعلام في العلم والعمل. وقتادة بن دعامة السدوسي أحد علماء التابعين والأئمة العاملين، ونافع مولى ابن عمر المحدث، وذو الرمة الشاعر، وشيخ البخاري محمد بن مسلم الزهري التابعي المحدث.



خلافة الوليد بن يزيد

(١٢٥ ـ ١٢٦ هـ = ٧٤٣ م)

نسبه وحياته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الدمشقي، الخليفة الفاسق[١].

ولد سنة تسعين للهجرة وكان من أجمل الناس وأشعرهم وأشدهم. وكان فاسقاً، شراباً للخمر، منتهكاً حرمات الله، لم يزدد في الخلافة إلا شراً ولهواً ولذة وركوباً للصيد، ومنادمة الفساق، فثقل ذلك على الأمراء والرعية والجند، وكرهوه كراهة شديدة.

سار في الناس في بداية خلافته سيرة حسنة، وأمر بإعطاء الزمنى والمجذومين والعميان لكل واحد خادماً، وأخرج من بيت المال الطيب والتحف لعيالات المسلمين، وزاد في أعطيات الناس، لا سيما أهل الشام والوفود.

قيل أراد الوليد بن يزيد الحج، وقال: أشرب فوق ظهر الكعبة، فهم قوم أن يفتكوا به إذا خرج، وكلموا خالد بن عبد الله القسري ليوافقهم فأبى، فقالوا: أكتم علينا، قال: أما هذا فنعم. ثم جاء إلى الوليد فقال: لا تخرج فإني أخاف عليك، قال ممن؟ قال: لا أجهرك بهم، قال: إن لم تخبرني بهم بعثت بك إلى يوسف بن عمر، قال: وإن، فبعث به إليه فعذبه حتى قتله.

قال ابن فضل الله في المسالك: الوليد بن يزيد، الجبار العنيد، لقباً ما عداه،

---

(١) هكذا سماه الذهبي في تاريخ الإسلام، حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٢٨٧.

ولقما[1] سلكه مما هداه، فرعون ذلك العصر الذاهب، والدهر المملوء بالمعائب، يأتي يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار، ويرديّهم العار، وبئس الورد المورود، والمورد المردي في ذلك الموقف المشهود، رَشَق المصاحف بالسهام، وفسقَ ولم يُخفِ الآنام.

قال الوليد: المحبة للغناء تزيد في الشهوة، وتهدم المروءة، وتنوب عن الخمر، وتفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء رقية الزنا، وإني لأقول ذلك على أنه أحب إلي من كل لذة، وأشهى إلى نفسي من الماء إلى ذي الغلة، ولكن الحق أحق أن يتبع[2].

توليه الخلافة

لما حضرت الوفاة والده يزيد بن عبد الملك لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبي حدث، فعقد لأخيه هشام وجعل الوليد ولياً للعهد من بعد هشام. فلما توفي هشام بايع الناس الوليد لست مضين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة[3].

وقد كان الزهري يحث هشاماً على خلع الوليد هذا، فيحجم هشام عن ذلك خوف الفضيحة من الناس، ولئلا تتنكر قلوب الأجناد من أجل ذلك. وكان الوليد يفهم ذلك من الزهري ويبغضه ويتوعده. ويتهدده فيقول له الزهري: ما كان الله ليسلطك علي يا فاسق، ثم مات الزهري قبل ولاية الوليد، ثم فر الوليد من عمه إلى البرية، فلم يزل بها حتى مات هشام. فركب من فوره إلى دمشق، وجاءته البيعة من الآفاق[4].

---

(١) اللقم: الطريق.

(٢) قيل إن قائلها يزيد بن الوليد بن عبد الملك

(٣) أنظر ترجمته في البداية والنهاية ١٠/٦ ـ ٨، والكامل ٤/٢٦٨ ـ ٢٦٩، وتاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٢٨٧ ـ ٢٩٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

(٤) البداية والنهاية ١٠/٣ ـ ٤

الحوادث في عهده

سنة خمس وعشرين ومائة

في هذه السنة عقد الوليد البيعة لابنه الحكم ثم عثمان، على أن يكونا وليي العهد من بعده.

الأمراء في عهده

ثبَّت الوليد على العراق يوسف بن عمر الثقفي، وكتب بالإمارة لنصر بن سيار على خراسان، ثم أعاد ضمها إلى يوسف بن عمر. وولى الوليد أيضاً خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي المدينة ومكة والطائف[1].

سنة ست وعشرين ومائة

قتل الوليد

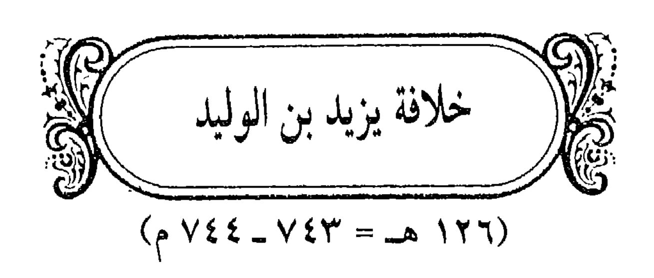
كره الرعية خلاعة ومجون الوليد، وما فعله من قتل خالد بن عبد الله القسري، وبايع الناس يزيد بن الوليد على قتل الوليد.

وحدث أن ظهر وباء في دمشق فخرج الوليد إلى مشارف دمشق مع مائتين من جنده، وبايع أهل دمشق يزيد بن الوليد في الليل، وأمر يزيد بإغلاق أبواب المدينة فلما علم الوليد بالأمر ركب بمن معه من الجنود لقتال أصحاب يزيد، فاقتتلوا والوليد ينتظر المدد بوعد من العباس بن الوليد بن عبد الملك، لكن العباس بايع يزيد بن الوليد، وتفرق جند الوليد، فهجم عشرة من الأمراء على الوليد فضربوه بالسيوف حتى قتلوه، وكان ذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من هذه السنة، وكان عمره يوم قتل ستاً وثلاثين سنة، ومدة ولايته سنة وستة أشهر[2].

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٤ ـ ٥، والكامل ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦١.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٢ ـ ١٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٨ ـ ١١، والكامل ٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٨.



خلافة يزيد بن الوليد

(١٢٦ هـ = ٧٤٣ ـ ٧٤٤ م)

نسبه وحياته

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد الأموي الدمشقي، أمير المؤمنين، ملقب بالناقص[١]. وأمه أم ولد اسمها شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى، وهو القائل:

أنـا ابـن كسـرى وأبـي مـروان   وقيصـر جـدي وجـدي خـاقـان

وإنما جعل قيصر وخاقان جديه لأن أم فيروز بن يزدجرد ابنة كسرى شيرويه بن كسرى، وأمها ابنة قيصر وأم شيرويه ابنة خاقان ملك الترك. تزوج يزيد أخت سليمان بن هشام، وهي أم هشام بنت هشام.

ولد سنة ستة وتسعين، وكان عادلاً ديناً محباً للخير، مبغضاً للشر، قاصداً للحق، يقال في المثل: الأشج والناقص أعدلا بني مروان، والمراد بالأشج عمر بن عبد العزيز. وعن الشافعي: لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي يقال له الناقص دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب أصحاب غيلان. وكان نقش خاتمه: العظمة لله.

توليه الخلافة

بويع أولاً في دمشق بالخلافة كما قدمنا، وبعد قتل الوليد مباشرة بايعه الناس

---

(١) إنما سمي الناقص لأنه نقص الزيادة التي كان الوليد زادها في عطيات الناس وهي عشرة عشرة، ورد العطاء إلى ما كان أيام هشام.

بالخلافة وذلك لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من سنة ست وعشرين ومائة. ولما قتل الوليد خطب الناس فقال:

أما بعد إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمنى ربي، ولكن خرجت غضباً لله ولدينه، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه حين دَرَسَت معالم الهدى وطفىء نور أهل التقوى وظهر الجبار المستحل للحرمة والراكب البدعة، فلما رأيت ذلك أشفقت إن غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم، وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه فيجيبه، فاستخرت الله في أمري، ودعوت من أجابني من أهلي وأهل ولايتي، فأراح الله منه البلاد والعباد ولاية من الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. أيها الناس إن لكم عندي إن وليت أموركم أن لا أضع لبنة على لبنة ولا حجراً على حجر، ولا أنقل مالاً من بلد حتى أسد ثغره، وأقسم بين مسالحه ما يقومن به، فإن فَضَلَ رددته إلى البلد الذي يليه حتى تستقيم العيشة وتكون فيه سواء، فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم، وإن ملت فلا بيعة لي عليكم، وإن رأيتم أحداً أقوى مني عليها فأردتم بيعته فأنا أول من يبايع ويدخل في طاعته، وأستغفر الله لي ولكم[1].

بقية حوادث سنة ست وعشرين ومائة

أهل حمص

لما قتل الوليد أغلق أهل حمص أبوابها، وأقاموا النوائح والبواكي عليه، وأظهروا الأخذ بدم الوليد على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد هو الخليفة، وخلعوا نائبهم ثم قتلوه وابنه وأمَّروا معاوية بن يزيد بن حصين عليهم، وخرجوا في جيش كثيف لقتال جند الخليفة، فالتقوا عند السليمانية فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً فقتل الكثير من الفريقين، ثم هزم أهل حمص ثم وافقوا على مبايعة يزيد، فانطلقوا بهم إلى يزيد فعفا عنهم وأطلق الأعطيات لهم[2].

---

(١) انظر ترجمته تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣١١ ـ ٣١٣، والكامل ٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ و ٢٧٨، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣، والبداية والنهاية ١٠/ ١٣ ـ ١٧.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ١٢ ـ ١٣، والكامل ٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧١.

العراق وخراسان

استخلف يزيد على العراق وخراسان منصور بن جمهور، ثم عزله وولى بدلاً منه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي أسند أمر خراسان إلى نصر بن سيار.

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بخراسان، فخرج الكرماني جديع بن علي الأزدي على نصر بن سيار، فحبسه نصر لكنه هرب والتف حوله رجال من الأزد في ثلاثة آلاف مقاتل، لكن بعض الناس سعوا بالخير، فخرج الكرماني بعد فترة إلى جرجان[1].

البيعة لابراهيم

في هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة لأخيه إبراهيم ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك[2].

وفاة يزيد

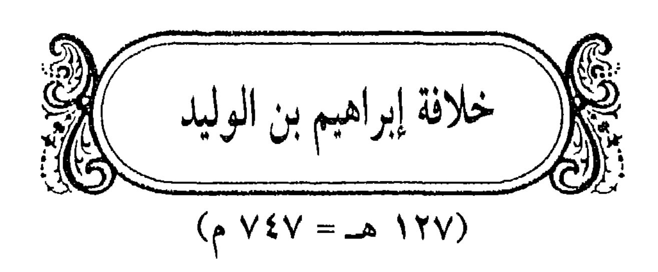
في هذه السنة توفي يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة، وكانت مدة خلافته ستة أشهر وليلتين، وكان موته بدمشق وعمره ستاً وأربعين سنة، وقيل سبعاً وثلاثين سنة، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير[3].

---

(١) الكامل ٤/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٧٨، والبداية والنهاية ١٠/ ١٥.

(٣) الكامل ٤/ ٢٧٨، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧.



(١٢٧ هـ = ٧٤٧ م)

نسبه وحياته

هو إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو إسحاق المرواني الأموي، وأمه أم ولد.

بويع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد الناقص، فقيل إنه عهد إليه، وقيل لا. قال بُرد بن سنان: حضرت يزيد بن الوليد وقد احتضر، فأتاه قطن[1] فقال: أنا رسول من وراءك يسألونك بحق الله لما وليت أمرهم أخاك إبراهيم بن الوليد، فغضب وقال بيده على جبهته: أو أولّي إبراهيم! ثم قال لي: يا أبا العلاء إلى من ترى أعهد؟ قلت: أمر نهيتك عن الدخول فيه فلا أشير عليك في آخره، قال: وأغمي عليه حتى حسبته قد مات، فقعد قطن فافتعل كتاباً بالعهد على لسان يزيد، ودعا ناساً فاستشهدهم عليه ولا والله ما عهد يزيد بن الوليد شيئاً.

مكث إبراهيم في الخلافة سبعين ليلة، ثم خلع، خرج عليه مروان بن محمد وبويع فهرب إبراهيم، ثم جاء وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى مروان، وبايع طائعاً.

عاش إبراهيم بعد ذلك إلى سنة اثنتين وثلاثين، فقتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح[2].

---

(١) مولى يزيد بن الوليد.

(٢) أنظر ترجمته في: تاريخ الخلفاء ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٤ ـ ٣٥.

الحوادث في أيامه
سنة سبع وعشرين ومائة

خروج مروان بن محمد

كان مروان بن محمد الملقب بالحمار نائباً على أذربيجان وأرمينية، وكان قد نقم على يزيد بن الوليد لقتله الوليد بن يزيد، وأقبل في طلب دم الوليد، فلم يمض إلا وقتاً قليلاً حتى بلغه موت يزيد بن الوليد، فجمع الأبطال وسار في أهل الجزيرة حتى وصل قنسرين، فحاصر أهلها فنزلوا على طاعته. ثم أقبل إلى حمص فحاصرهم فبايعه أهلها وساروا معه إلى دمشق فبلغ عددهم ثمانين ألفاً، وبعث إبراهيم بن الوليد جنداً مع سليمان بن هشام بن عبد الملك في مائة وعشرين ألفاً، فالتقى الجيشان عند عين الجر من البقاع، فاقتتلوا وكثر القتل بينهم حتى انهزم جيش الشام، وأسر منهم نحواً من سبعة عشر ألف رجل وقتل منهم مثل ذلك.

وسار مروان حتى وصل دمشق، فهرب إبراهيم بن الوليد، وبايع الناس مروان بن محمد، ثم قال لهم اختاروا أمراء نوليهم عليكم، فاختار أهل كل بلد أميراً فولاه عليهم.

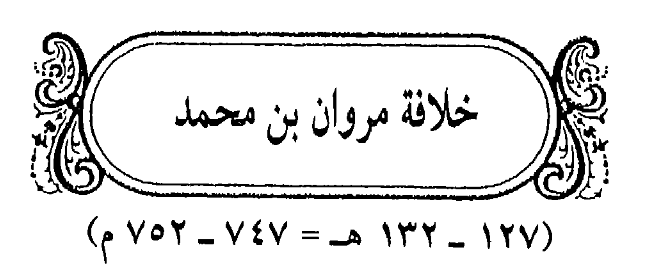
ولما استقرت الشام لمروان رجع إلى حران، وعند ذلك طلب منه إبراهيم بن الوليد وابن عمه سليمان بن هشام الأمان فأمنهما.

وبعد مرور ثلاثة أشهر على إقامة مروان في حران نقض أهل الشام وحمص البيعة، فسار مروان إلى حمص فدخلها. وأما الشام فأرسل إليهم مروان عشرة آلاف مقاتل فدخلوها وأحرقوا المزة.

وأقام الخليفة مروان بدير أيوب عليه السلام مدة حتى بايع لابنه عبد الله ثم عبيد الله وزوجهما ابنتي هشام، ثم استوثق أمر الشام لمروان[1].

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢١ ـ ٢٤، والكامل ٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٧، وتاريخ الطبري ٩/ ٥٣ ـ ٥٧، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١١٢ ـ ١١٣.



خلافة مروان بن محمد

(١٢٧ ـ ١٣٢ هـ = ٧٤٧ ـ ٧٥٢ م)

نسبه وحياته

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة، أبو عبد الملك الأموي آخر خلفاء بني أمية، الملقب بمروان الحمار ومروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم. وقيل له مروان الحمار فإنه كان لا يخف له لَبد في محاربة الخارجين عليه حيث يقال: فلان أصبر من حمار في الحرب، كان يصل السرى بالسير ويصبر على مكاره الحرب.

ولد مروان بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين وأبوه متوليها، وأمه أو ولد، قيل كانت كردية، ولي ولايات جليلة قبل الخلافة، فتح قونية سنة خمس ومائة، وولي الجزيرة وأذربيجان سنة أربع عشرة ومائة، وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام والدهاء.

لم يتهنَّ بالخلافة لكثرة من خرج عليه من كل جانب إلى سنة اثنين وثلاثين ومائة، فخرج عليه بنو العباس، كما سيأتي، فسار لحربهم فالتقى الجمعان قرب الموصل، فانكسر مروان فرجع إلى الشام ثم فر إلى مصر وقتل هناك.

البيعة لمروان

بويع مروان أولاً في أرمينية، فلما بلغه موت يزيد الناقص أنفق الخزائن وسار في بضع وثلاثين فارساً إلى الجزيرة فبايعة أهلها، ثم بايعه أهل حلب ثم حمص، وساروا معه إلى دمشق، كل ذلك والخليفة كان إبراهيم بن الوليد، ومروان يريد البيعة للحكم وعثمان ابني الوليد، وكانا محبوسين عند إبراهيم، فلما علم

مروان بقتلهما استشار أصحابه فأشاروا عليه بأخذ البيعة لنفسه وهكذا كان، كما أشرنا إلى ذلك قبل صفحات قليلة[1].

بقية حوادث سنة سبع وعشرين ومائة

الخوارج

في هذه الفترة ظهر سعيد بن بحدل الخارجي بنواحي الموصل وتبعه خلق كثير، وقبل أن يستفحل أمره مات واستخلف الضحاك بن قيس المحكّمي، فاستولى على تكريت، ثم سار منها إلى الكوفة فعسكر بدير الثعالب[2] في نحو من ثلاثة آلاف، فالتقاه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فكان بينهما وقعة عظيمة انكسر فيها عبد الله وتحيز إلى واسط، وملك الضحاك الكوفة وقوي أمره، ثم سار في رمضان إلى واسط فحاربه عبد الله بن عمر ودام القتال بين الفريقين شهراً أو أكثر وقتل خلق كثير، وبعد ذلك صالحهم عبد الله بن عمر فكفوا عن قتالهم.

ثم سار الضحاك إلى الموصل فخرج لحربه واليها فقُتل، ثم استولى الضحاك على الموصل، واتسع سلطانه، فكتب الخليفة إلى ولده عبد الله والي الجزيرة فأمره أن يعسكر بنصيبين، فسار إليه الضحاك فحاصره نحواً من شهرين[3].

وفي هذه السنة أيضاً خرج بأذربيجان بسطام التغلبي فسار في نيف واربعين فارساً حتى قدم بَلَد[4]، فسار إليه عسكر من الموصل فأصاب منهم، ثم قدم نصيبين فعاث وشغب في حياة الضحاك، فجهز له الضحاك عسكراً فقتله وغالب أصحابه[5].

الأندلس

في هذه السنة خلع أهل الأندلس أبا الخطار الحسام بن ضرار أميرهم، بسبب

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٠/ ٤٥ ـ ٤٦، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٥٣٣ ـ ٥٣٦.

(٢) دير الثعالب: يبعد عن بغداد ميلين أو أقل (معجم البلدان ٢/ ٥٠٢).

(٣) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ١٢١ ـ ١٤٠ ص ١٨ ـ ٢٠، والكامل ٤/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٤) بلد: اسمها بالفارسية شهر أباد، وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل (معجم البلدان ١/ ٤٨١).

(٥) عن تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٢٠.

العصبية التي حصلت بين اليمانية والمضرية، وأمّروا عليهم ثوابة بن سلمة الحداني، وذلك بعد وقعة عظيمة بين أبي الخطار واتباعه من اليمانية وبين المضرية أسر فيها أبو الخطار[1].

شيعة بني العباس

في هذه السنة توجه سليمان بن كثير، ولاهز بن قريظ، وقحطبة من دعاة بني العباس إلى مكة ومعهم أبو مسلم الخراساني، فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام ولم ينتظم لهم أمر في هذه السنة لكثرة الشرور المنتشرة والفتن الواقعة بين الناس[2].

سنة ثمان وعشرين

شيعة بني العباس

في هذه السنة بعث إبراهيم بن محمد الإمام أبا مسلم الخراساني إلى خراسان، وكتب معه كتاباً بالسمع والطاعة له وتوليته أمر خراسان. لكن أهل خراسان أعرضوا عنه، فرجع إلى إبراهيم فاشتكاهم أيام الحج، فأرسله مرة أخرى على أن يدعو حياً من اليمن فقط[3].

الضحاك الخارجي

بعد مصالحة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الضحاك الخارجي، خرج الضحاك يريد الشام، وبلغ الأمر مروان الخليفة وهو محاصر حمص لعدم مبايعتهم إياه، فسار إليه مروان فالتقيا بنصيبين، ومع الضحاك نحواً من مائة وعشرين إلفاً، فاقتتلا قتالاً شديداً فقتل الضحاك وبكى أصحابه عليه.

واستخلف الضحاك رجلاً يقال له الخيبري فالتف عليه بقية جيش الضحاك والتف معه سليمان بن هشام بن عبد الملك وأهل بيته، فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان فانهزم جيش الشام ، ودخل الخيبري خيمة مروان، هذا وميمنة مروان ثابتة وعليها ابنه عبد الله، وميسرته أيضاً ثابتة وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي، فأقبلوا

---

(١) الكامل ٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٢٥، والكامل ٤/ ٢٩١.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٢٧ ـ ٢٨، والكامل ٤/ ٢٩٥.

على الخيبري بعمد الخيام فقتلوه بها، وانهزم أصحاب الخيبري ، وولوا عليهم شيبان، فقصدهم مروان بعد ذلك بمكان يقال له الكراديس فهزمهم[1].

* * *

وفي هذه السنة ولى مروان على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ليقاتل من بها من الخوارج.

سنة تسع وعشرين ومائة

الخوارج

في هذه السنة اجتمعت الخوارج على شيبان بن عبد العزيز بن الحليس اليشكري الخارجي، وتحول إلى الموصل، فتبعهم مروان وحاصرهم سنة يقتتلون في كل يوم بكرة وعشية، ثم أمد يزيد بن عمر بن هبيرة مروان بجند العراق، فقطع الإمدادات عن شيبان، ثم هرب شيبان إلى الأهواز، فتبعهم جند مروان يقتلون من تخلف منهم حتى قتل شيبان في السنة القابلة، ثم عاد مروان من الموصل وأقام بمنزله بحران[2].

إظهار الدعوة العباسية

في هذه السنة أرسل إبراهيم الإمام بطلب أبي مسلم الخراساني من خراسان، فسار إليه مظهراً الحج، وفي الطريق أرسل إبراهيم كتاباً يطلب فيه من أبي مسلم العودة إلى خراسان وإظهار الدعوة العباسية بإمرته. فرجع أبو مسلم فدخل خراسان أول يوم من رمضان، وبعث أبو مسلم دعاته في بلاد خراسان، وأمير خراسان نصر بن سيار مشغول بقتال الكرماني وشيبان الحروري، فظهر أمر أبي مسلم وقصده الناس من كل جانب، وفتحت على يديه أقاليم كثيرة.

ولما كان ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان في هذه السنة، عقد أبو مسلم اللواء الذي بعثه إليه الإمام ويدعى الظل، وعقد الراية التي بعث بها الإمام أيضاً وتدعى السحاب، وهما سوداوان. ولبس أبو مسلم وسليمان بن كثير ومن

---

(١) الكامل ٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) الكامل ٤/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٩ ـ ٣٠.

أجابهم إلى هذه الدعوة السواد، وصارت شعارهم. وأوقدوا في هذه الليلة ناراً عظيمة يدعون بها أهل تلك النواحي، وكانت علامة بينهم فيجتمعون.

ولما كان يوم عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس، وأن يخالف بني أمية ويعمل بالسنة، فنودي لصلاة جامعة، ولم يؤذن ولم يقم خلافاً لهم، وبدأ بالصلاة قبل الخطبة، وكبر ستاً في الأولى وخمساً في الثانية.

لما علم نصر بن سيار من أمر أبي مسلم ما تقدم، بعث خيلاً عظيمة لقتاله، فأرسل أبو مسلم إليهم مالك بن الهيثم الخزاعي، فالتقوا، فدعاهم مالك إلى الرضا عن آل رسول الله ﷺ، فأبوا ذلك فتحاربوا فظفر بهم مالك، وهذا كان أول موقف اقتتل فيه جند بني العباس وجند بني أمية[١].

مقتل الكرماني

حارب نصر بن سيار: الكرماني، فمال إلى الكرماني أبو مسلم الخراساني، فدعاه نصر إلى الموادعة، فقبل الكرماني من نصر، لكن نصر أبصر غرة من الكرماني فقتله، وانضم من كان مع الكرماني إلى أبي مسلم[٢].

الأندلس

في هذه السنة توفي ثوابة بن سلمة أمير الأندلس، فاختلف الناس بعده بين مضرية ويمانية، فأشار عليهم الصميل أن يكون الوالي من قريش فرضوا بذلك، فاختار لهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري. فلما علم أبو الخطار بذلك سعى بالفتنة، فانقسم الناس ثانية مضرية ويمانية، فاقتتلوا أياماً كثيرة، ثم انهزمت اليمانية وقتل أبو الخطار[٣]

سنة ثلاثين ومائة

أمر أبي مسلم

في جمادى الأولى من هذه السنة دخل أبو مسلم الخراساني مرو، ونزل دار

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٣٠ ـ ٣١، وانظر الكامل ٤/٢٩٩ ـ ٣٠١، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١١٧ ـ ١١٨، والإمامة والسياسة ٢/ ١١٣ ـ ١١٦.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٣٢ ـ ٣٣، والكامل ٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١١٩.

(٣) عن الكامل ٤/٣٠٨.

الإمارة بها، وانتزعها من يد نصر بن سيار، وهرب نصر في ثلاثة آلاف من الناس، واستفحل أمر أبا مسلم، والتفت عليه العساكر[1].

وقعة قُديد[2]

في هذه السنة كانت وقعة بقديد بين أبي حمزة الخارجي وبين أهل المدينة، قتل فيها كثير من أهل المدينة، ثم دخل الخارجي المدينة واستولى عليها، وخطب من على منبر رسول الله ﷺ، وأحسن السيرة في أهل المدينة فأحبوه، إلى أن سمعوه يقول: من زنا فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، فعند ذلك أبغضوه.

ثم سير مروان بن محمد أربعة آلاف من خيرة جنده عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية لقتال أبي حمزة، فالتقيا بوادي القرى فانهزم أبا حمزة ورجع إلى المدينة، فنهض إليهم أهل المدينة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ودخل عبد الملك المدينة ثم دخل مكة، ثم سار إلى اليمن فخرج إليه نائب صنعاء فاقتتلا فقتله عبد الملك[3].

سنة إحدى وثلاثين ومائة

وفاة نصر بن سيار

في هذه السنة توفي نصر بن سيار عن خمس وثمانين سنة، فلما مات تمكن أبو مسلم وأصحابه من بلاد خراسان، وقويت شوكتهم، وخلصت له همدان ونهاوند والري[4].

سنة ثنتين وثلاثين ومائة

خلافة أبي العباس السفاح

في هذه السنة قتل إبراهيم بن محمد بحرّان بعد أن حبسه الخليفة مروان بن

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٣٤.

(٢) قُديد: اسم موقع قرب مكة (معجم البلدان ٤/ ٣١٣).

(٣) انظر تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٢٧ ـ ٢٩، والكامل ٤/ ٣١٤ ـ ٣١٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٥ ـ ٣٧.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢، والكامل ٤/ ٣١٧ ـ ٣٢٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٧ ـ ٣٨.

محمد أربع سنوات، فلما بلغ أهل الكوفة مقتله أراد أبو سلمة الخلال[1] أن يحول الخلافة إلى آل علي بن أبي طالب، لكن النقباء والأمراء أحضروا أبا العباس السفاح وبايعوه بالخلافة وذلك بالكوفة، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة، وذلك ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة، ثم بايعه الناس وهو على المنبر، ثم تكلم السفاح فقال: «الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ديناً، وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا، وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه والقوام به والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحق بها وأهلها، خصنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته، ووضعنا بالإسلام وأهله في الموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم، فقال تعالى: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**[2] وقال: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**[3] وقال: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**[4] وقال: **﴿وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين﴾**[5] الآية، فأعلمهم عز وجل فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا، وتفضلة علينا، والله ذو الفضل العظيم. وزعمت السبابية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم.

أيها الناس، بنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، ونصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة، وأتم النقيصة وجمع الفرقة؟ حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دنياهم، وإخواناً على سرر متقابلين في أخراهم، فتح الله علينا ذلك منة ومنحة بمحمد ﷺ، فلما قبضه إليه قام بذلك الأمر

---

(١) هو حفص بن سليمان الهمداني الخلال، أنفق أموالاً كثيرة في سبيل الدعوة العباسية، استوزره السفاح، وهو يعتبر أول وزير في الإسلام.

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٣) سورة الشورى آية ٢٣

(٤) سورة الشعراء آية ٢١٤

(٥) سورة الحشر آية ٧.

بعد أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها، ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصاً منها، ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها لأنفسهم وتداولوها، فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾[1] فانتزع منهم ما بأيديهم بأيدينا، ورد الله علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وتولى أمرنا والقيام بنصرنا ليمنَّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو أن لايأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله.

يا أهل الكوفة، أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، وأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح الهائج والثائر المبير»[2].

ثم قام عمه داود بن علي فخطب وأبلغ، ثم نزل العباس وداود حتى دخلا القصر، ثم دخل الناس يبايعون إلى العصر، ثم من بعد العصر إلى الليل.

وبعد ذلك خرج العباس وعسكر بظاهر الكوفة واستخلف عليها عمه داود، وبعث عمه عبد الله بن علي إلى أبي عون بن أبي يزيد، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة؛ وهو يومئذ بواسط يحاصر ابن هبيرة، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف، وأقام هو بالعسكر أشهراً[3].

مقتل مروان بن محمد

لما بلغ مروان خبر أبي مسلم الخراساني، سار من حران فنزل على نهر

---

(١) سورة الزخرف آية ٥٥.

(٢) رواية البداية والنهاية ١٠/ ٤٠ ـ ٤١.

(٣) أنظر الكامل ٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٤٠ ـ ٤٢، وتاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٨، والإمامة والسياسة ٢/ ١١٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١٢٨ ـ ١٣٠.

قريب من الموصل يقال له الزاب، وجمع جنوده، فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد أحد أمراء السفاح في جيش كثيف، والتقى الجيشان، وجاءت الإمدادات إلى أبي عون، وكان جيش مروان في مائة وخمسين ألفاً، وجيش السفاح في عشرين ألفاً، وكانت الحرب كر وفر، حتى تخاذل جيش مروان، فانهزم وقطع وراءه الجسر، وهرب مروان إلى حرّان.

ثم أمر السفاح عبد الله بن علي أمير الجيش عم السفاح أن يلحق بمروان، فدخل حمص ثم بعلبك، ثم دخل دمشق بعد حصار وقتال وأباحها ثلاث ساعات[1]، وتتبع عبد الله بن علي بني أمية فقتل منهم الكثير.

ثم أمر السفاح صالح بن علي أن يلحق بمروان إلى مصر، فلحقه، فكان لا يلتقي بخيل لمروان إلا هزمهم، حتى دلهم بعض الأسرى على مكان مروان، فإذا به في كنيسة أبو صير، فأتوه وحاصروه حتى قتلوه. وكان مقتل مروان يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة. وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام على المشهور. وبمقتله انتهت الدولة الأموية[2].

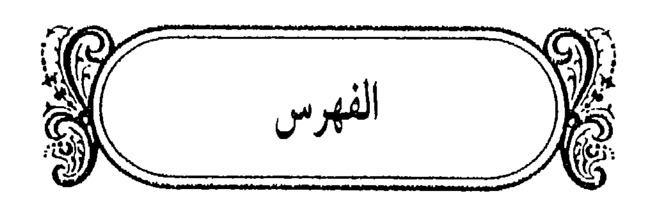
أهم الوفيات في عهده

مات في أيام مروان بن محمد من الأعلام: السدي الكبير، ومالك بن دينار الزاهد، وعاصم بن أبي النجود المقرىء المشهور، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع مقرىء المدينة المنورة، وأبو أيوب السختياني المحدث، وهمام بن منبه، وواصل بن عطاء المعتزلي.

---

(١) في تلك الاثناء حصل في دمشق من الخلافات ما دعى أهلها لجعل منبرين وإمامين في مسجد واحد، حتى إنهم جعلوا في كل مسجد محرابين، وخلافهم هذا كان أحد أسباب هزيمتهم السريعة أمام جيش عبد الله بن علي (انظر البداية والنهاية ١٠/ ٤٥).

(٢) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٤٢ ـ ٤٦، والإمامة والسياسة ٢/ ١١٨ ـ ١٢٠، والكامل ٤/ ٣٢٧ ـ ٣٣٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١٣٠ ـ ١٣٣، وتاريخ الطبري ٩/ ١٣٠ ـ ١٣٥، وتاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠.



الفهرس

موسوعة

خلفاء المسلمين

الجزء الثاني



موسوعة

خلفاء المسلمين

اعداد الشيخ زهير الكبي

الجزء الثاني



دار الفكر العربي
بيروت

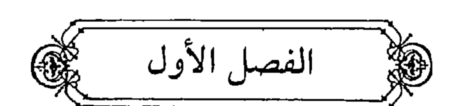


للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩٥

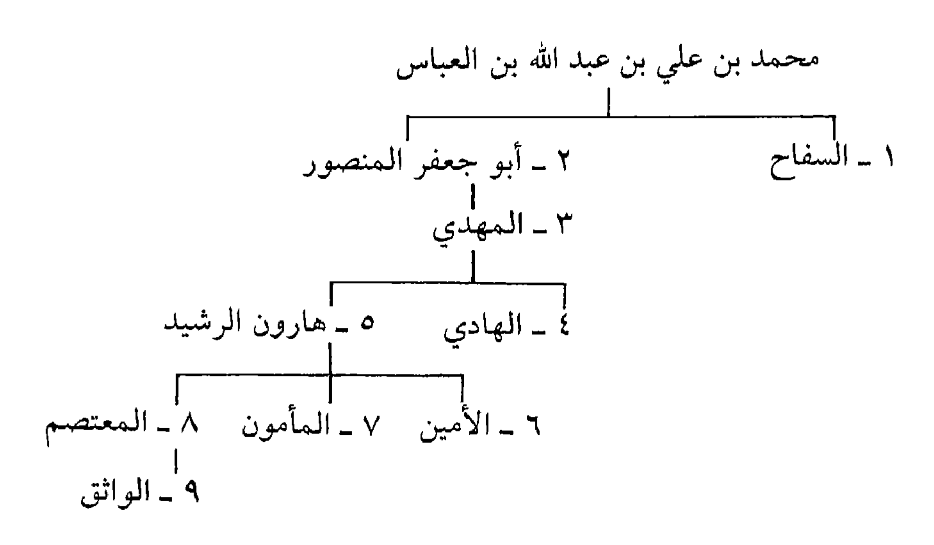
الجزء الثاني



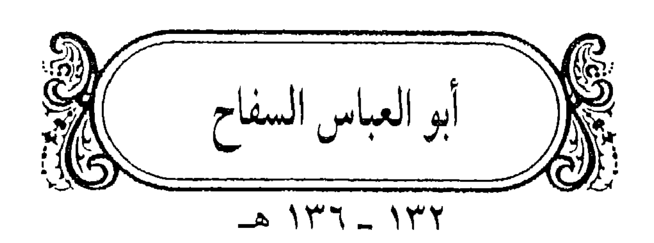
الخلافة العباسية

العصر العباسي الأول

خلفاء العصر العباسي الأول







أبو العباس السفاح

١٣٢ ـ ١٣٦ هـ

نسبه وحياته: هو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس السفاح الهاشمي العباسي، أول خلفاء بني العباس. ولد بالحُمِّيمة من ناحية البلقاء ونشأ بها، وأمه رابطة الحارثية، سمي بالسفاح لأنه سفح دماء بني أمية.

تولّيه الخلافة: بويع بالخلافة بالكوفة في ثالث ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين ومائة، وصلّى بالناس الجمعة، وقال في الخطبة: «الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيّده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه، والقُوام به، والذابين عنه...».

قتل مروان بن محمد: شق على مروان بيعة السفاح، فجهز جيشاً وهو بالجزيرة، فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد في جيش كثيف، وهو أحد أمراء السفاح، فنازله على نهر الزاب، وجاءت الإمدادات من جهة السفاح وعليهم عبدالله بن علي، واشتد القتال، وتخاذل عن مروان بعض جيشه، فانهزم أصحاب مروان، وهرب مروان حتى دخل مصر، فلحق به صالح بن علي فقتله ببوصير من بلاد الصعيد يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة[١].

أمر دمشق: أثناء لحاق عبدالله بن علي بمروان، دخل دمشق بعد حصار دام أياماً، ثم افتتحها يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان، وهدم سورها. وقتل كثيراً ممن بقي من بني أمية[٢].

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٤٢ ـ ٤٦، والكامل ٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٤٤ ـ ٤٥ وتاريخ الإسلام حوادث سنة ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

قتل الخلال: ذهب أبو جعفر المنصور عن أمر أخيه السفاح إلى أبي مسلم الخراساني وهو أمير على خراسان، ليستطلع رأيه في قتل أبي سلمة الخلال، فلما وصل المنصور إلى خراسان خرج أبو مسلم في جمع من أصحابه لملاقاته، فلما تشاور مع أبي مسلم، أرسل أبو مسلم مرار بن أنس إلى الكوفة فقتل أبا سلمة الخلال.

أمر الصين: في سنة أربع وثلاثين ومائة خرج صاحب الصين في مائة ألف يلحقه بعض الترك، فخرج له زياد بن صالح وأمده أبو مسلم بخالد بن إبراهيم من طخارستان، فسار زياد بجيوشه حتى عبر نهر الشاش، فالتقى بصاحب الصين، وصبر الفريقان يومهم إلى الليل، فلما غربت الشمس ألقى الله في قلوب الصين الرعب، فانتصر المسلمون[1].

زياد بن صالح: في سنة خمس وثلاثين مائة خلع زياد بن صالح الطاعة بما وراء النهر، فتهيأ لحربه أبو مسلم الخراساني، لكن أتباع زياد تركوه ولحقوا بأبي مسلم، فهرب زياد إلى دهقان[2] هناك، فضرب الدهقان عنقه وتقرب برأسه إلى أبي مسلم[3].

قدوم الخراساني إلى السفاح: استأذن أبو مسلم بالقدوم إلى السفاح، فأذن له على أن لا يكون معه أكثر من ألف من الجند، فتقدم بالأموال والخزائن، فدخل أبو مسلم على السفاح فأكرمه وأعظمه. وأمر هذه السنة أخاه المنصور على الحج، وحج معه أبو مسلم الخراساني[4].

وفاة أبو العباس السفاح: أحسَّ السفاح بالوهن في أول يوم العيد من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وطفح في وجهه الجدري، وانتفخ بطنه، وتوفي في اليوم الثالث من أيام التشريق بالأنبار. وكان عمره ثلاث وثلاثين سنة، وكانت

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٤٧.

(٢) الدهقان: رئيس قرية.

(٣) الكامل ٤/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥، والطبري ٩/ ١٥١ ـ ١٥٢.

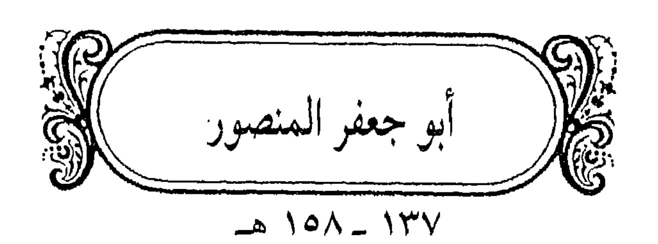
(٤) الطبري ٤/ ١٥٢ ـ ١٥٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٥٧ ـ ٥٨.

خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، ودفن في قصر الإمارة في الأنبار[1].

أهم الوفيات في عهده

توفي في سنة اثنين وثلاثين الوزير عبد الحميد بن يحيى الكاتب البليغ الذي يضرب به المثل فيقال: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وتوفي سنة ست وثلاثين ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ الفقيه عالم المدينة يقال له ربيعة الرأي. وفيها أيضاً توفي زيد بن أسلم العدوي الفقيه العابد.

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٦٠ ـ ٦١، والكامل ٤/ ٣٤٦، وتاريخ الإسلام - وادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٥٢.



أبو جعفر المنصور

١٣٧ ـ ١٥٨ هـ

نسبه وحياته: هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس القرشي الهاشمي العباسي أبو جعفر المنصور، وأمه أم ولد اسمها سلامة البربرية، ولد سنة خمس وتسعين.

كان فَحل بني العباس هيبة وشجاعة، كامل العقل، جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس، قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه.

قال المنصور: الخليفة لا يصلحه إلاّ التقوى، والسلطان لا يصلحه إلاّ الطاعة، والرعية لا يصلحها إلاّ العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

وفي خلافته شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وظهر في زمن خلافته كبار الأئمة في كثير من العلوم خاصة الشرعية منها.

قال محمد بن علي الخراساني: المنصور أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية.

وأولاد المنصور: محمد المهدي وهو ولي عهده، وجعفر الأكبر وأمهما أروي بنت منصور، وله عيسى ويعقوب وسليمان وأمهم فاطمة بنت محمد، وله

جعفر الأصغر من أم ولد كردية، وصالح المسكين من أم ولد رومية، والقاسم من أم ولد أيضاً.

توليه الخلافة: لما مات السفاح كان المنصور في الحجاز يؤدي مناسك الحج، فبلغه موته وهو بذات عرق راجعاً من الحج، وكان معه أبو مسلم الخراساني، وتولى الخلافة في أول سنة سبع وثلاثين ومائة. قيل إنه لما حضرت أبا العباس الوفاة أمر الناس بالبيعة للمنصور، فبايع الناس له بالأنبار في اليوم الذي مات فيه أبو العباس، والذي بايع عنه عيسى بن موسى[(١)].

خروج عبدالله بن علي: كتب المصنف إلى عمه عبد الله بن علي يعلمه بوفاة السفاح وأن يأخذ له البيعة، لكن عبد الله قام ودعا لنفسه، ثم أخذ حران، فأرسل إليه المنصور أبا مسلم الخراساني من الأنبار، فتحاربا نحواً من خمسة أشهر، أنهزم بعدها جيش عبد الله[(٢)].

قتل أبي مسلم الخراساني: حينما انهزم عبدالله بن علي، أرسل المنصور أبا الخصيب يقطين ليحتاط على ما أصاب الخراساني من غنائم، فغضب أبو مسلم فشتم أبا جعفر وهم بقتل يقطين، لكنه تركه لأنه رسول، وعاد أبو مسلم إلى خراسان وولي على الشام ومصر. ولما كان أبو مسلم في الطريق طلب المنصور لقاءه فأبى، فأرسل المنصور إلى إبراهيم بن خالد نائب خراسان في غيبة أبي مسلم قائلاً: إنّ ولاية خراسان لك ما بقيت، فقد وليتكها وعزلت عنها أبا مسلم. وبعد خديعة من أبي منصور ذهب أبو مسلم إلى المنصور. فلما دخل أبو مسلم على المنصور من العشي أظهر له الكرامة والتعظيم. ومكر به المنصور وحاك له مؤامرة، فخرج الموكلون بقتله فقتلوه، ثم أمر بإلقائه في دجلة، وكان مقتله يو الأربعاء لأربع بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة[(٣)].

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الخلفاء ص ٢٥٩ ـ ٢٧١، وتاريخ الطبري ٩/ ٢٩٣ ـ ٣١٩، والبداية والنهاية ١٠/ ١٢١ ـ ١٢٩، وشذرات الذهب ١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ وتاريخ الإسلام حوادث ١٤١ ـ ١٦٠ ص ٤٦٥ ـ ٤٧١.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص٣٥٣ ـ ٣٥٥، والبداية والنهاية ١٠/ ٦١ ـ ٦٣، والكامل ٤/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٣) تاريخ الطبري ٩/ ١٥٩ ـ ١٦٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٦٣ ـ ٦٧، والكامل ٤/ ٣٥٠ ـ ٣٥٥.

أمر الأندلس: في سنة تسع وعشرين ومائة تولى أمر الأندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري، بعد الخلاف بين اليمنية والمضرية، فاستقر الأمر ليوسف سنة على أن يرد الأمر إلى اليمنية بعد السنة، وبقي يوسف على الأندلس إلى أن غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي فر من الشام لما ظهرت الدولة العباسية وقتل من بني أمية من قتل، فاجتمع معه أهل اليمن، واستقر عبد الرحمن بقرطبة وبني القصر والمسجد الجامع وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه، وكان يدعو للمنصور[1].

قتل يوسف الفهري: أمَّن عبد الرحمن بن معاوية يوسف الفهري على نفسه فسكن قرطبة، لكنه كان يهينه وينازعه في أملاكه، فقصد يوسف ماردة واجتمع عليه عشرون ألفاً فسار نحو عبد الرحمن، فاقتتلا وانهزم أصحاب يوسف، وبقي يوسف هارباً حتى قتله بعض أصحابه في رجب سنة إثنين وأربعين ومائة بنواحي طليطلة[2].

خروج الراوندية[3]: في سنة إحدى وأربعين ومائة أتى الراوندية قصر المنصور بالهاشمية فجعلوا يطوفون به ويقولون: هذا قصر ربنا، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين، لكنهم اقتحموا السجن واستخرجوا أصحابهم، فقام الناس إليهم ونزل المنصور معهم ومعه معن بن زائد فقاتلوهم، وحصدوهم عن آخرهم ولم يبق منهم بقية[4].

أمر طبرستان: وفيها نقض إصبهبذ طبرستان العهد وقتل من ببلاده من المسلمين، فانتدب له المنصور خازم بن خزيمة وروح بن حاتم وأبو الخصيب مرزوق مولى المنصور، فحاصروه في قلعته وطال الحصار حتى احتال مرزوق

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ١٧١، والكامل مفصلاً ٤/ ٣٦٠ ـ ٣٦٣.

(٢) الكامل ٤/ ٣٦٤.

(٣) هم قوم من أهل خراسان على رأي أبي مسلم الخراساني يقولون بتناتسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور قبحهم الله.

(٤) البداية والنهاية ١٠/ ٧٥ ـ ٢٧٦، والكامل ٤/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

حيلة فدخل الحصن بأمان الإصبهبذ، ففتح للمسلمين الحصن فدخلوه، فمص الإصبهبذ سُماً في خاتمة فهلك[1].

أهل البيت: حج بالناس المنصور وأهمه شأن محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأخيه إبراهيم لتخلفهما عن الحضور عنده، فوضع عليهم العيون، وبالغ في طلبهما، ثم حبس أهلهما في العراق حتى مات والدهما في السجن، فثار محمد بالمدينة وسجن متوليها واستعمل على مكة واليمن والشام عمالاً، وأحبه الناس. فانتدب المنصور لقتاله ابن عمه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، فتحصن محمد بالمدينة وأعمق خنادقها، فلما التقيا تخاذل عن محمد كثير من أصحابه وبقي معه ثمانون رجلاً فاستشهد لإثني عشرة ليلة من رمضان سنة خمس وأربعين.

ثم خرج أخوه إبراهيم في البصرة هذه السنة، فجهز المنصور لحربه خمسة آلاف، فكان بينهما وقعات قتل فيها خلق عظيم، حتى وصل عيسى بن موسى فانكسر جيش إبراهيم وجاءه سهم فوقع في حلقه فمات[2].

بناء بغداد: في سنة خمس وأربعين ومائة ابتدأ المنصور في بناء بغداد، ووضع أول لبنة بيده، فقال: بسم الله، وبالله، والحمد لله، ابنوا على بركة الله. وكان المنصور قد أحضر الصُّناع والفعلة من البلاد، وأحضر المهندسين والحكماء والعلماء، وكان ممن أحضر: حجاج بن أرطاة، وأبو حنيفة، ورسمت له بالرماد بسورها وأبوابها وأسواقها، ثم أمر أن يعمل على ذلك الرسم[3].

في صفر من سنة ست وأربعين ومائة تحول المنصور فنزل بغداد قبل استِتْمام بنائها، وكان لا يدخلها أحد أبداً راكباً.

البيعة للمهدي: في سنة سبع وأربعين ومائة خلع المنصور عمه عيسى بن

---

(١) عن تاريخ الإسلام حوادث ١٤١ ـ ١٦٠ ص ٩ ـ ١٠ وانظر تاريخ الطبري ٩/ ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) شذرات الذهب ١/ ٢١٣ ـ ٢١٥، والبداية والنهاية ١٠/ ٨٠ ـ ٩٢، وتاريخ الإسلام حوادث ١٤١ ـ ١٦٠ ص ١٦ ـ ٣٢.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ١٤١ ـ ١٦٠ ص ٣٣، والكامل ٥/ ١٤ ـ ١٥.

علي من ولاية العهد، وقدَّم عليه ولده المهدي محمد بن المنصور، وجعل ولاية العهد من بعد المهدي لعمه عيسى بن علي، فأرضاه بذلك[١].

ولاية الأغلب أفريقية: لما بلغ المنصور خروج محمد بن الأشعث من أفريقية بعث إلى الأغلب بن سالم بن عقال التميمي عهداً بولاية أفريقية، فلما أتاه العهد قدم القيروان في جمادي الآخرة سنة ثمان وأربعين ومائة وأراد المسير إلى طنجة لكن خذله جنده وتركوه في الطريق، فدعا الجند لنفسه الحسن بن حرب الكندي فأجابوه فسار حتى دخل القيروان من غير مانع، فبلغ الأغلب الأمر فعاد مسرعاً فدخل قابس حتى كثر جنده، ثم سار إلى الحسن فقاتله قتالاً شديداً فانهزم الحسن وقتل من أصحابه جمع كثير وهرب الحسن إلى تونس ودخل الأغلب القيروان وذلك سنة خمسين ومائة، ثم تجدد القتال بينهما فأصيب الأغلب بسهم فقتل، فاستلم القيادة المخارق بن غفار فهزم الحسن إلى تونس في شعبان سنة خمسين ومائة حتى قتل بعد ذلك، وتولى أمر أفريقية المخارق بن غفار[٢].

الفتن بالأندلس: وفي هذه السنة خرج سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بالأندلس بمدينة لبة للأخذ بثأر من قتل فيها من اليمانية، فكثر جمعه، فبادره عبد الرحمن بن معاوية فحاصره في قلعة زعواق في ربيع الأول وضيق عليه، فلما طال الحصار خرج اليحصبي فقتل.

خراسان: وفي سنة خمسين ومائة خرج رجل من الكفرة يقال له أستاذ سيس في بلاد خراسان، فاستحوذ على أكثرها، واجتمع له ثلاثمائة ألف مقاتل، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً، فوجه إليهم المهدي عن أمر أبيه المنصور خازم بن خزيمة في نحو من أربعين ألفاً، فقتل منهم نحواً من سبعين ألفاً، وأسر منهم أربعة عشر ألفاً، وقيد أستاذ سيس أولاده وأطلق أصحابه، وكانت هزيمة أستاذ سيس في سنة إحدى وخمسين ومائة[٣].

وفي سنة إحدى وخمسين ومائة شرع المنصور في بناء الرصافة لابنه

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ١٤١ ـ ١٦٠ ص ٤٨ ـ ٤٩، والكامل ٥/ ٢٢ ـ ٢٤.
(٢) الكامل ٥/ ٢٦.
(٣) شذرات الذهب ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦، والبداية والنهاية ١٠/ ١٠٦ ـ ١٠٧.

المهـدي، وفيهـا جـدد المنصـور البيعـة لنفسـه، ثـم لـولـده المهـدي مـن بعـده، ولعيسى بن موسى عمه من بعدهما[1].

وفيها ثار بالأندلس شقنا بن عبد الواحد من بربر مكناسة وعظم أمره وأفسد في الأرض، فغزاه عبد الرحمن الأموي أكثر من مرة فلم يقدر عليه[2].

الخوارج من الصفرية: خرجت الصفرية ببلاد أفريقيا، فاجتمع منهم ثلاثمائة وخمسون ألفاً عليهم أبو حاتم الأنماطي، وانضم إليهم أبو قرة الصفري في أربعين ألفاً، فقاتلوا نائب افريقية فقتلوه، وأكثرت الخوارج الفساد في البلاد، فولى المنصور على إفريقية سنة أربع وخمسين يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة[3].

وفاة المنصور: في سنة ثمان وخمسين ومائة خرج المنصور إلى الحج، فلما جاوز الكوفة بمراحل أخذه وجعه الذي مات به، وكان عنده سوء مزاج فاشتد عليه من شدة الحر، وأخذه إسهال وأفرط به، ودخل مكة فتوفي بها ليلة السبت لست مضين من ذي الحجة، وصلي عليه ودفن بكدا عند ثنية باب المعلاة التي بأعلى مكة، وكان عمره يومئذٍ ثلاثاً وقيل أربعاً وستين سنة.

أهم الوفيات في عهده

في سنة إحدى وأربعين ومائة توفي خالد الحذاء وعاصم الأحول وهما من كبار المحدثين. وفي سنة خمس وأربعين ومائة قتل ابن المقفع الكاتب المشهور، وفي سنة تسع وأربعين ومائة مات عيسى بن عمر أبو عمرو الثقفي البصري النحوي شيخ سيبويه. وفي سنة خمسين ومائة مات الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي، فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام، وهو أقدم الأئمة الأربعة وفاة، ويعد من التابعين. وفي سنة إحدى وخمسين توفي

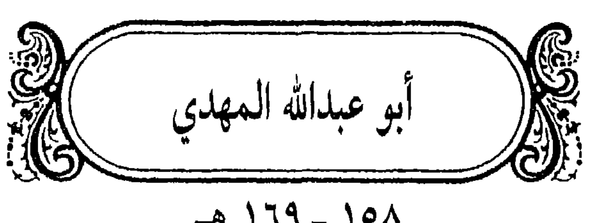
---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ١٠٩.

(٢) الكامل ٥/ ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ١١٠ ـ ١١١، وتاريخ الإسلام حوادث ١٤١ ـ ١٦٠ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة النبوية. وسنة أربع وخمسين ومائة مات أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة القراء. وفي سنة خمس وخمسين ومائة مات حماد الراوية ابن أبي ليلى، كان أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتها. وفي سنة سبع وخمسين ومائة مات الإمام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي المحدث والفقيه الكبير، وهو صاحب مذهب في الفقه، وفي سنة وفاته خلاف.



أبو عبدالله المهدي

١٥٨ ـ ١٦٩ هـ

نسبه وحياته: هو محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس العباسي الخليفة العباسي الثالث.

ولد بأيذج[1] سنة سبع وعشرين ومائة، وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية.

كان جواداً ممدَّحاً، محبباً إلى الرعية، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين، روى الحديث عن أبيه وغيره.

لما شب المهدي أمَّره أبوه على طبرستان وما والاها، ولما مات أبوه، وحصلت بين يديه الخزائن أخذ في رد المظالم.

وخطب يوماً فقال: «أيها الناس أسروا مثلما تعلنون من طاعتنا تهنكم العافية، وتحمدوا العاقبة... والله لأعفين عمري من عقوبتكم، ولأحملن نفسي على الإحسان إليكم».

تولّيه الخلافة: لما مات المنصور بمكة، وكان قد أوصى لابنه المهدي، أخذت البيعة للمهدي من رؤوس بني هاشم والقواد الذين مع المنصور في الحج قبل دفن أبيه، ووصل الخبر إلى المهدي وهو ببغداد، فخطب الناس فقال: إنّ أمير المؤمنين عبد دُعي فأجاب، وأُمر فأطاع، فعند الله أحتسب أمير المؤمنين، وبه أستعين على خلافة المسلمين[2].

---

(١) أيذج: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان، وهي من أجل مدن هذه الكورة (معجم البلدان ١/ ٢٨٨).

(٢) انظر ترجمة المهدي في: تاريخ الخلفاء ص ٢٧١ ـ ٢٧٩، والبداية والنهاية ١٠/ ١٥١ ـ ١٥٦،=

خلع عيسى بن موسى: في سنة ستين ومائة تكلم أصحاب المهدي في خلع عيسى بن موسى والبيعة لموسى الهادي بن المهدي، فخلع عيسى بن موسى نفسه بعد تهديد، وبايع لموسى الهادي، ثم بايع الناس على ذلك[١].

هلاك المقنع: في سنة تسع وخمسين ظهر رجل بخراسان دُعي بالمقنع، لقناع من ذهب كان يلبسه على وجهه، ادّعي الألوهية وتابعه خلق من ضلال الناس وكانوا يسجدون له. وفي هذه السنة سار إليه معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر، فحوصر، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم وأحرق نفسه بالنار[٢].

غزو الروم: كان الخلفاء يداومون على غزو الروم في الصيف. وفي سنة ثلاث وستين ومائة جمع المهدي الجيوش وسار إلى تخوم الروم مشيعاً الجيش وعليهم ولده هارون الرشيد، ففتح الله على الرشيد فتوحات كثيرة وغنموا أموالاً جزيلة جداً، وكان مع الرشيد خالد بن برمك وزيراً له[٣]. وفي سنة خمس وستين ومائة جهز المهدي ولده الرشيد لغزو الصائفة، وأنفذ معه من الجيوش خمسة وتسعين ألفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلاً، فبلغ بجنوده خليج البحر الذي على القسطنطينية، فطلبت ملكة الروم أغسطة الصلح مع الرشيد على أن تدفع له سبعين ألف دينار في كل سنة، فقبل ذلك منها.

وفاة المهدي: خرج المهدي إلى جرجان يريد ابنه الهادي، حيث أراد عزله وتقديم الرشيد عليه، فلما وصل ماسبذان مات بها قيل مسموماً وقيل غير ذلك. وكان موته في المحرم لثمان بقين منه، وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهراً، وذلك عن ثلاث وأربعين سنة[٤].

= وشذرات الذهب ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٩، والكامل ٥/ ٧١ ـ ٧٣، وتاريخ الطبري ١٠/ ١٢ ـ ٢١، وتاريخ الإسلام حوادث ١٦١ ـ ١٧٠ ص ٤٣٣ ـ ٤٤٥.

(١) الكامل ٥/ ٥٤ ـ ٥٥، وتاريخ الإسلام حوادث ١٤١ ـ ١٦٠ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

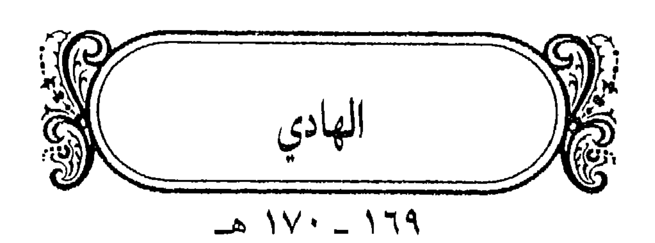
(٢) الكامل ٥/ ٥٢ ـ ٥٣ و٥/ ٥٨ ـ ٥٩، وانظر البداية والنهاية ١٠/ ١٤٥ ـ ١٤٦ وفيه أن المقنع مات سنة ثلاث وستين ومائة، وهو الصحيح.

(٣) الكامل ٥/ ٦٣، والبداية والنهاية ١٠/ ١٤٦.

(٤) البداية والنهاية ١٠/ ١٥٨.

أهم الوفيات في عهده

توفي سنة ستين ومائة شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي أبو بسطام الواسطي، روى عن كثير من التابعين، ويعتبر من أول من تكلم في الرجال. وفي سنة إثنين وستين ومائة توفي إبراهيم بن أدهم أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد. وفي سنة ثلاث وستين ومائة مات عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس عم السفاح.



الهادي

١٦٩ ـ ١٧٠ هـ

نسبه وحياته: هو موسى بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أبو محمد الهادي، الخليفة العباسي الرابع.

ولد بالري سنة سبع وأربعين ومائة وأمه الخيزران كانت من جواري أبيه فأعتقها وتزوجها فولدت له خليفتين الهادي والرشيد. وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهقة، والأعمدة والقسي.

كانت أمه حاكمة مستبدة بالأمور الكبار، وكانت المواكب تغدو إلى بابها، فزجرهم عن ذلك، وقال لها لئن وقف ببابك أمير لأضربن عنقه.

كان له من الأولاد تسعة، سبعة ذكور وابنتان، فأما الذكور أحدهم جعفر وهو الذي كان يرشحه للخلافة، والعباس وعبدالله وإسحاق وإسماعيل وسليمان وموسى الأعمى كلهم من أمهات أولاد، والابنتان أم عيسى تزوجها المأمون، وأم العباس.

تولّيه الخلافة: توفي المهدي بماسبذان وكان معه ابنه هارون الرشيد ومولاه الربيع، وكان الهادي بجرجان يحارب أهل طبرستان وكان ولي العهد من بعد أبيه وكان أبوه قد عزم قبل موته على تقديم الرشيد عليه في ولاية العهد، فأسرع الهادي بالسير إلى بغداد حين بلغه الخبر، فدخل بغداد وقام في الناس خطيباً وأخذ البيعة منهم فبايعوه، وتغيب الربيع فطلبه الهادي حتى حضر بين يديه، فعفا عنه وأحسن إليه.

محاولة الهادي خلع الرشيد: في سنة سبعين ومائة عزم الهادي على خلع الرشيد من الخلافة وولاية العهد لابنه جعفر بن الهادي فانقاد هارون لذلك ولم

يظهر منازعة بل أجاب، وكان جعفر دون البلوغ، لكن الهادي عاد عن عزمه، وترك الخلافة بعده لأخيه هارون الرشيد[1].

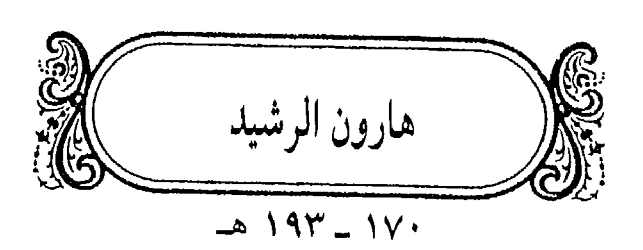
وفاة الهادي: مات الهادي بعيسابان ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول، وقيل في آخر سنة سبعين ومائة، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، وكانت خلافته سنة وربع ودفن في قصر بناه وسماه الأبيض.

قيل في سبب وفاته أنه أصابته قرحة في جوفه. وقيل سمته أمه الخيزران لما أراد قتل أخيه الرشيد.

أهم الوفيات في عهده

توفي سنة سبعين الخليل بن أحمد الفراهيدي ويقال الفرهودي الأزدي، شيخ النحاة وعنه أخذ سيبويه، وهو الذي اخترع علم العروض. وفيها توفي الربيع بن سليمان المرادي المصري المؤدب راوية الشافعي وآخر من روي عنه.

(١) البداية والنهاية ١٠/١٥٨.



هارون الرشيد

١٧٠ ـ ١٩٣ هـ

نسبه وحياته: هو هارون أبو جعفر بن محمد المهدي ابن المنصور عبدالله بن محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس العباسي البغدادي.

ولد بالري في سنة ثمان وأربعين ومائة، وأمه أم ولد اسمها الخيزران.

كان يحب العلم وأهله، ويعظم حرمات الإسلام، ويبغض المراء في الدين، وكان يحب المديح ويجيز عليه الأموال الجزيلة الجليلة. قال علي بن المديني سمعت أبا معاوية الضرير يقول: أكلت مع الرشيد طعاماً يوماً من الأيام، فصب على يديَّ رجل لا أعرفه، فقال هارون يا أبا معاوية: تدري من يصب على يديك، قلت: لا، قال: أنا، قلت: أنت أمير المؤمنين، قال: نعم، إجلالاً للعلم.

وقد تزوج من النساء زبيدة وهي أم جعفر بنت جعفر بن المنصور، فولدت له محمداً الأمين، وتزوج أمة العزيز أم ولد الهادي فولدت له علي، وتزوج أم محمد بنت صالح المسكين، وتزوج العباسية بنت سليمان ابن المنصور، وتزوج عزيزة ابنة خاله الغطريف، وتزوج العثمانية. وكان ولد له من الذكور محمد الأمين من زبيدة، وعبدالله المأمون لأم ولد اسمها مراجل، والقاسم والمؤتمن وأبو إسحاق محمد المعتصم، وصالح وأبو عيسى محمد وأبو يعقوب محمد وأبو العباس محمد وأبو سليمان محمد وأبو علي محمد وأبو أحمد محمد كلهم لأمهات أولاد. وله من البنات سكينة وأم حبيب وأروي وأم الحسن وحمدونه وفاطمة وأم أبيها وأم سلمة وخديجة وأم القاسم ورملة وأم جعفر وأم علي والغالية وريطة كلهن لأمهات أولاد.

تولّيه الخلافة: بويع للرشيد بالخلافة في الليلة التي مات فيها المهدي وذلك

ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وكان عمره حين ولي إثنين وعشرين سنة، وذلك بوصية من أبيه أن يتولى الخلافة بعد موت أخيه المهدي. وأول عمل قام به أخرج يحيى بن خالد بن برمك من السجن.

البيعة لمحمد الأمين: في سنة خمس وسبعين ومائة عقد الرشيد البيعة بولاية العهد لابنه محمد الملقب بالأمين، وله يومئذٍ خمس سنين، وكان الرشيد يتوسم النجابة والرجاحة في عبدالله المأمون(١).

ظهور يحيى بن عبدالله: في سنة ست وسبعين ومائة ظهر يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بالديلم واشتدت شوكته وكثر جموعه، فاغتم لذلك الرشيد، فندب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين ألف مقاتل، وكتب الفضل إلى يحيى يعده ويمنيه إن هو عاد عن استقلاله، فرضي حينما كتب له الرشيد الأمان، فسرَّ بذلك الرشيد وفرح يحيى واطمأن.

أمر مصر: وفي هذه السنة عزل الرشيد موسى بن عيسى عن مصر ورد أمرها إلى جعفر بن يحيى بن خالد، فاستعمل عليها جعفر بن مهران(٢).

الفتنة بدمشق: وفيها أيضاً هاجت العصبية بالشام بين القيسية واليمانية، فلما تفاقم الأمر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من القواد، فأصلحوا بين الناس وهدأت الفتنة واستقام أمر الرعية(٣).

أمر أفريقية: في سنة سبع وسبعين ومائة استعمل الرشيد على أفريقية الفضل بن روح بن حاتم، فاستعمل على مدينة تونس ابن أخيه المغيرة بن بشر، فأساء السيرة معهم، فكتبوا للفضل فلم يعفيه من منصبه، فاتفقوا على ترك الطاعة وولوا أمرهم عبدالله بن الجارود يعرف بعبدويه الأنباري وأخرجوا المغيرة عنهم. فاستعمل عليهم الفضل ابن عمه عبدالله بن يزيد بن حاتم فقتله أهل تونس، وأخذوا من معه أسارى. وأفسد ابن الجارود كافة الجند على الفضل، وكثر جمعه، فسير

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ١٧١ ـ ١٨٠ ص ١١، والبداية والنهاية ١٠/ ١٦٥.

(٢) الكامل ٥/ ٩١.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ١٦٨، وتاريخ الإسلام حوادث ١٧١ ـ ١٨٠ ص ١٣، والكامل ٥/ ٩١ ـ ٩٢.

إليهم الفضل عسكراً كثيراً فانهزم واتبعهم الجارود، وحاصروا القيروان، ثم فتح أهل القيروان الأبواب ودخل ابن الجارود في جمادي الآخرة سنة ثمان وسبعين ومائة، وأخرج الفضل من القيروان ثم قتله، فغضب جماعة من الجند لقتل الفضل فاقتتلوا مع جند ابن الجارود فانهزموا إلى بلاد الزاب وولوا عليهم العلاء بن سعيد.

وأثناء ذلك أرسل الرشيد يحيى بن موسى يستميل ابن الجارود ومن معه، فلم يستجب ابن الجارود واستجاب بعض قواده منهم ابن الفارسي، لكن ابن الجارود استطاع قتل ابن الفارسي وانهزم أصحابه إلى طرابلس. ثم أن العلاء بن سعيد سار بمن معه إلى ابن الجارود، فلما علم ابن الجارود بذلك خاف من كثرة جموع العلاء ومن معهم من جند الرشيد سلّم القيروان إلى يحيى بن موسى[1].

الفتنة بمصر: في سنة ثمان وسبعين ومائة خرجت طائفة الحوفية من قيس وقضاعة على عامل مصر إسحاق بن سليمان وقاتلوه، فأمده الرشيد بهرثمة بن أعين، وكان عامل فلسطين، فقاتلوا الحوفية فأذعنوا بالطاعة وأدوا ما عليهم للسكان، فعزل الرشيد إسحاق عن مصر واستعمل عليها هرثمة ثم استعمل عبد الملك بن صالح[2].

يحيى بن خالد: وفي هذه السنة فوّض الرشيد أمور دولته كلها إلى يحيى بن خالد البرمكي[3].

الوليد الخارجي: وفي سنة تسع وسبعين خرج الوليد بن طريف التغلبي بالجزيرة، ففتك بإبراهيم بن خازم بنصيبين، ثم قويت شوكته فدخل أرمينية ثم أذربيجان ثم حلوان ثم عبر إلى غرب دجلة، وعاش في أرض الجزيرة، فسيَّر إليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فلقي الوليد في شهر رمضان وجهد عطشاً حتى انهزم الخوارج وقتل الوليد[4].

---

(١) الكامل ٥/ ٩٤ ـ ٩٦.

(٢) الكامل ٥/ ٩٧، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) الكامل ٥/ ٩٩، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧١.

(٤) الكامل ٥/ ٩٧ ـ ٩٨.

وفاة هشام صاحب الأندلس: وفي سنة ثمانين ومائة توفي هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان صاحب الأندلس في صفر، وكانت إمارته سبع سنين وسبعة أشهر، ولما مات استخلف بعده ابنه الحكم، وكان الحكم صارماً حازماً، فلما ولي خرج عليه عماه سليمان وعبدالله فتقاتلوا فقتل سليمان سنة أربع وثمانين، وأما عبدالله فصالح الحكم سنة ست وثمانين وسكنت الفتنة[١].

غزو الفرنج بالأندلس: وفي هذه السنة سير الحكم صاحب الأندلس جيشاً مع عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنج، فدخل البلاد، وغنم المسلمون أموالاً كثيرة. ودخلوا بعض البلاد في فرنسا وغنموا أموالاً وأسروا الرجال[٢].

الفتنة بالشام: وفيها أيضاً هاجت الفتنة بالشام بين النزارية واليمنية، فانزعج الرشيد لذلك، فندب جعفر البرمكي إلى الشام في جماعة من الأمراء والجنود، فأصلح بين الفريقين، ولم يدع جعفر بالشام فرساً ولا سيفاً ولا رمحاً إلاّ استلبه من الناس.

بيعة المأمون: في سنة اثنين وثمانين ومائة بايع الرشيد لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد ولده الأمين، وكان ذلك بالرقة، وولاه ممالك خراسان بأسرها[٣].

الخزر: وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة خرج الخزر بسبب ابنة خاقان، وقد كانت في العام الماضي حملت إلى الفضل بن يحيى البرمكي ليتزوج بها، فما وصلت حتى ماتت، فأخبر من كان معها أنها قتلت، فأوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة، وسفكوا الدماء. فولّى الرشيد أرمينية يزيد بن مزيد وقوّاه بالجند، وأنزل خزيمة بن خازم نصيبين رداً لأهل أرمينية فأخرجا الخزر[٤].

المغرب: تمرّد في المغرب متوليها محمد محمد بن مقاتل العتكي، وظلم

---

(١) الكامل ٥/ ١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) الكامل ٥/ ١٠٢.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ١٨١ ـ ١٩٠ ص ٩.

(٤) تاريخ الطبري ١٠/ ٦٩ ـ ٧٠، وتاريخ الإسلام حوادث ١٨١ ـ ١٩٠ ص ١٠ ـ ١٢.

وعسف، واقتطع من أرزاق الأجناد وآذى العامة، فخرج عليه تمام بن تميم التميمي ولقيه على تونس، فانهزم العتكي وتحصن بالقيروان ثم انسحب إلى طرابلس فنهض لنصرته إبراهيم بن الأغلب، فتقهقر تمام إلى تونس، واشتدت بغضة الناس للعتكي، وكاتبوا الرشيد فيه، فعزله وأمَّر عليهم إبراهيم بن الأغلب[1].

في سنة خمس وثمانين ومائة قتل أهل طبرستان متوليهم مهرويه الرازي، فولّى الرشيد عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي، وفيها قتل عبد الرحمن الأنباري، وفيها عاث حمزة الشاري ببلاد باذغيس من خراسان، فنهض عيسى بن علي بن عيسى إلى عشرة آلاف من جيش حمزة فقتلهم، وسار وراء حمزة إلى كابل وزابلستان[2].

وفيها ملك الفرنج مدينة برشلونة بالأندلس، وأخذوها من المسلمين، ونقلوا حماة ثغورهم إليها وتأخر المسلمون إلى ورائهم.

البيعة للقاسم: وفي سنة ست وثمانين ومائة بايع الرشيد ابنه القاسم من بعد ولديه، ولقبه المؤتمن، وولّاه الجزيرة والثغور والعواصم وهو صبي[3].

نكبة البرامكة: في سنة سبع وثمانين ومائة قلّد الرشيد الوزارة ليحيى البرمكي وقال له: «قد قلّدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وامض الأمور على ما ترى» ودفع إليه خاتمه[4]. وكان ولدا يحيى الفضل وجعفر من المقربين للرشيد، وكان جعفر من الندماء المقرّبين إلى الرشيد. فاستأثر البرامكة بحكم الدولة لكن بإشراف وموافقة الرشيد. وبدأ الرشيد بتقليص سلطة البرامكة عندما ماتت أمه الخيزران، حيث كانت الحليف الأساسي للبرامكة، وكذلك بدأ يقلص من مسؤوليات جعفر والفضل.

ثم أن الرشيد قتل جعفراً ثم حبس يحيى في منزله وأخذ ماله وضياعه

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ١٨١ ـ ١٩٠ ص ١٢ ـ ١٣.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ١٨٦، والكامل ٥/ ١١٠.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ١٨١ ـ ١٩٠ ص ٢٠، والبداية والنهاية ١٠/ ١٨٧.

(٤) تاريخ الطبري ١٠/ ٥٠.

ومتاعه، وأرسل إلى البلاد في قبض جميع أموال البرامكة وقتل منهم الكثير. ثم حبس الفضل وأبناء يحيى جميعهم. فمات يحيى سنة ١٩٠ والفضل سنة ١٩٣ وهما في السجن[١].

أمر الروم: ملّك الروم عليهم نقفور بعد خلعهم الملكة ريني، فأرسل نقفور إلى الرشيد رسالة يطالب بالمال الذي دفعته ريني للرشيد بعد الصلح بينهما ويتهدد الرشيد بالسيف، فأرسل له الرشيد قائلاً: قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه لا ما تسمعه.

ثم سار الرشيد ليومه حتى وصل مدينة هرقلة، فكانت غزوة مشهورة وفتحاً مبيناً، فطلب نقفور الموادعة، والتزم بخراج يحمله كل سنة، فقبل الرشيد منه. لكن نقفور نقض العهد وكان البرد شديداً فأمن رجعة الرشيد إليه[٢].

الفتنة بطرابلس الغرب: في سنة تسع وثمانين ومائة كثر شغب أهل طرابلس الغرب على ولاتهم، وكان إبراهيم بن الأغلب أمير أفريقية قد استعمل عليهم عدة ولاة، ثم ولّى عليهم سفيان بن مضاء فقاتلوه وأخرجوه عنهم، وفسدت طرابلس، فأرسل إبراهيم بن الأغلب الجند فأعادوا الاستقرار في البلاد، وعفى ابن الأغلب عن المفسدين[٣].

فتح هرقلة: في سنة تسعين ومائة فتح الرشيد هرقلة وأخربها لما كان من نقفور ما سبق، فحاصرها ثلاثين يوماً وسبى أهلها. ثم أرسل سبعين ألفاً في أرض الروم ففتح الله عليهم[٤].

وقعة الحفرة: في سنة إحدى وتسعين ومائة أوقع الأمير الحكم بن هشام

---

(١) انظر نكبة البرامكة في: تاريخ الطبري ١٠/ ٧٩ ـ ٨٩، والبداية والنهاية ١٠/ ١٨٩ ـ ١٩٤، والكامل ٥/ ١١٤ ـ ١١٦، وتاريخ الإسلام حوادث ١٨١ ـ ١٩٠ ص ٢٣ ـ ٢٧، وشذرات الذهب ١/ ٣١١ ـ ٣١٥، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤، وانظر العصر العباسي الأول للدكتور عبد العزيز الدوري ص ١٢١ ـ ١٣٦.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ١٨١ ـ ١٩٠ ص ٣٤ ـ ٣٥، والكامل ٥/ ١١٨./

(٣) الكامل ٥/ ١٢١.

(٤) الكامل ٥/ ١٢٣، وتاريخ الطبري ١٠/ ٩٨ ـ ٩٩.

الأموي صاحب الأندلس بأهل طليطلة فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل، وسبب ذلك أن أهل طليطلة طمعوا في الأمراء وخلعوهم مرة بعد أخرى.

موت الرشيد: في أول جمادى الآخرة لثلاث خلون منه سنة ثلاث وتسعين ومائة مات الرشيد، وكانت قد اشتدت علته بالطريق بجرجان، فسار إلى طوس فمات بها، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً، وكان عمره سبعاً وأربعين سنة وخمسة أشهر.

أهم الوفيات في عهده

توفيت الخيزران أم الهادي والرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة. وفيها توفي إمام الديار المصرية الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم، وفي سنة ست وسبعين توفي صالح بن بشير المري أحد كبار الزهاد. وفي سنة تسع وسبعين مات الإمام مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة الفقيه المحدث، وفي سنة ثمانين ومائة توفي إمام النحاة سيبويه، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر. وفي سنة إحدى وثمانين مات عبدالله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي كان فقيهاً زاهداً، وكان كثير الغزو والحج. وفي سنة اثنين وثمانين مات القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الفقيه أكبر أصحاب أبي حنيفة. وفيها توفي موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي الملقب بالكاظم، كان كثير العبادة والمروءة. وفي سنة خمس وثمانين ومائة ماتت رابعة العدوية العابدة المشهورة. وفي سنة سبع وثمانين مات الفضيل بن عياض أبو علي التميمي أحد أئمة العباد والزهاد، وفي سنة ثمان وثمانين ومائة مات إبراهيم الموصلي النديم واسمه إبراهيم بن ماهان أحد الشعراء والمغنين والندماء للرشيد وغيره. وفي سنة تسع وثمانين ومائة توفي علي بن حمزة بن عبدالله بن فيروز أبو الحسن الأسدي الكوفي المعروف بالكسائي أحد أئمة القرّاء، عالم في اللغة. وفيها توفي محمد بن الحسن بن زفر أبو عبدالله الشيباني صاحب أبي حنيفة والذي له الفضل الكبير في كتابة المذهب الحنفي، مات هو والكسائي في يوم واحد، فقال الرشيد: دفنت اليوم اللغة والفقه جميعاً.

الأمويون في قرطبة

من ١٣٨ إلى ٤٢٢ هـ

(١) عبد الرحمن الأول

(٢) هشام الأول

(٣) الحكم الأول

(٤) عبد الرحمن الثاني

(٥) محمد الأول

(٦) المنذر — (٧) عبدالله

مطرف — محمد

(٨) عبد الرحمن الناصر

(٩) الحكم الثاني — عبد الجبار — سليمان — عبد الملك — عبدالله

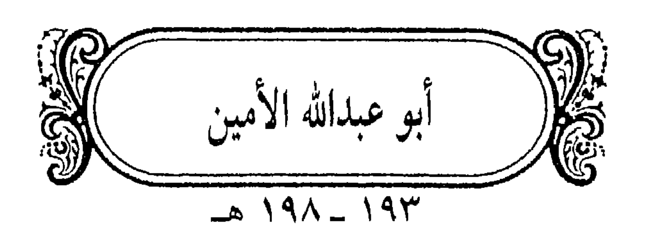
(١٠) هشام الثاني — هشام — الحكم — محمد — عبد الرحمن

(١٢) سليمان — (١٥) محمد الثالث

(١٣) عبد الرحمن الرابع

(١٦) هشام الثالث

(١٤) عبد الرحمن الخامس — (١١) محمد الثاني



أبو عبدالله الأمين

١٩٣ ـ ١٩٨ هـ

نسبه وحياته: هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، أبو عبدالله الهاشمي العباسي. وأمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور.

ولد بالرصافة سنة سبعين ومائة، ذكر أنه كان يقول الشعر ويعطي عليه الجوائز الكثيرة، وكان شاعره أبو نواس وكان قد وجده مسجوناً في حبس الرشيد مع الزنادقة فأحضره وأطلقه وأطلق له مالاً وجعله من ندمائه.

تولّيه الخلافة: لما توفي الرشيد بطوس، أرسل بالخبر إلى الأمين وهو ببغداد، وكان ولي عهده، ركب الأمين من قصره الخلد إلى قصر أبي جعفر المنصور ـ وهو قصر الذهب ـ على شط بغداد، فصلّى بالناس، ثم صعد المنبر فخطبهم وعزاهم في الرشيد، ووعدهم الخير، فبايعه الخواص من قومه ووجوه بني هاشم والأمراء، وأمر بصرف أعطيات الجند على سنتين.

اختلاف الأمين والمأمون: والسبب في ذلك أن الرشيد لما وصل إلى أول بلاد خراسان وهب جميع ما فيها من الحواصل والدواب والسلاح لولده المأمون، وجدد له البيعة. ولما مات الرشيد أرسل الأمين الكتب إلى الأمراء وفيها كتاب إلى المأمون يأمره بالسمع والطاعة. وكتب المأمون إلى الجيش الذي كان مع الرشيد يأمره بالبيعة له فلم يجيبوه، فوقعت الوحشة بين الأخوين، وتحول عامة الجيش إلى الأمين، فعند ذلك كتب المأمون إلى أخيه الأمين بالسمع والطاعة والتعظيم، وبقي الأمين في خراسان نائباً عليها. وأقرّ الأمين عمال أبيه على البلاد إلاّ القليل منهم، وأقرّ أخاه القاسم على الجزيرة والثغور[1].

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٣، والكامل ٥/ ١٣٤ ـ ١٣٧.

وفي سنة أربع وتسعين ومائة أمر الأمين بالدعاء لولده موسى على المنابر في سائر البلاد، وأمر بالبيعة لموسى من بعده، وسماه «الناطق بالحق» وكان عمره خمس سنوات. فلما بلغ المأمون ذلك قطع البريد عنه وتنكر للأمين.

الأمين والمأمون: في ربيع الآخر من سنة خمس وتسعين ومائة عقد الأمين لعلي بن عيسى بن ماهان الإمارة على الجبل وهمذان وأصبهان وقم وتلك البلاد، وأمره بحرب المأمون وجهز معه أربعين ألف مقاتل فارس. فخرج من بغداد حتى وصل الري فتلقاه الأمير طاهر بن الحسين في أربعة آلاف مقاتل، فاقتتلوا، فقتل علي بن عيسى وانهزم جيشه.

وخاف الناس ببغداد، وندم الأمين على ما كان منه من نكث العهد وخلع أخيه المأمون.

ثم جهز عبد الرحمن بن جبلة الأنباري جيشاً في عشرين ألفاً من المقاتلة إلى همذان ليقاتلوا طاهر بن الحسين ومن معه من الخراسانية، فلما تواجهوا كثرت القتلى بينهم، ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن فلجأوا إلى همذان فحاصرهم بها طاهر حتى اضطرهم إلى أن دعوا إلى الصلح.

أبو العميطر: وفيها ظهر بدمشق السفياني أبو العميطر علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية، فدعا إلى نفسه، وضبط دمشق، وانضمت إليه اليمانية، وبايعه أهل الغوطة والساحل وحمص وقنسرين، واستقام له الأمر[١].

عبد الملك بن صالح: وفي سنة ست وتسعين ومائة خلع الحسين بن علي الأمين لشربه ومجونه، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون، وذلك في الحادي عشر من رجب من هذه السنة، وصار أهل بغداد فرقتين، فاقتتلوا قتالاً شديداً فغلب حزب الخليفة، وأسر الحسين بن علي ثم عفا عنه الأمين واستوزره، ثم وجهه إلى هلوان فهرب ثم قتل[٢].

طاهر بن الحسين: لما قتل الحسين بن علي هرب الفضل بن الربيع

(١) تاريخ الإسلام حوادث ١٩١ ـ ٢٠٠ ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، والكامل ٥/ ١٥٠ ـ ١٥٢.

الحاجب، واستجوذ طاهر بن الحسين على أكثر البلاد للمأمون، وخلع أكثر الأقاليم الأمين وبايعوا المأمون. ودنا طاهر إلى المدائن فأخذها مع واسط وأعمالها، ولم يبق مع الأمين من البلاد إلاّ القليل(١).

ألوية الأمين: وفي شعبان عقد الأمين أربعمائة لواء مع كل لواء أمير، وبعثهم لقتال هرثمة، فالتقوا في شهر رمضان فكسرهم هرثمة. وهرب جماعة من جند طاهر إلى الأمين فأكرمهم، ثم ندبهم لقتال طاهر، فهزمهم طاهر وفرّق شملهم، واقترب طاهر من بغداد فحاصرها، وبعث رجالاً يمشون بالفتنة بين الجند حتى تفرّقوا شيعاً.

حصار بغداد: وفي سنة سبع وتسعين ومائة ضيق طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين الحصار على بغداد يريدون الأمين، وهرب القاسم بن الرشيد وعمه منصور بن المهدي إلى المأمون فأكرمهما، ونصب على بغداد المجانيق، وهرب كثير من جند الأمين إلى طاهر، وأوحشت بغداد وغلت الأسعار. وحصلت وقعة سميت **وقعة درب الحجارة** انتصر فيها أصحاب الأمين، **ووقعة الشماسية** أُسر فيها هرثمة بن أعين. ثم عبر طاهر إلى بغداد فقاتل أهلها واسترد هرثمة، ثم تفرق جند الأمين عنه لعدم وجود مال يصرفه عليهم، وانقضت السنة وبغداد في قلاقل وقتال وحريق وسرقات(٢).

مقتل الأمين: يوم الخميس ٩ من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة دخل طاهر من الجانب الشرقي فباشر القتال بنفسه، ورمى بالمنجنيق القصور فهرب الأمين وأمه زبيدة إلى مدينة أبي جعفر المنصور.

ثم أرسل الأمين إلى هرثمة فأمنه، فذهب الأمين ليعبر النهر إلى هرثمة، فأغرق أصحاب طاهر العبارة، فسبح الأمين وأسره الجنود، فأرسل طاهر إليه جند من العجم فقتلوه، وذلك ليلة الأحد لأربع ليال خلت من صفر(٣).

---

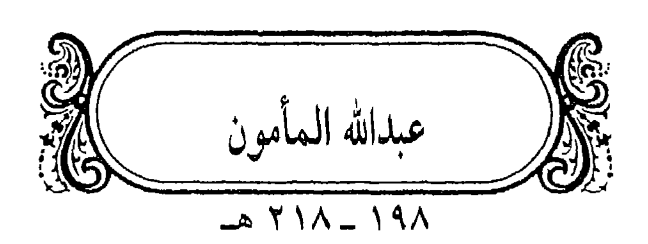
(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٣٧ والكامل ٥/ ١٥٢ ـ ١٥٥.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩، والكامل ٥/ ١٥٧ ـ ١٦٠.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، والكامل ٥/ ١٦٢ ـ ١٦٥.

أهم الوفيات في عهده

في سنة خمس وتسعين توفي أبو نواس الحسن بن هانىء الشاعر المشهورة الظريف. وفي سنة ست وتسعين توفي أبو معاوية الضرير أحد مشايخ الحديث الثقات المشهورين. وفيها توفي أبو شيص الشاعر محمد بن رزين، كان أستاذ الشعراء.



عبدالله المأمون

١٩٨ ـ ٢١٨ هـ

نسبه وحياته: هو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر.

ولـد فـي ربيـع الأول سنـة سبعيـن ومـائـة ليلـة تـوفـي عمـه الهـادي وولـي أبو الرشيد، وأمه أم ولد يقال لها مراجل الباذغيسية، وقد ماتت في نفاسها به.

برع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل وشُهر فيه، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن.

اكتنى المأمون بأبي جعفر وكانوا يحبون هذه الكنية لأنها كنية المنصور.

في سنة إحدى ومائتين خلع المأمون أخاه المؤتمن من العهد، وجعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وزوّجه ابنته، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة، فاشتد ذلك على بني العباس جداً، وخرجوا عليه، لكن علي الرضا توفي، وعاد بعد إلحاح العباسيين إلى لبس السواد.

تولّيه الخلافة: دعي المأمون بالخلافة والأمين حي في آخر سنة ١٩٥ هـ، إلى أن قتل الأمين، فاجتمع الناس على المأمون في سنة ١٩٨ هـ، وأخذت له البيعة شرقاً وغرباً. وأول عمل قام به إرساله النواب إلى الأقاليم، وولى طاهر بن الحسين نيابة الجزيرة والشام والموصل والمغرب[1].

لما قتل الأمين هدأت الفتن وخمدت الشرور، وأمن الناس، وطابت النفس،

(١) انظر ترجمته في: الكامل ٥/ ٢٢٧ ـ ٢٣١، وتاريخ الإسلام حوادث ٢١١ ـ ٢٢٠ ص ٢٢٥ ـ ٢٤٠، وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٦ ـ ٣١٣، وتاريخ الطبري ١٠/ ٢٩٦ ـ ٣٠٥.

ودخل طاهر بغداد يوم الجمعة، وخطبهم خطبة بليغة ذكر فيها آيات كثيرة من القرآن، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وبعث بموسى وعبد الله ابني أمين إلى عمهما المأمون بخراسان.

الولاة: استوثقت البيعة شرقاً وغرباً للمأمون، فولّى الحسن بن سهل نيابة العراق وفارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن، وبعث نوابه إلى هذه الأقاليم. وكتب إلى طاهر بن الحسين أن ينصرف إلى الرقة لحرب نصر بن شبث، وولاه نيابة الجزيرة والشام والموصل والمغرب، وكتب إلى هرثمة بن أعين بنيابة خراسان[1].

ثورة أهل قرطبة: وفي رمضان ثار أهل قرطبة بأميرهم الحكم بن هشام الأموي، وحاربوه لجوره وفسقه، فأحاطوا بقصره، واشتد القتال، فأمر الحكم أمراءه فحملوا عليهم، وأمر طائفة فنقبوا السور وخرج منه عسكر، فأتوا القوم من وراء ظهورهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة.

خروج ابن طباطبا: في جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين ومائة خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن طباطبا، واسمه إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يدعو إلى الرضا من آل محمد، والعمل بالكتاب والسنّة، وكان القائم بأمره أبو السرايا سري بن منصور الشيباني، فهاجت الفتن، وتسرع الناس إلى ابن طباطبا، وأتاه الأعراب وأهل النواحي، واستوثقت له الكوفة، فجهز الحسن بن سهل لحربه زهير بن المسيب في عشرة آلاف، فالتقوا، فهزم زهير واستباحوا عسكره. فلما كان من الغد أصبح ابن طباطبا ميتاً فجأة. فأقام أبو السرايا مكانه شاباً اسمه محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

ثم جهز الحسن بن سهل جيشاً عليه عبدوس بن محمد المروزي لحرب أبي السرايا، فالتقوا في رجب، فقتل عبدوس. ثم دخل أبو السرايا بمن معه البصرة وواسط. فكلف الحسن بحربه هرثمة بن أعين، فحاربه عند قصر ابن هبيرة، فهرب أبو السرايا إلى الكوفة[2].

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٤.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ١٩١ ـ ٢٠٠ ص ٦٩ ـ ٧٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

مقتل أبي السرايا: وفي سنة مائتين هرب أبو السرايا من الكوفة إلى القادسية، فدخلها هرثمة، ثم أتى أبو السرايا إلى ناحية واسط، ثم أسر أبو السرايا وأخذ إلى الحسن بن سهل وهو بالنهروان، فقتل أبو السرايا في عاشر ربيع الأول[1].

الأفطس بمكة: أما حسين بن حسن الأفطس الذي أرسله أبو السرايا إلى مكة، فبدع بمكة، وهدم دورهم، وأخذ أبناءهم، فلما بلغه قتل أبي السرايا أتى إلى محمد بن جعفر الصادق، وكان شيخاً فاضلاً محبباً إلى الناس، فأقنعه بالبيعة بالخلافة، فحشر له الناس لمابعته طوعاً وكرهاً.

ثم إنّ أصحاب أبي السرايا تجاوزوا الحد في تصرفهم بين الناس، ولم يستطع محمد بن جعفر الصادق على ردعهم. ثم تقاتل أصحابه مع ورقاء وإسحاق بن موسى فهزم أصحاب محمد بن جعفر، وطلب محمد الأمان فأجابوه، ثم نزح عن مكة، ودخلها إسحاق وورقاء في جمادى الآخرة[2].

مقتل هرثمة بن أعين: لما فرغ هرثمة من أبي السرايا رجع، وكان الحسن بن سهل بالمدائن فلم يعرج عليه، وهو يريد المأمون، لكن المأمون كتب له أن يرجع إلى الشام والحجاز فأبى إلاّ لقاء المأمون، وكان يريد أن يطلع المأمون على حال الفضل بن سهل في طيه الأخبار عنه، فعلم الفضل بذلك فأغرى به المأمون، فلما حضر حُبس ولم يترك له المجال للدفاع عن نفسه، فقتل بالسجن[3].

البيعة لعلي الرضى: في سنة إحدى ومائتين بايع المأمون لعلي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب أن يكون ولي العهد من بعده، وسماه الرضى من آل محمد، وطرح لبس السواد وأمر بلبس الخضرة، فلبسها هو وجنده، وكانت مبايعته له يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان[4].

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ١٩١ ـ ٢٠٠ ص ٧٦ ـ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ١٩١ ـ ٢٠٠ ص ٧٧ ـ ٧٩. وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٤٥، والكامل ٥/ ١٧٩.

(٤) البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٧، وتاريخ الطبري ١٠/ ٢٤٣.

البيعة لإبراهيم بن المهدي: لما جاء الخبر أن المأمون بايع لعلي الرضا بالولاية من بعده، اختلف الناس فيما بينهم، فمن مجيب مبايع، وجمهور العباسيين على الامتناع من ذلك، فاتفقوا على خلع المأمون وبيعة إبراهيم بن المهدي، فبايعوه ولقبوه «المبارك»، وبايعوا من بعده لابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي(1).

ولاية زيادة الله أفريقية: وفي هذه السنة سادس ذي الحجة توفي أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير أفريقية، بعدما ظلم الناس، فولّى أخاه بعده: زيادة الله بن إبراهيم، الذي جهز جيشاً فغزا سردينية وغنموا من الروم وقتلوا كثيراً.

وفي سنة ثمان ومائتين خالف منصور بن نصير الطنبذي أمر زيادة الله، وظهر أمره بتونس، فسير إليه زيادة الله جيشاً كثيفاً فانهزم جيش زيادة الله وتركوا طاعته خوفاً من العقاب، فاضطربت أفريقية، واجتمع الجند كلهم إلى منصور وأطاعوه لسوء سيرة زيادة الله. فلما كثر جمع منصور سار إلى القيروان فحصرها في جمادى الأولى. فسار إليه زيادة الله في جيش كثيف فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم منصور ومن معه. رغم ذلك لم يبق مع زيادة الله من أفريقية إلاّ قابس والساحل ونفزاوة وطرابلس(2).

مسير المأمون إلى العراق: أخبر علي بن موسى الرضا بما الناس عليه من الفتنة والقتال، والبيعة في بغداد لإبراهيم بن المهدي، وما أخفاه عنه الفضل سهل، فلما تحقق من الأمر، سار المأمون من مرو، فلما وصل سرخس وثب بالفضل بن سهل فقتلوه في الحمام، ورحل المأمون إلى العراق وذلك سنة اثنين ومائتين.

موت علي الرضا: في سنة ثلاث ومائتين مات علي بن موسى الرضا عليه السلام، في آخر صفر، فصلّى عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه الرشيد(3).

خلع إبراهيم بن المهدي: بعد وفاة علي بن موسى، دعا الناس للمأمون

---

(1) البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٧، والكامل ٥/ ١٨٤.

(2) الكامل ٥/ ١٨٤ ـ ١٨٦.

(3) الكامل ٥/ ١٩٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٤٩.

وخلعوا إبراهيم بن المهدي، وأقبل حميد بن عبد الحميد في جيش من جهة المأمون فحاصر بغداد، وطمع الجند في العطاء فطاوعوه على السمع والطاعة وخلع إبراهيم بن المهدي. ثم اختفى إبراهيم بن المهدي في آخر هذه السنة[1].

قدوم المأمون بغداد: في سنة أربع ومائتين قدم المأمون بغداد وانقطعت الفتن، وجلس في قصره وأعاد لبس السواد بعد إلحاح العباسيين عليه، وخلع على قواده السواد[2].

ولاية طاهر خراسان: في سنة خمس ومائتين استعمل المأمون طاهر بن الحسين على المشرق من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق، وكان قبل ذلك يتولى الشرط بجانبي بغداد[3].

أهل الكلام: وكان المأمون يقرب أهل الكلام، ويأمرهم بالمناظرة بحضرته، وينظر ما دل عليه العقل، وقرب بشر بن غياث المريسي، وثمامة بن أشرس[4].

إبراهيم بن المهدي: في ربيع الآخر من سنة عشر ومائتين أمسك أحد الحراس ليلاً بإبراهيم بن الهدي، وكان متخفياً بلباس النساء، ويمشي بين امرأتين، فارتاب الحارس بأمره فعرفه. ولما رفع إلى المأمون عفا عنه وأطلقه[5].

أمر مصر: وفيها كتب المأمون إلى عبدالله بن طاهر بن الحسين أن يسير إلى مصر، وكان ولاه عليها سابقاً، فلما دخلها قاتل بها عبيد الله بن السري فهزمه، ثم طلب الأمان فأمنه. ثم فتح عبدالله بن طاهر الإسكندرية.

القول بخلق القرآن: وفي سنة اثني عشرة ومائتين أظهر المأمون القول بخلق القرآن الكريم[6].

جزيرة صقلية: في هذه السنة جهز زيادة الله جيشاً في البحر وسيرهم إلى

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٢) الكامل ٥/ ١٩٥.

(٣) الكامل ٥/ ١٩٦، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٠١ ـ ٢١٠ ص ١٩.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٢٠١ ـ ٢٠٠ ص ٢٥.

(٥) البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٠١ ـ ٢١٠ ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٦) تاريخ الطبري ١٠/ ٢٧٩، وتاريخ الإسلام حوادث ٢١١ ـ ٢٢٠ ص ٨.

جزيرة صقلية، واستعمل عليهم أسد بن الفرات قاضي القيروان، فلما وصلوا إليها ملكوا كثيراً منها، ودارت حروب متعددة بين الروم والمسلمين، فاستنجد المسلمون زيادة الله فسير لهم جنداً، فتغلب المسلمون على الروم، واستولوا على عدة حصون من الجزيرة. لكن سنة ثلاث عشرة ومائتين وصل إسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير، وحل بالمسلمين وباء شديد هلك فيه كثير منهم وهلك فيه أميرهم أسد بن الفرات، وولّى على المسلمين محمد بن أبي الجواري، ففتحوا حصوناً جديدة قووا بذلك عزيمتهم، وهزموا المدد من الروم.

مصر: وفي سنة ثلاث عشرة ومائتين خرج عبد السلام بن أبي الماضي الجذامي زعيم اليمانية، وابن حليس الهلالي زعيم القيسية بمصر فخلعا المأمون، فاستعمل المأمون على مصر والشام أخاه أبا إسحاق المعتصم[1].

غزو المأمون الروم: في أواخر المحرم سنة خمس عشرة ومائتين قصد المأمون مع عسكره بلاد الروم لغزوهم، فدخل طرسوس في جمادى الأولى ومنها إلى بلاد الروم ففتح حصوناً[2].

فتح هرقلة: في سنة ست عشرة ومائتين عاد المأمون إلى بلاد الروم، فسار حتى دخل أرض الروم في جمادى الأولى فأقام إلى منتصف شعبان، وصالح أهل هرقلة، ووجه أخاه أبا إسحاق المعتصم فافتتح ثلاثين حصناً.

محنة القول بخلق القرآن: في سنة ثمان عشرة ومائتين كتب المأمون إلى نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم لامتحان العلماء، وكان المأمون يقول بخلق القرآن والعياذ بالله، فأجابه بعض العلماء تقية وخوفاً من بطش المأمون. وأحضر إسحاق من امتنع ومنهم الإمام أحمد بن حنبل وسألهم فعرضوا ووروا ولم يجيبوا ولم ينكروا، فأخبر المأمون بذلك فأرسل إلى إسحاق قائلاً: من لم يُجب أنه مخلوق فامنعه من الفتوى والرواية. فأجاب كثير منهم إلى مقالة المأمون إلاّ أحمد بن حنبل وبعض العلماء، فقيدوا وأرسلوا إلى المأمون، وهم في الطريق وصل خبر وفاة المأمون، فردّوا إلى بغداد[3].

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٧.

(٢) الكامل ٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ والبداية والنهاية: ١/ ٢٦٩.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٢١١ ـ ٢٢٠ ص ٢٠ ـ ٢٥، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤ وتاريخ=

وفاة المأمون: في هذه السنة مرض المأمون، حيث حُمّ من ماء بارد دلّى رجليه فيه وأكل الرطب الأزان هو وأخوه المعتصم. فلما مرض المأمون أمر أن يكتب إلى البلاد الكتب من عبدالله المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبي إسحاق بن هرٰون الرشيد، وأوصى إلى المعتصم بحضرة ابنه العباس وبحضرة الفقهاء والقضاة والقواد، وأوصى أخاه بالرعية وبحفظ حق الله عليه.

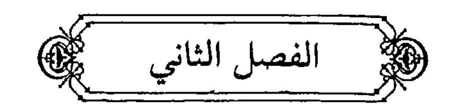
توفي المأمون لإثني عشرة ليلة بقيت من رجب، فحمله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرسوس، فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد، وصلّى عليه المعتصم. وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، مات وهو على مقولته بخلق القرآن الكريم(١).

أهم الوفيات في عهده

في سنة ثلاث ومائتين مات علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وفي سنة أربع ومائتين توفي الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الفقيه المجتهد العالم. ومات سنة خمس ومائتين أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن عطية، أحد أئمة العلماء العاملين المحدث. وفي سنة ست ومائتين مات قطرب اللغوي الكبير. وفي سنة سبع ومائتين توفي طاهر بن الحسين نائب العراق وخراسان وكان يلقب بذي اليمينين. وفيها توفي الفراء أبو زكريا الكوفي يحيى بن زياد، شيخ النحاة واللغويين والقرّاء، وفي سنة ثمان ومائتين توفيت السيدة نفيسة بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقبرها في القاهرة. وفيها توفي الفضل بن الربيع. وفي سنة إحدى عشرة ومائتين توفي أبو العتاهية الشاعر المشهور. وفي سنة خمس عشرة ومائتين توفي أبو زيد الأنصاري البصري اللغوي أحد الثقات الأثبات. وفي سنة ست عشرة ومائتين ماتت زبيدة امرأة هارون الرشيد وابنة عمه جعفر بن المنصور وهي أم الأمين.

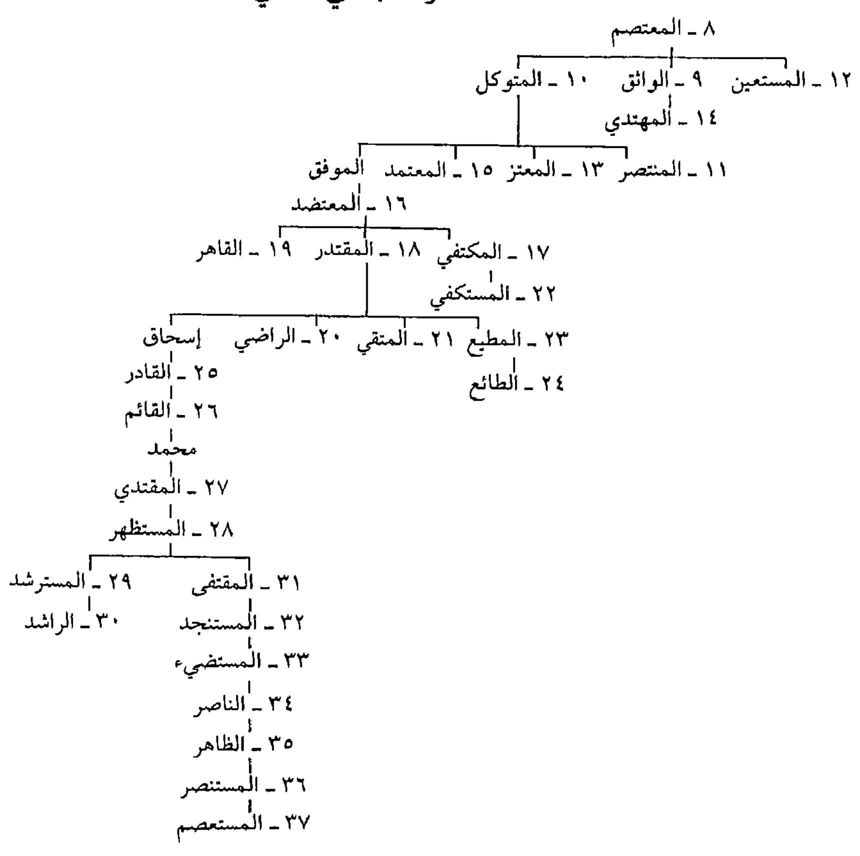
= الطبري ١٠/ ٢٨٤ ـ ٢٩٣، والكامل ٥/ ٢٢٢ ـ ٢٢٦.

(١) الكامل ٥/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٨٠، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٥٦.

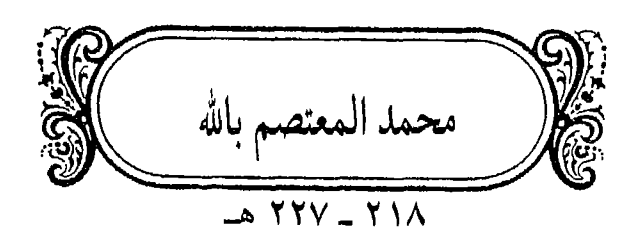


الخلافة العباسية
نشوء الدويلات
العصر العباسي الثاني

خلفاء العصر العباسي الثاني







محمد المعتصم بالله

٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ

نسبه وحياته: هو محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي أبو إسحاق، ثامن خلفاء بني العباس.

ولد سنة ثمانين ومائة، وأمه أم ولد من مولدات الكوفة، واسمها ماردة، وكانت أحظى الناس عند الرشيد.

وكان لا يجيد القراءة ولا الكتابة. عرف عنه أنه إذا غضب لا يبالي من قتل. وهو أول عظيمة خليفة أدخل الأتراك إلى الديوان. كانت له صولات وجولات مع الروم لم يسمع بمثلها لخليفة.

قيل سمي بالمثمن لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس، والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وعاش ثمانياً وأربعين سنة، وفتح ثمانية فتوح، وخلف ثمانية أولاد، ومات لثمان بقين من ربيع الأول.

كان كالمأمون يقول بخلق القرآن، وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن، فكتب إلى البلاد بذلك، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك، وقتل كثيراً من العلماء الذين عارضوه في ذلك، وضرب الإمام أحمد بن حنبل.

تولّيه الخلافة: بويع له بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بطرسوس، وكان إذ ذاك مريضاً، وقد سعى بعض الأمراء في ولاية العباس بن المأمون، فخرج عليهم العباس فقال: ما هذا الخلف البارد؟ أنا قد بايعت عمي المعتصم، فسكن الناس وخمدت الفتنة. ثم ركب المعتصم بالجنود

قاصداً بغداد وصحبه العباس بن المأمون، فدخلها في أول رمضان في أبهة عظيمة وتجمل تام[١].

الوباء والغلاء بمصر: في سنة ثمان عشرة ومائتين هذه السنة وقع الوباء العظيم بمصر، فمات كثير عنهم، وغلا السعر هذه السنة وبعض سنة تسع عشرة[٢].

أمر الخرمية: وفيها اشتد أمر الخرمية، ودخل في دينهم خلق من أهل بلاد همذان وبلاد أصبهان، وجيشوا بأرض همذان، فسار لحربهم إسحاق بن إبراهيم في ذي القعدة، فظفر بهم وقتل منهم ستين ألفاً[٣].

الإمام أحمد بن حنبل: وفيها أحضر المعتصم الإمام أحمد بن حنبل وامتحنه بالقرآن، فلم يجب إلى القول بخلقه، فأمر به فجلد جلداً عظيماً حتى تقطع جلده[٤].

اقتناء الترك: اعتنى المعتصم باقتناء الترك، فبعث إلى سمرقند وفرغانة والنواحي في شرائهم، وبذل فيهم الأموال، وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب. ولما ضاق أهل بغداد بالترك، تحول المعتصم إلى سامراء، فاشترى أرضاً بنواحيها وبنى قصراً جميلاً فيها[٥] سنة عشرين ومائتين.

أمر الزط[٦] في سنة تسع عشرة ومائتين عاث الزط على طريق البصرة فساداً، فوجه المعتصم إليهم عجيف بن عنبسة. فدخل عليهم عجيف بغداد بعد أن ضيق

---

(١) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧، والكامل ٥/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣٣ ـ ٣٤٠ ـ وشذرات الذهب ٢/ ٦٣ ـ ٦٤، وتاريخ الطبري ١١/ ٧ ـ ٩، وتاريخ الإسلام حوادث ٢١ ـ ٢٣٠ ص ٣٩١ ـ ٣٩٨.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٢١١ ـ ٢٢٠ ص ٢٨.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٢١١ ـ ٢٢٠ ص ٢٨، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٨٢.

(٤) الكامل ٥/ ٢٣٣.

(٥) تاريخ الإسلام حوادث ٢١١ ـ ٢٢٠ ص ٣٣ ـ ٣٤، والكامل ٥/ ٢٣٦.

(٦) الزط: أصلهم من بلاد السند، وكانوا يربون الجواميس، فتركوا بلادهم وهاجروا غرباً لحدوث مجاعة في بلادهم، فسمح لهم الحجاج باستيطان منطقة الأهواز جنوب العراق ليستفيد منهم في استغلال تلك المنطقة (عن: العصر العباسي الأول ص ١٨٧).

عليهم وقاتلهم ثم طلبوا الأمان فأمنهم ونقلهم إلى ثغر يسمى عين زربة، فأغارت عليهم الروم فاجتاحوهم ولم يفلت منهم أحد[1].

مسير الأفشين لحرب بابك: وفي هذه السنة عقد المعتصم للأفشين حيدر بن كاوس على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي[2]، وكان استفحل أمره جداً، وانتشر أتباعه في أذربيجان وما والاها، وكان أول ظهوره في سنة إحدى ومائتين، وكان زنديقاً كافراً، فالتقى الأفشين ببابك، فقتل الأفشين من جنده أكثر من مائة ألف، فهرب بابك إلى مدينته البذ[3].

وفي رمضان فتحت البَذ بعد حصار طويل صعب، وكان بابك بها، فاختفى في غيضة بالحصن، وأسر أهله وأولاده، ثم هرب إلى جبال أرمينية، فأسره هناك سهل بن سنباط، ثم قتل سنة ثلاث وعشرين ومائتين[4].

الروم: وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين قتل ملك الروم توفيل بن ميخائيل كثير من المسلمين من أهل ملطية وما والاها، ومثّل بأسرى المسلمين، فلما بلغ ذلك المعتصم، أرسل جيشاً لغزو الروم. لكن الجيش عاد بعد أن سمع أخبار ملطية وما حصل بزبطرة أيضاً[5].

فتح عمورية[6]: أراد المعتصم الانتقام مما فعله ملك الروم، وبلغه أن امرأة أسيرة صاحت «وامعتصماه»، فأجاب لبيك لبيك. فجهز جيشاً عظيماً جداً وسار به إلى عمورية، وسار الأفشين ومن معه من جهة أخرى. فالتقى ملك الروم بالأفشين أولاً فثبت الأفشين وقتل من الروم خلقاً وتفرق جيشهم. ثم التقى الأفشين بالمعتصم في أنقرة. فلما وصلت الجيوش إلى عمورية، دلهم أسير مسلم على

---

(١) الكامل ٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٢) بابك الخرمي: كان ثنوياً على دين ماني، ومزدك، يقول بتناسخ الأرواح، ويستحل البنت وأمها، وقيل كان ولد زنا.

(٣) البذ: كورة بين آذربيجان وآران (معجم البلدان ١/ ٣٦١).

(٤) الكامل ٥/ ٢٣٤ ـ ٢٤٥، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٢١ ـ ٢٣٠ ص ٧ ـ ٩.

(٥) البداية والنهاية ١٠/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٢١ ـ ٢٣٠ ص ١٣.

(٦) عمورية: مدينة عظيمة كبيرة جداً، ذات سور منيع وأبراج عالية (البداية والنهاية ١٠/ ٢٨٧).

ضعف في أحد الأبراج، فنصبت المجانيق، وضرب ذلك البرج فهدم وهُدم سور كبير، وردم المسلمون خندقاً وراء السور، ثم دخل المسلمون عمورية، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسر نائب عمورية مناطس. وعاد المعتصم إلى طرسوس[1].

مقتل العباس بن المأمون: كان العباس مع عمه المعتصم في غزوة عمورية، فأغراه عجيف بن عنبسة على المبايعة له وقتل المعتصم، لكن المعتصم علم بالخبر، وعرف أن العباس أخذ البيعة من جماعة من الأمراء. فأمر المعتصم بابن أخيه العباس فقيده وسلم إلى الأفشين، وقتل الأمراء الذين بايعوا، ومات العباس بن المأمون بمنبج ودفن هناك.

وفاة زيادة الله: في هذه السنة أيضاً رابع عشر من رجب توفي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير أفريقية، وكان عمره إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة وسبعة أشهر.

الأفشين: في سنة خمس وعشرين ومائتين غضب المعتصم على الأفشين وحبسه، وكان سبب ذلك أن الأفشين كان أيام محاربة بابك لا تأتيه هدية من أهل أرمينية وأذربيجان إلاّ وجهها إلى أشروسنة بلده، وأخبر المعتصم أيضاً كاتب الأفشين برسائل كان يرسلها إلى المازيار الثائر. همّ الأفشين أن يسمم المعتصم وقواده، فحبسه المعتصم كما تقدم، ثم مات سنة ست وعشرين محبوساً.

وفاة المعتصم بالله: في سنة سبع وعشرين ومائتين توفي المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، وذلك يوم الخميس لثمان عشرة مضت من ربيع الأول. دفن بسامراء، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين، وكان عمره سبعاً وأربعين سنة وشهرين[2].

أهم الوفيات في عهده

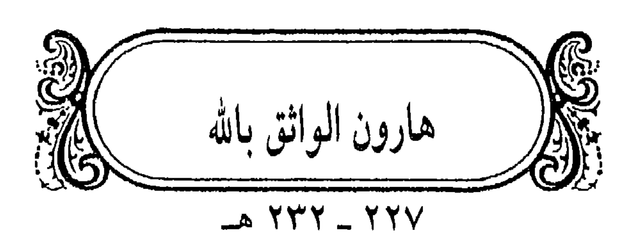
في سنة ثمان عشرة ومائتين توفي بشر بن غياث المريسي المتكلم شيخ المعتزلة، وفيها توفي ابن هشام راوي السيرة واسمه عبد الملك بن هشالم بن أيوب

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤.

(٢) الكامل ٥/ ٢٩٥.

المعافري. وفي سنة تسع عشرة ومائتين توفي قالون أحد مشاهير القراء. وفي سنة أربع وعشرين ومائتين توفي أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي أحد أئمة اللغة والفقه والحديث والقرآن والأخبار وأيام الناس، له مصنفات مشهورة. وفي سنة خمس وعشرين ومائتين توفي أبو الحسن الأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي. وفي سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف العجلي أحد قواد المأمون والمعتصم، وإليه ينسب الأمير أبو نصر بن ماكولا صاحب كتاب الإكمال.



٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ

نسبه وحياته: هو الواثق بالله هارون بن المعتصم بن الرشيد أبو جعفر. وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس، أدركت دولة ابنها.

ولد لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة.

كان يقول بخلق القرآن والعياذ بالله. وقيل إن الواثق رجع عن ذلك القول قبل موته. وقيل الذي حمله على القول بخلق القرآن والتمدد فيه هو أحمد بن أبي داود.

قال يحيى بن أكثم: «ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير». وكان الواثق يسمى المأمون الأصغر، لأدبه وفضله، وكان المأمون يعظمه ويقدمه على ولده. وكان شاعراً وأعلم الخلفاء بالغناء وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت، وكان حاذقاً بضرب العود، راوية للأشعار والأخبار.

تولّيه الخلافة: بويع له بالخلافة قبل موت أبيه وبعهد منه لثماني عشرة خلون من ربيع الأول من سنة سبع وعشرين ومائتين(١).

غزو صقلية: في سنة ثمان وعشرين ومائتين أبحر الفضل بن جعفر الهمداني ونزل مرسى مسيني، وبث السرايا فغنموا غنائم كثيرة. وقاتل الفضل مدة سنتين واشتد القتال حتى استولى على مدن كثيرة. وفي سنة تسع وعشرين ومائتين خرج

(١) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٨ ـ ٣١٠، والكامل ٥/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨، وتاريخ الخلفاء ص ٣٤٠ ـ ٣٤٦، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٣١ ـ ٢٤٠ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٥، وشذرات الذهب ٢/ ٧٥ ـ ٧٦.

أبو الأغلب العباس بن الفضل في سرية فبلغ شرة فقاتله أهلها قتالاً شديداً فانهزمت الروم وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف رجل، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر، ولم يكن بصقلية حرب مثلها.

الأعراب بالمدينة: في سنة ثلاثين ومائتين عاثت الأعراب من بني سليم حول المدينة، فأخافوا السبيل، فقاتلهم أهل المدينة فهزموا أهلها واستحوذوا على ما بين المدينة ومكة من المناهل والقرى، فسار لحربهم بغا الكبير بأمر من الواثق فأسر وقتل فيهم[1].

الأندلس: في هذه السنة خرج المجوس من أقاصي بلاد الأندلس في البحر إلى بلاد المسلمين، في الأندلس، ودارت بينهم وقائع. وفي ثامن محرم ساروا إلى اشبيلية فخرج إليهم المسلمون فانهزم المسلمون وكثر القتل والأسر فيهم. ثم قاتلهم جيش عبد الرحمن صاحب البلاد فانهزم المجوس فتبعهم العسكر ثاني ربيع الأول وقاتلوهم ولحق بهم المسلمون بحراً فهربوا وانقطع خبرهم عن البلاد فسكن الناس[2].

أحمد الخزاعي: في سنة إحدى وثلاثين ومائتين تحرك ببغداد قوم مع أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، حيث كان يخالف من يقول بأنّ القرآن مخلوق ويطلق لسانه بالواثق لمقالته بخلق القرآن، واتفقوا للخروج على السلطان في يوم محدد، فعرف صاحب الشرطة بذلك فأمسك بأحمد بن نصر وبعض أتباعه وسيرهم إلى الواثق مقيدين، فاستشار الواثق مستشارين فيهم فأشاروا بقتلهم، فقتل الواثق أحمد الخزاعي بيديه[3].

وفاة الواثق: توفي الخليفة الواثق لستٍ بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين بعلة الاستسقاء، ودفن في قصر الهادي. وكانت خلافته خمس

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٢١ ـ ٢٣٠ ص ٣٥.

(٢) الكامل ٥/ ٢٧٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٣١ ـ ٢٤٠ ص ٧.

(٣) الكامل ٥/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٠٣، ٣٠٧، وفيه قال: «وقد كان أحمد بن نصر هذا من أكابر العلماء العاملين القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

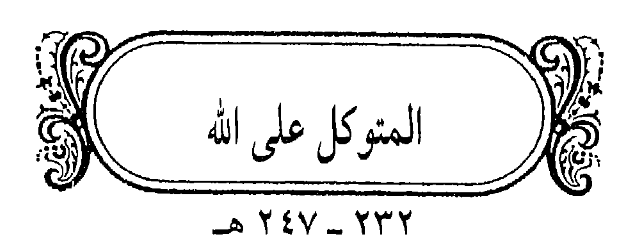
سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام، وكان عمره اثنين وثلاثين سنة، وقيل ستاً وثلاثين سنة[1].

أهم الوفيات في عهده

توفي سنة سبع وعشرين ومائتين بشر بن الحارث الحافي المروزي أبو نصر الزاهد المشهور. وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين أبو تمام الطائي الشاعر صاحب ديوان الحماسة. وفي سنة تسع وعشرين ومائتين توفي خلف بن هشام البزار أحد مشاهير القراء. وفي سنة ثلاثين ومائتين توفي عبدالله بن طاهر بن الحسين نائب خراسان وما والاها، فولي الواثق مكانه ابنه طاهر. وفيها توفي محمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات.

---

(١) الكامل ٥/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩.



المتوكل على الله

٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ

نسبه وحياته: هو جعفر بن المعتصم بن الرشيد أبو الفضل العباسي البغدادي الملقب بالمتوكل على الله، وأمه أم ولد اسمها شجاع. ولد سنة خمس ومائتين وقيل سبع ومائتين.

قدم دمشق في صفر سنة أربع وأربعين وعزم على المقام بها وأعجبته، ونقل دواوين الملك إليها. وأمر بالبناء بها. وأمر للأتراك بما أرضاهم من الأموال. وبنى قصراً كبيراً بداريا من جهة المزة. لكنه عاد وخرج من دمشق بعد إقامة شهرين وأيام، ورجع إلى سامراء دار ملكه على طريق الفرات.

تولّيه الخلافة: بعد موت الواثق بويع لأخيه المتوكل على الله، وذلك بعد أن اجتمع جماعة من المقربين للواثق للنظر في الأمر، فاختاروا المتوكل، وأول من سلم عليه بالخلافة أحمد بن أبي داود. وكان عمره يوم بويع ستاً وعشرين سنة. وأراد ابن الزيات أن يلقبه المنتصر، فقال أحمد بن أبي داود القاضي: قد رأيت لقباً أرجو أن يكون موافقاً وهو المتوكل على الله، فأمر بإمضائه وكتب به إلى الآفاق. واستبشر الناس به[1].

الزلزال بدمشق: وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين جاءت زلزلة مهولة بدمشق، سقطت فيها شرفات الجامع الأموي، وتصدع حائط المحراب، وسقطت منارته، وهلك خلق تحت الردم. وامتد الزلزال إلى انطاكية فهدمها، وإلى الجزيرة فأخذ بها، وإلى الموصل.

---

(١) انظر ترجمته في: الكامل ٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٤٩ ـ ٣٥٢، وتاريخ الخلفاء ص ٣٤٦ ـ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٤١ ـ ٢٥٠ ص ١٩٤ ـ ٢٠٣ وتاريخ الطبري ١١/ ٦٧ ـ ٦٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

خبر ابن الزيات: في صفر أمر الخليفة المتوكل على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك بن الزيات وزير الواثق، فقبض عليه صاحب الشرطة، وأخذوا من داره جميع ما فيها. وأمر المتوكل به أن يعذب، ووكل به من يمنعه من القعود، والرقاد، فمكث كذلك أياماً حتى مات في إحدى عشرة من ربيع الأول[(١)].

ابن أبي داود: وفيها في جمادي الأولى بعد مهلك ابن الزيات فلج أحمد بن أبي داود القاضي المعتزلي، فلم يزل مفلوجاً حتى مات بعد أربع سنين[(٢)].

خروج البُعَيْث من الطاعة: وفي سنة أربع وثلاثين ومائتين خرج عن الطاعة محمد بن البعيث بن الجليس[(٣)] أمير آذربيجان وأرمينية، فسار لقتاله بغا الشرابي في أربعة آلاف، فقاتله، وطال الحصار، وضربوا عليه المجانيق، وصبر هو وأصحابه صبراً بليغاً. فلما تدلى من الحصن ليهرب أسروه. ثم مات سنة خمس وثلاثين ومائتين[(٤)].

البيعة لأولاد المتوكل: وفي هذه السنة عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد وهم محمد ولقبه المنتصر، وأبو عبدالله محمد ولقبه المعتز بالله، وإبراهيم ولقبه المؤيد بالله، فأما المنتصر فأقطعه أفريقية والمغرب كله وقنسرين والثغور الشامية كلها والموصل وهيت والأنبار واليمن وحضرموت والبحرين والسند وأصبهان وغيرها كثير. وأما المعتز فأقطعه خراسان وما يضاف إليها وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس. وأما المؤيد فأقطعه جند حمص وجند دمشق وجند فلسطين[(٥)].

أرمينية: وثبت بطارقة أرمينية بعاملها يوسف بن محمد فقتله سنة سبع

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٣١١، والكامل ٥/ ٢٧٩.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٣١١.

(٣) في الطبري «الحليس» وفي البداية والنهاية «حلبس» وما أثبتناه من الكامل.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٢٣١ ـ ٢٤٠ ص ١٣ ـ ١٤، والبداية والنهاية ١٠/ ٣١٢، والكامل ٥/ ٢٨١، وتاريخ الطبري ١١/ ٣١.

(٥) الكامل ٥/ ٢٨٤، وتاريخ الطبري ١١/ ٣٨ ـ ٣٩.

وثلاثين ومائتين، فجهز المتوكل لحربهم بغا الكبير، فالتقاهم على دبيل[1]، فانتصر عليهم، وقتل منهم خلقاً عظيماً[2].

تفليس: بعد أرمينية تابع بغا الكبير طريقه إلى تفليس، فحاصرها وبها إسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية، فخرج إسحاق للمحاربة، وضربت عنقه، ثم أحرقت تفليس، واحترق فيها خلق، وفتحت عدة حصون بنواحي تفليس سنة ثمان وثلاثين ومائتين[3].

حمص: في سنة أربعين ومائتين وثب أهل حمص بعاملهم أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي وأخرجوه منها، وقتلوا جماعة من أصحابه، فسار إليهم الأمير محمد بن عبدويه ففتك بهم، لكن أهل حمص عادوا ووثبوا بواليهم محمد بن عبدويه سنة إحدى وأربعين ومائتين وأعانهم النصارى، فقاتلهم، وأنجده صالح أمير دمشق، فقتل رجلين من رؤسائهم. وأمره المتوكل بإخراج النصارى منها، وهدم كنائسهم، ففعل ذلك[4].

فداء المسلمين: وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم بعد أن قتلت تدورة ملكة الروم من أسرى المسلمين اثني عشر ألفاً، فإنها عرضت النصرانية على الأسرى فمن أبي منهم قتلته، ثم أرسلت تطلب المفاداة لمن بقي منهم، فوقع الفداء على نهر اللامس، فكان أسرى المسلمين من الرجال سبعمائة وخمسة وثمانين رجلاً، ومن النساء مائة وخمساً وعشرين امرأة[5].

الزلازل: في سنة خمس وأربعين ومائتين عمت الزلازل الدنيا، فأخربت القلاع والمدن والقناطر، وهلك خلق بالعراق والمغرب، وسقطت من إنطاكية نيف وتسعون برجاً، وسمع من السماء أصوات هائلة، وهلك أكثر أهل اللاذقية تحت الردم، وامتدت الزلازل إلى خراسان ومات خلائق منها. وأمر المتوكل بثلاثة آلاف

(١) مدينة بأرمينية تتاخم أران (معجم البلدان ٢/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩.
(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٢٣١ ـ ٢٤٠ ص ٢١ ـ ٢٢، والكامل ٥/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٢٣١ ـ ٢٤٠ ص ٢٥ ـ ٢٦ والكامل ٥/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.
(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٢٤١ ـ ٢٥٠ ص ٥، والكامل ٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
(٥) الكامل ٥/ ٢٩٥.

ألف درهم للذين أصيبوا بمنازلهم. وزلزلت مصر أيضاً وغارت عيون مكة[1].

الأندلس: وفي هذه السنة خرج المجوس من بلاد الأندلس في مراكب إلى بلاد الإسلام، فأمر محمد بن عبد الرحمن صاحب بلاد المسلمين بإخراج العساكر إلى قتالهم، فدخل المجوس إشبيلية وأحرقوا الجامع، وعاثوا بالبلاد فساداً وعند انصرافهم لقيتهم مراكب محمد فقاتلوهم فأحرقوا مركبين من مراكب الكفار وأخذوا مركبين آخرين، ثم قاتلوا قتالاً عنيفاً فقتلوا جماعة من المسلمين ثم عادوا إلى بلادهم[2].

مقتل الخليفة: تآمر المنتصر ابن المتوكل على الله مع جماعة من الأمراء الأتراك على قتل أبيه، لإهانته له ولعزمه على خلعه من البيعة وتقديم المعتز بالله فدخل الأتراك على المتوكل ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال ويقال من شعبان من هذه السنة، فابتدروه بالسيوف فقتلوه سنة سبع وأربعين ومائتين، ثم ولوا بعده ولده المنتصر[3].

أهم الوفيات في عهده

في سنة ثلاث وأربعين ومائتين توفي يحيى بن معين أحد كبار أئمة الجرح والتعديل، وأستاذ أهل هذه الصناعة في زمانه. وفي سنة أربع وثلاثين ومائتين توفي علي بن عبدالله بن جعفر المديني شيخ البخاري وصاحب كتاب العلل، وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين توفي أبو بكر بن أبي شيبة المحدث أحد الأعلام وأئمة الإسلام صاحب المصنف. وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين توفي إسحاق بن راهوية أحد الأعلام وعلماء الإسلام والمجتهدين والمحدثين. وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين توفي عثمان بن أبي شيبة صاحب التفسير والمسند المشهور. وفيها توفي أحمد بن عاصم الأنطاكي أحد العباد الزهاد من طبقة الحارث المحاسبي. وفي سنة أربعين ومائتين توفي أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء بالقيروان. وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين توفي الإمام المحدث الفقيه المجتهد أحمد بن حنبل

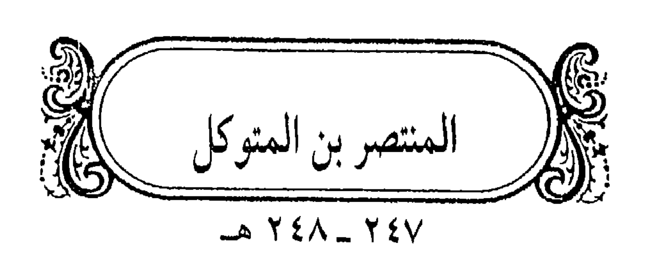
---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٢٤١ ـ ٢٥٠ ص ١٤ ـ ١٥.

(٢) الكامل ٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

صاحب المنصب الحنبلي وكتاب المسند توفي بعد مرض وحمى أصابته وفي سنة اثنين وأربعين ومائتين توفي الحارث بن أسد المحاسبي أحد أئمة الصوفية. وفيها توفي حرملة بن يحيى التجيبي صاحب الإمام الشافعي. وفي سنة أربع وأربعين ومائتين توفي الوزير محمد بن عبد الملك الزيات. وفي سنة خمس وأربعين ومائتين توفي ذو النون المصري أحد المشايخ المشهورين وأحد من روي الموطأ عن الإمام مالك. وفي سنة ست وأربعين ومائتين توفي أبو عمرو الدوري أحد كبار القراء المشاهير. وفيها مات دعبل بن علي الخزاعي الشاعر الماجن البليغ في المدح وفي الهجاء. وفيها مات أحمد بن أبي الحواري الغطفاني أحد العلماء الزهاد المشهورين.



المنتصر بن المتوكل

٢٤٧ ـ ٢٤٨ هـ

نسبه وحياته: هو محمد بن جعفر «المتوكل على الله» ابن المعتصم بالله محمد بن هارون الهاشمي العباسي أبو جعفر وقيل أبو عبدالله الملقب بالمنتصر بالله. وأمه أم ولد رومية اسمها حَبَشية.

وكّل بعض الأتراك بقتل أبيه كما تقدم، فقيل كان يقول: يا بغا أين أبي؟ من قتل أبي؟ ويسب الأتراك ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء. وكان يقول لأمه في مرضه الذي مات منه: ذهبت يا أماه في الدنيا والآخرة، وعاجلت أبي فعوجلت.

من أقواله: والله ما عز ذو باطل قط، ولو طلع القمر من جبينه، ولا ذل ذو حق قط ولو أصفق العالم عليه.

تولّيه الخلافة: حين قتل المتوكل على الله بويع للمنتصر بالخلافة في الليل، فلما كان الصباح من يوم الأربعاء رابع شوال، أخذت له البيعة من العامة، وبعث إلى أخيه المعتز فأحضره إليه فبايعه المعتز، وقد كان المعتز هو ولي العهد من بعد أبيه، ولكنه أكرهه وخاف فسلم وبايع. فلما أخذت البيعة له كان أول ما تكلم به أنه أتهم الفتح بن خاقان على قتل أبيه. وكانت البيعة له بالمتوكلية، فأقام بها عشرة أيام ثم تحول هو وجميع قواده وحشمه منها إلى سامرا.

خلع المعتز والمؤيد: لما استقامت الأمور للمنتصر ألحَّ عليه أحمد بن الخصيب، ووصيف التركي، وبغا في خلع أخويه المعتز والمؤيد، خوفاً من موته قبل المعتز، فيهلكهم المعتز. فلما جاءتهم الرسل بالخلع، أجاب المؤيد وامتنع المعتز، ثم أجاب. وبعد ذلك أحضرهما المنتصر وأبلغهما أن خلعهما ليست رغبته

ولكنه خاف عليهما الأتراك، فأكبا عليه فقبلا يده وضمهما إليه وانصرفا وكان ذلك سنة ثمان وأربعين ومائتين[1].

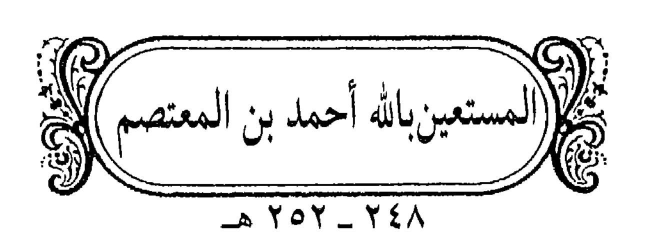
وفاة المنتصر بالله: في أواخر صفر من هذه السنة عرضت للمنتصر علة كان فيها حتفه، قيل الخوانيق، فمات يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر من هذه السنة وقت صلاة العصر، عن خمس وعشرين سنة. وقد مكث بالخلافة ستة أشهر لا أزيد منها.

أهم الوفيات في عهده

مات سنة سبع وأربعين ومائتين أبو عثمان المازني النحوي، شيخ النحاة في زمانه، وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين توفي أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد الجشمي النحوي اللغوي صاحب المصنفات الكثيرة.

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٢٤١ ـ ٢٥٠ ص ٢٠ ـ ٢١، والكامل ٥/ ٣٠٩ ـ ٣١٠.



المستعين بالله أحمد بن المعتصم

٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ

نسبه وحياته: هو أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله بن الرشيد هارون بن المهدي، وهو أخو المتوكل، وأمه أم ولد اسمها مخارق.

ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين. وكان مليحاً أبيض، بوجهه أثر جدري، ألثغ بالسين. وكان خيّراً بليغاً وهو أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار، وصغر القلانس، وكانت قبله طوالاً.

تولّيه الخلافة: لما مات المنتصر اجتمع القوّاد الأتراك وتشاوروا وقالوا: متى وليتم أحداً من أولاد المتوكل لا يبقى منا باقية، فقالوا: ما لها إلاّ أحمد بن المعتصم ولد أستاذنا، فبايعوه وله ثمان وعشرون سنة[1].

الفتنة: في سنة ثمان وأربعين ومائتين خرجت على المستعين بالله شرذمة من الأتراك يريدون تولية المعتز، فالتف عليهم خلق. وقام بنصر المستعين جمهور الجيش، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً فقتل خلق من الفريقين. وانتهبت أماكن كثيرة من بغداد، ثم استقر الأمر للمستعين.

الفتنة بين الأتراك: في منتصف ربيع الثاني من سنة تسع وأربعين ومائتين وقعت فتنة بين الأتراك، وذلك أن المستعين قد فوض أمر الخلافة والتصرف في أموال بيت المال إلى ثلاثة وهم: أتامش التركي، وشاهك الخادم، وأم الخليفة، فأسرف أتامش في صرف الأموال حتى لم يبق شيئاً ببيت المال، فغضب الأتراك من

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الخلفاء ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩، وتاريخ الطبري ١١/ ١٤٦ ـ ١٥٠، والكامل ٥/ ٣٣٣، وشذرات الذهب ٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٥١ ـ ٢٦٠ ص ٥٤ ـ ٥٦.

ذلك وغاروا منه، فاجتمعوا عليه وأحاطوا بقصر الخلافة، فأخذوا أتامش صاغراً فقتلوه وانتهبوا أمواله[1].

ظهور يحيى المطلبي: في سنة خمسين ومائتين ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقتل حين أصطف جيشه وجيش محمد بن عبدالله بن طاهر من قبل الخليفة.

الحسن بن زيد العلوي: في رمضان خرج الحسن بن زيد بن محمد الحسني بطبرستان واستولى على آمل، وجبى الخراج، وامتد سلطانه إلى الري، وهمذان، والتجأ إليه كل من يريد الفتنة والنهب، واستفحل أمره، فالتقى بجيش سليمان بن عبدالله أمير تلك الناحية فانهزم سليمان هزيمة منكرة. والتقى بجيش محمد بن عبدالله ابن طاهر فانهزم أمام الحسن مرتين[2].

خروج الحسين بن أحمد: في سنة إحدى وخمسين ومائتين خرج الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الأرقط عبدالله بن زيد العابدين بقزوين، فغلب عليها في أيام فتنة المستعين. وخرج معه أحمد بن عيسى العلوي، فاجتمعا على أهل الري، وقتلا بها خلقاً كبيراً، وأفسدوا وعاثوا، وسار لقتالهما جيش، فأسروا أحدهما وقتل الآخر[3].

قتل باغر التركي: وفيها اجتمع رأي المستعين وبغا الصغير ووصيف على قتل باغر التركي، وكان من قواد الأمراء الكبار الذين قتلوا المتوكل، فقتله وصيف وبغا[4].

بيعة المعتز: وفي هذه السنة بايع أهل سامراء المعتز بعد إخراجه من السجن، واستحوذ على حواصل بيت المال بها، فلما علم المستعين بذلك حصَّن بغداد وأعد العدة للحصار. وسار جيش المعتز في خمسة آلاف من الأتراك فحاصروا بغداد، فلما ضاق الأمر أقنع محمد بن عبدالله بن طاهر المستعين بالله

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٣ ـ ٤، والكامل ٥/ ٣١٣ ـ ٣١٤.
(٢) الكامل ٥/ ٣١٦ ـ ٣١٧، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٤١ ـ ٢٥٠ ص ٢٩.
(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٢٥١ ـ ٢٦٠ ص ٥ ـ ٦، والبداية والنهاية ١١/ ٩ ـ ١٠.
(٤) الكامل ٥/ ٢١٨ ـ ٢١٩، والبداية والنهاية ١١/ ٧.

بالتنحي عن الخلافة لصالح المعتز، وكان يميل إلى المعتز، وشهد على ذلك الفقهاء والقضاة والقواد[1].

خلافة المعتز: في سنة اثنين وخمسين ومائتين خلع المستعين نفسه من الخلافة وبايع للمعتز بالله، وخطب ببغداد للمعتز يوم الجمعة لأربع خلون من المحرم وأخذ له البيعة على كل من بها من الجند وأقام المستعين بالبصرة.

أهم الوفيات في عهده

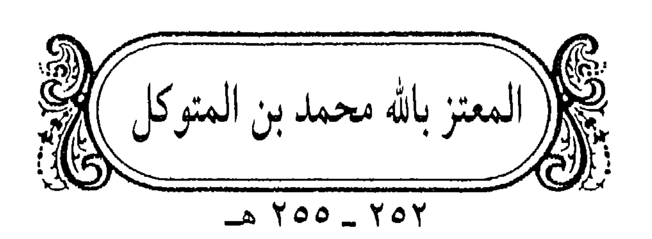
في سنة تسع وخمسين ومائتين توفي علي بن الجهم القرشي الخراساني ثم البغدادي، أحد الشعراء المشهورين وفي سنة إحدى وخمسين ومائتين توفي حميد بن زنجويه صاحب كتاب الأحوال.

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٨ ـ ٩.

خلفاء العصر العباسي الثاني

٨ ـ المعتصم
- ٩ ـ الواثق
  - ١٤ ـ المهتدي
- ١٠ ـ المتوكل
  - المؤيد
  - ١١ ـ المنتصر
  - ١٣ ـ المعتز
  - الموفق
    - ١٨ ـ المقتدر
      - ٢٠ ـ الراضي
      - ٢١ ـ المتقي
        - ٢٥ ـ القادر
          - ٢٦ ـ القائم
            - ٢٧ ـ المقتدي
              - ٢٨ ـ المستظهر
                - ٢٩ ـ المسترشد
                  - ٣٠ ـ الراشد
                - ٣١ ـ المقتفي
                  - ٣٢ ـ المستنجد
                    - ٣٣ ـ المستضيء
                      - ٣٤ ـ الناصر
                        - ٣٥ ـ الظاهر
                          - ٣٦ ـ المستنصر
                            - ٣٧ ـ المستعصم
      - ٢٣ ـ المطيع
        - ٢٤ ـ الطائع
    - ١٩ ـ القاهر
    - ١٧ ـ المكتفي
      - ٢٢ ـ المستكفي
  - ١٥ ـ المعتمد
- محمد
  - ١٢ ـ المستعين



المعتز بالله محمد بن المتوكل

٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ

نسبه وحياته: هو محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد الهاشمي العباسي أبو عبدالله الملقب «المعتز بالله». وأمه أم ولد رومية اسمها قبيحة.

ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ولم ينل الخلافة قبله أحد أصغر منه.

كان المعتز بالله مستضعفاً مع الأتراك وهم سبب خلعه وسبب وفاته أيضاً كما سيأتي.

خلع المؤيد: في رجب من سنة اثنين وخمسين ومائتين خلع المعتز أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية العهد وحبسه، ولما كان يوم الجمعة خطب بخلعه وأمره أن يكتب كتاباً على نفسه بذلك، وكانت وفاته بعد ذلك بخمسة عشر يوماً..

مقتل المستعين: في شوال كتب المعتز إلى نائبه محمد بن عبدالله بن طاهر يأمره بتجهيز جيش نحو المستعين، فجهز أحمد بن طولون التركي، فوافاه فأخرجه لست بقين من رمضان، فقدم به القاطول لثلاث مضين من شوال ثم قتل، فقيل ضرب حتى مات، وقيل بل غرق في دجيل، وقيل بل ضربت عنقه[1].

قتل وصيف: في سنة ثلاث وخمسين ومائتين قتل وصيف، وكان سبب قتله أن الأتراك والفراغنة والأشروسنية شغبوا وطلبوا أرزاقهم فخرج إليهم بغا ووصيف وسيما فكلمهم وصيف فقال لهم: خذوا التراب ليس عندنا مال. ومضى سيما وبغا

(١) البداية والنهاية ١١/ ١١، والكامل ٥/ ٣٣٣.

إلى المعتز يطلبون منه المال، وبقي وصيف في أيديهم فوثب عليه بعضهم فضربه بالسيف وآخر بالسكين فقتلوه[1].

في سنة أربع وخمسين ومائتين ولي أحمد بن طولون الديار المصرية، وهو باني الجامع المشهور بها وفيها أيضاً أمر الخليفة بقتل بغا الشرابي ونصب رأسه بسامرا ثم ببغداد وأخذت أمواله.

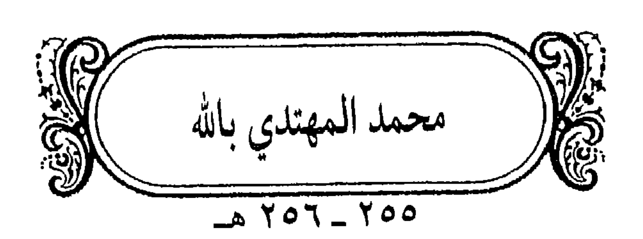
خلع المعتز وموته: في سنة خمس وخمسين ومائتين في يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب خلع الخليفة المعتز بالله، حيث اجتمع إليه الجند يطلبون أرزاقهم ولم يكن له مال، فسأل أمه أن تقرضه فلم تعطه، فاجتمع الأتراك على خلعه ودخل إليه بعضهم فتناولوه بالدبابيس يضربونه ويجرونه، وما زالوا عليه بأنواع العذاب حتى خلع نفسه من الخلافة، ثم سلموه إلى من يعذبه، ثم أدخلوه في سرداب وسدوا عليه السرداب فمات، وكانت مدة خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً[2].

أهم الوفيات في عهده

في سنة ثلاث وخمسين ومائتين توفي سري السقطي أحد كبار مشايخ الصوفية تلميذ معروف الكرخي. وفي سنة أربع وخمسين ومائتين توفي أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الأثني عشرية، وهو والد الحسن بن علي العسكري. وفي سنة خمس وخمسين ومائتين مات الجاحظ المتكلم المعتزلي صاحب المصنفات منها الحيوان والبيان والتبين.

(١) الكامل ٥/ ٣٣٥.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٦، والكامل ٥/ ٣٤١ ـ ٣٤٢.



محمد المهتدي بالله

٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ

نسبه وحياته: هو محمد بن الواثق بالله هارون بن المعتصم محمد بن الرشيد العباسي الهاشمي، أبو إسحاق الملقب بالمهتدي بالله. وأمه أم ولد تسمى وردة.

ولد في خلافة جده سنة بضع وعشرين ومائتين. كان قد اطَّرح الملاهي، وحرم الغناء، وحسم أصحاب السلطان عن الظلم، وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين، يجلس بنفسه ويُجلس الكتاب بين يديه فيعملون الحساب، وكان لا يخل بالجلوس الإثنين والخميس.

تولّيه الخلافة: بعد خلع المعتز بالله نفسه، أراد الأتراك بيعة المهتدي بالله، فما قبل بيعة أحد حتى أُتي بالمعتز بالله، فلما رآه قام له وسلم عليه المعتز بالخلافة، ثم بايعه الناس الخاصة والعامة. وذلك يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب[1].

الفتنة ببغداد: في آخر رجب من سنة ست وخمسين ومائتين وقعت في بغداد فتنة هائلة، ووثبوا على نائبها سليمان بن عبدالله بن طاهر، ودعوا إلى بيعة أحمد بن المتوكل أخي المعتز، وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بسامرا من بيعة المهتدي، وقتل من أهل بغداد وغرق منهم خلق كثير، فلما بلغهم بيعة المهتدي سكنوا وذلك في السابع من شعبان[2].

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام حوادث ٢٥١ ـ ٢٦٠ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨، والبداية والنهاية ١١/ ١٧ ـ ١٨، والكامل ٥/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨، وتاريخ الخلفاء ص ٣٦١ ـ ٣٦٣، وشذرات الذهب ٢/ ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ١٧.

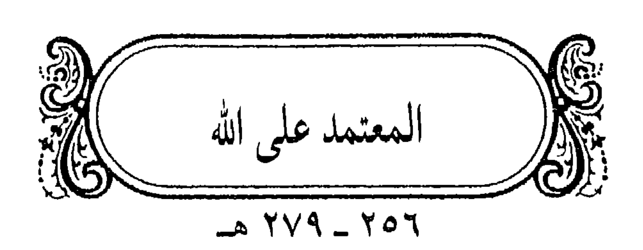
الأتراك: أراد الخليفة أن يضرب الأتراك ببعضهم، فكتب إلى بايكباك أن يقتل موسى بن بغا ومفلحاً أو يمسكهما، ويكون هو الأمير على الأتراك كلهم، فأعلم بايكباك موسى بكتاب الخليفة. واتفقوا أن يسير بايكباك إلى سامراء ويقتل الخليفة. فلما دخل بايكباك على الخليفة أعلمه أنه جاء لينصره، لكن الخليفة غضب لعدم طاعة بايكباك في قتل موسى ومفلح فحبسه، فجاء موسى ومفلح بجيشهما فأحاطوا بالمهتدي، فقتل المهتدي بايكباك، وأرسل إلى الفراغنة والمغاربة والأشروسنيه، فجاؤوا واقتتلوا، فقتل من الأتراك أربعة آلاف وذلك في رجب.

قتل المهتدي: وخرج المهتدي بالله والمصحف في عنقه وهو يقول: أيها الناس انصروا خليفتكم. وحمل عليه طغوبا أخو بايكباك في خمسمائة، فمال الأتراك الذين مع الخليفة إلى طغوبا، والتحمت الحرب، فانهزم جمع الخليفة وكثر فيهم القتل، فولى المهتدي منهزماً وأراد الهرب، فرموه بالسهام، ثم أتوا به فقتلوه. توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب وكانت مدة خلافته أحد عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً. وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة[1].

أهم الوفيات في عهده

في سنة ست وخمسين ومائتين توفي محمد بن كرَّام الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية.

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٢٥١ ـ ٢٦٠ ص ١٩ ـ ٢١، وتاريخ الطبري ١١/ ٢٠٢ ـ ٢١٢، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥، والكامل ٥/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧.



المعتمد على الله

٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ

نسبه وحياته: هو أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي، الملقب بالمعتمد على الله. وأمه رومية اسمها فتيان.

ولد سنة تسع وعشرين ومائتين بسرَّمن رأى. وهو أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به، فاستولى أخوه الموفق على الأمور، وقوي عليه، لانهماك المعتمد باللذات.

البيعة بالخلافة: بويع المعتمد على الله بالخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب في سنة ٢٥٦ هـ في دار الأمير يارجوخ وذلك بعد أن أحضر من الجوسق المكان الذي كان محبوساً فيه وذلك قبل خلع المهدي بأيام. ثم كانت بيعة العامة يوم الإثنين لثمان مضت من رجب(١).

أخبار الزنج: كان الزنج قد أحاطوا بالبصرة وحاولوا الدخول إليها. فنُدب لقتالهم سعيد الحاجب، لكن الزنج دخلوا البصرة في العشرين من رجب سنة ٢٥٦، فقتلوا وفتكوا، وفعلوا بالأهواز والأبلة أكثر مما فعلوا بالبصرة. وتابع الزنج في تخريب البصرة في سنة سبع وخمسين ومائتين حتى أحرقوها. فحاربهم سعيد الحاجب، واستخلص منهم كثيراً مما أخذوه، ثم غلبوه وقتلوا من جنده مقتلة

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١١/ ٢٣ ـ ٢٤ و٦٥، وتاريخ الخلفاء ص ٣٦٣ ـ ٣٦٦، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩، وشذرات الذهب ٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤، والكامل في التاريخ ٥/ ٣٥٨ و٣٧٣، وتاريخ الطبري ١/ ٣٤١.

عظيمة، وهرب أهل البصرة، فرد السلطان أمر البصرة إلى منصور بن جعفر الخياط بعد سعيد الحاجب[١].

الزنج: وفي سنة ثمان وخمسين ومائتين عقد المعتمد على الله لأخيه الموفق أبي أحمد على الشام ومصر، ثم جهزه ومفلحاً لحرب الزنج. فكانت وقعة بين الزنج ومنصور بن جعفر أولاً قتل فيها منصور. فسار الموفق في جيش كثير جداً فانهزم جند الزنج، فلحقوا به وعليهم مفلح. فاقتتلوا أشد قتال وظهر مفلح أولاً حتى جاءه سهم في صدره فمات، فانهزم جيش المسلمين وانحازوا إلى الموفق. ثم بعث الموفق بجيش إلى قائد الزنج يحيى، فنصرهم الله تعالى وأسر يحيى وقتل عامة أصحابه، وبعث به إلى المعتمد فضربه ثم ذبحه وأحرق جثته.

الوباء بالعراق والزلازل: وفي هذه السنة وقع الوباء في كور دجلة فهلك خلق كثير ببغداد وواسط وسامرا وغيرها، ومات خلق من عسكر الموفق.

وفيها أيضاً كانت الزلازل بالصيمرة[٢] سقطت منها المنازل، ومات تحت الردم ألوف من الناس[٣].

الزنج: كان صاحب الزنج قد نزل البطيحة، وأغرق الأرض حوله بالماء وتحصن، فهجم عليه الموفق، فقتل من أصحابه خلقاً، وحرق أكواخه، واستنقذ من النساء خلقاً كثيراً. فهرب الخبيث إلى الأهواز فقتل خمسين ألفاً، وسبى أربعين ألفاً، وأهلك الأمة، فسار لحربه موسى بن بغا، فأقام يحاربه بضعة عشر شهراً، وقتل خلق من الطائفتين[٤] وكان ذلك سنة تسع وخمسين ومائتين.

الأندلس: وفي هذه السنة سار محمد بن عبد الرحمن الأموي صاحب

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٢٥١ ـ ٢٦٠ ص ٢٢ ـ ٢٤، والبداية والنهاية ١١/ ٢٨ ـ ٢٩ والكامل ٥/ ٣٥٨ ـ ٣٦٣.

(٢) الصيمرة: بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان وهي للقاصد من همذان إلى بغداد عن يساره (معجم البلدان ٣/ ٤٣٩).

(٣) الكامل ٥/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٥١ ـ ٢٦٠ ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) شذرات الذهب ٢/ ١٣٩، والبداية والنهاية ١١/ ٣١، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٥١ ـ ٢٦٠ ص ٢٩.

الأندلس إلى طليطلة فنازلها وحاصرها، وكان أهلها خالفوه، فطلبوا الأمان فأمنهم وأخذ رهائنهم.

وفيها عاد عمرو بن عمروس إلى طاعة محمد بن عبد الرحمن، وكان مخالفاً عليه عدة سنين، فولاه مدينة أمشقه[١].

البيعة للمفوض والموفق: في سنة إحدى وستين ومائتين بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه المفوض إلى الله جعفر، وولاه المغرب والشام والجزيرة وأرمينية، وضم إليه موسى بن بغا.

وولى أيضاً أخاه الموفق العهد، بعد ابنه المفوض إلى الله، وولاه المشرق والعراق وبغداد والحجاز واليمن وفارس وأصبهان والري وخراسان وطبرستان وسجستان والسند، وعقد لكل واحد منهما لواءين أبيض وأسود، وشرط إن حدث به حدث أن الأمر لأخيه إن لم يكن ابنه جعفر قد بلغ[٢].

الزنج بالأهواز: وفيها ولى المعتمد أبا الساج إمرة الأهواز، وحرب صاحب الزنج. فبعث إليه صاحب الزنج علي بن أبان، وبعث إليه أبو الساج صهره عبد الرحمن، فاقتتلوا وكانت وقعة عظيمة، قتل فيها القائد عبد الرحمن، ودخل الزنج الأهواز فقتلوا وسبوا[٣].

برقة: وفي هذه السنة عصى أهل برقة على أحمد بن طولون، وأخرجوا أميرهم محمد بن الفرج الفرغاني، فبعث ابن طولون جيشاً عليه غلامه لؤلؤة وأمره بالرفق بهم إن انقادوا، لكن أهل برقة قاتلوا، فنصب لؤلؤة عليهم المجانيق، وجد في قتالهم، فطلبوا الأمان فأمنهم. فدخل برقة وأسر رؤساءهم[٤].

أفريقية: وفي هذه السنة توفي محمد بن أحمد بن الأغلب صاحب أفريقية،

---

(١) الكامل ٥/ ٣٧.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٦ ـ ٧، والبداية والنهاية ١١/ ٣٢ وتاريخ الخلفاء ص ٣٦٤.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٦، والبداية والنهاية ١١/ ٣٢، والكامل ٦/ ٢. وتاريخ الطبري ١١/ ٢٣٥.

(٤) الكامل ٦/ ٥.

وكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوماً، ولما حضره الموت عقد لابنه أبي عقال العهد، واستخلف أخاه إبراهيم لئلا ينازعه، وأمره أن يتولى الأمر إلى أن يكبر ولده. لكن أهل القيروان طالبوا إبراهيم أن يتولى الأمر، فأجاب، وانتقل إلى قصر الإمارة.

يعقوب بن الليث الصفار[1]: في سنة اثنين وستين ومائتين اشتهر أمر يعقوب الصفار بعد أن أهلكت فرقته الخوارج وغزا الهند وسجستان. ومالت الديلم سنة إحدى وستين ومائتين إلى الصفار. وسار إلى فارس فالتقى هو وابن واصل فهزمه يعقوب وأخذ من قلعة له أربعين ألف ألف درهم.

فلما أعيى الخليفة أمره، كتب إليه بولاية خراسان وجرجان، فلم يرض بذلك وزحف إليه بجيش فكان يخرج من بلد إلى أخرى، ثم عهد بحربه لأخيه الموفق ومعه موسى بن بغا، فالتقى الجمعان بدير عاقول، واقتتلوا قتالاً شديداً، فهزم الموفق أولاً، ثم هزم يعقوب وولى أصحابه مدبرين. ثم عاد المعتمد إلى سامراء، وصار يعقوب إلى فارس[2].

الزنج: وفي هذه السنة أيضاً دخل الزنج البطيحة ونهبوها وقتلوا وأسروا، لانشغال جيوش السلطان عنها.

وفيها أيضاً كانت وقعة بين الزنج وبين الأمير أحمد بن ليثويه، صاحب مسرور البلغي، فقتل خلقاً كثيراً من الزنج، وأسر قائدهم الذي يقال له: الصعلوك[3].

وفي سنة أربع وستين ومائتين ولي محمد المولد واسطاً، فحارب الزنج فهزمهم أولاً بعد حروب طويلة، ثم غلبوه بعد ذلك، ودخلوا واسطاً، فهرب أهلها حفاة عراة، ونهبها الزنج وأحرقوها[4].

---

(١) الصفار: كان يعمل في تصفير الأواني النحاسية.

(٢) تاريخ الطبري ١١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٩، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٨ ـ ٩.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٩ ـ ١٠، والكامل ٦/ ٨ ـ ١٠.

(٤) الكامل ٦/ ١٩ ـ ٢٠ والبداية والنهاية ١١/ ٣٦.

ابن طولون: وفي سنة خمس وستين ومائتين خرج أحمد بن طولون أمير مصر إلى الشام، فحاصر بأنطاكية «سيما الطويل» فأخذها منه. واجتمع لابن طولون ملك الشام بكماله بعد موت أماجور عامل دمشق مع الديار المصرية. وكان قد استخلف على مصر ابنه العباس، فلما بلغه قدوم أبيه عليه من الشام، أخذ ما كان في بيت المال، وخرج مع جماعة إلى برقة خارجاً عن طاعة أبيه، فبعث إليه ابن طولون من أخذه ذليلاً حقيراً، وردوه إلى مصر وقتل جماعة من أصحابه[١].

محمد المولد ووفاة الصفار: وفيها لحق محمد المولد بيعقوب بن الليث، فأمر الخليفة بنهب أمواله وأملاكه[٢]. ثم مات بعد ذلك يعقوب بن الليث المتغلب على خراسان وغيرها، توفي بالأهواز فخلفه أخوه عمرو بن الليث ودخل في الطاعة فولي خراسان وفارس وأصبهان وسجستان وكرمان والسند[٣].

الزنج: في سنة سبع وستين ومائتين دخلت الزنج واسطاً فاستباحوها، فجهز الموفق ابن أبا العباس في جيش عظيم فكسرهم. ثم التقاهم ثانية بعد أيام فهزمهم وفرقهم. ثم واقعهم بعد ذلك فهزمهم أيضاً وفرّقهم، ثم وقع في قلوبهم رعب من أبي العباس فلجأوا إلى الحصون. وحاربهم في المراكب وفي حصونهم فهزمهم.

وبعد ذلك جرت عدة حروب مع قواد الزنج في طهيثا ثم الأهواز ثم جنديسابور ثم تستر فهزمهم الموفق بنفسه جميعاً. ثم كتب إلى زعيم الزنج يدعوه إلى التوبة إلى الله والإنابة إليه مما فعل من سفك الدماء وسبي الحريم وانتحال النبوة والوحي، فما زاده الكتاب إلّا تجبراً وعتواً.

وفي شوال كانت وقعة كبيرة بين أبي العباس وقائد الزنج، انهزم فيها الزنج، ودخل الموفق بجنوده مدينتهم وأحرقوا المجانيق، وانهزم الخبيث وأصحابه، واستأمن إلى الموفق خلق من القواد والفرسان[٤].

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٣٧. وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٤٢.

(٢) المصدرين السابقين.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٣٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ١٦.

(٤) شذرات الذهب ٢/ ١٥٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٢١ ـ ٢٥، والكامل ٦/ ٢٦ ـ ٣٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي سنة ثمان وستين ومائتين استأمن إلى الموفق جعفر بن إبراهيم السجان، صاحب أسرار العلوي وأحد خواصه، واستأمن بعده خلق كثير، وتتابع الناس في الخروج عن طاعة قائد الزنج. وهدم الموفق من سور مدينة الزنج «المختارة» أماكن، وضيق عليهم، وفي رجب قتل أكبر قواد الزنج «بهبوذ». ولما علم الخبيث بإرادة ابنه الهروب إلى الموفق قتله. وظفر أبو العباس بن الموفق بجماعة من الأعراب كانوا يجلبون الطعام إلى الزنج فقتلهم[١].

وفي سنة تسعة وستين ومائتين خرب الموفق بالله شيئاً كثيراً من مدينة صاحب الزنج، وتمكنت الجيوش من العبور إلى البلد، لكن جاءه سهم في صدره، فاضطرب الحال لذلك، لكن الله عافاه بعد أشهر. وأعاد حصار المختارة حتى فتح المدينة الغربية وخرب قصور صاحب الزنج ودور امرأته، واستنقذ من نساء المسلمين وصبياتهم خلقاً كثيراً، واستمر حتى أخذ الموفق المدينة وهرب الخبيث وترك نساءه وأولاده وأمواله[٢].

وضع الخليفة: ولما رأى الخليفة المعتمد أن أخاه أبا أحمد الموفق قد استحوذ على أمور الخلافة، وصار هو الحاكم الآمر الناهي، وهو الذي يولي ويعزل، كتب إلى أحمد بن طولون يشكو إليه ذلك، فكتب إليه ابن طولون أن يتحول إليه إلى مصر ووعده بالنصر. فركب في جمادى الأولى ومعه جماعة من القواد، فلما اجتاز الخليفة بإسحاق بن كنداج نائب الموصل وعامة الجزيرة اعتقله عنده وعاتب الخليفة ولامه، ثم ألزمه العود إلى سامرا ومن معه من الأمراء، فرجعوا إليها في غاية الذل والإهانة. ولما بلغ الموفق ذلك شكر سعي إسحاق وولاه جميع أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد أفريقية[٣].

مقتل صاحب الزنج: في سنة سبعين ومائتين وبعد هروب علي بن محمد المدعي أنه علوي صاحب الزنج، وصلت إمدادات إلى الموفق مع لؤلؤ غلام أحمد بن طولون مخالفاً لسيده، فبعثه الموفق لقتال صاحب الزنج أمامه، ثم لحق

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٢٦ ـ ٢٧، والكامل ٦/ ٣٧، والبداية والنهاية ١١/ ٤٢.
(٢) البداية والنهاية ١١/ ٤٢ ـ ٤٣، والكامل ٦/ ٤٠ ـ ٤٨.
(٣) البداية والنهاية ١١/ ٤٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٣٠ ـ ٣٢.

به بجيش كثيف جداً، فحاصروه، ووقع قتال شديد إلى أن جاء فارس من أصحاب لؤلؤ إلى الموفق برأس الخبيث في يده، فلم يصدقه، فعرضه على جماعة فعرفوه.

واستتاب من بقي من أصحاب صاحب الزنج، وأمنهم الموفق ونادى في الناس بالأمان. ودخل أبو العباس بن الموفق بغداد ومعه رمح عليه رأس الخبيث، فدخلها لإثني عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة.

وفاة ابن طولون: في هذه السنة في ذي القعدة توفي أمير الديار المصرية والشامية أحمد بن طولون إثر مرض ألم به من أكل لبن الجواميس. وكان رجلاً عاقلاً حازماً، كثير المعروف والصدقة، يحب العلماء وأهل الدين. وتولّى الأمر من بعده ابنه خمارويه[١].

عزل عمرو بن الليث: في سنة إحدى وسبعين ومائتين عزل المعتمد على الله عمرو بن الليث، وولى خراسان محمد بن طاهر، وكان محمد ببغداد، فاستناب عنه على نيسابور رافع بن هرثمة[٢].

خمارويه والموفق: وفيها كانت وقعة عظيمة بين خمارويه بن أحمد بن طولون وأبي العباس بن الموفق بأرض فلسطين سميت وقعة الطواحين، انهزم فيها خمارويه إلى مصر، وكان قد نصب لأبي العباس كميناً بواسطة سعيد الأيسر، فحمل على عسكر أبي العباس مع من انضم إليه من عسكر خمارويه وهم منشغلون بجمع الغنائم، فانهزم مولياً إلى دمشق ثم إلى طرسوس. وأرسل سعيد بالبشارة إلى مصر، واستقرت الشام ثانية لخمارويه[٣].

عمرو بن الليث: وفي سنة ست وسبعين ومائتين رضي المعتمد على عمرو بن الليث، وكتب اسمه على الأعلام والأترسة ببغداد، وجعلت له شرطة بغداد.

وفاة الموفق: في المحرم من سنة ثمان وسبعين ومائتين انصرف الموفق من الجبل إلى بغداد مريضاً بالنُّقرُس، وزاد مرضه فأصيب بداء الفيل، وانتفخت

---

(١) الكامل ٦/ ٥٥ ـ ٥٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٢٢٠.

(٣) الكامل ٦/ ٥٨.

رجله، وحضر إليه ابنه وقواده، ومات الموفق يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر، ودفن بالرصافة.

وبايع القواد ابنه أبا العباس المعتضد بالله بولاية العهد بعد المفوض ابن المعتمد. واجتمع إليه أصحاب أبيه[1].

خلع جعفر وولاية المعتضد: وفي المحرم من هذه السنة خلع المعتمد على الله ابنه جعفر من ولاية العهد، وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق، وذلك لتمكن المعتضد من الأمور، ولطاعة الجيش له[2].

وفاة المعتمد: وفيها أيضاً توفي المعتمد على الله ليلة الإثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد. وحمل إلى سامراء فدفن بها. وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر. وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر[3].

أهم الوفيات في عهده

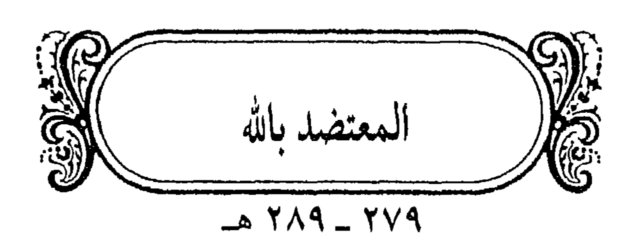
في سنة خمس وستون ومائتين توفي القاضي الزبير بن بكار قاضي مكة. وفيها توفي الإمام محمد بن إسماعيل البخاري. وفي سنة تسع وخمسين ومائتين توفي إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق أبو إسحاق الجوزجاني خطيب دمشق وإمامها وعالمها. وفي سنة إحدى وستين ومائتين توفي مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح. وفيها توفي أبو يزيد البسطامي أحد كبار مشايخ الصوفية. وفي سنة أربع وستين ومائتين توفي عبيدالله بن عبد الكريم الرازي أبو زرعة أحد الحفاظ المشهورين، وكان فقيهاً ورعاً زاهداً عابداً. وفي سنة سبعين ومائتين توفي داود بن علي الأصبهاني البغدادي الفقيه الظاهري إمام أهل الظاهر. وفيها توفي الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي. وتوفي فيها أيضاً ابن قتيبة الدينوري قاضيها، صاحب المصنفات البديعة. وفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين توفي صاحب الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت ولايته أربعاً وثلاثين

(١) الكامل ٦/ ٦٨ ـ ٦٩. وتاريخ الطبري ١١/ ٣٣٧، والبداية والنهاية ١١/ ٦١.

(٢) الكامل ٦/ ٧٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٦١ ـ ٢٨٠ ص ٢٣٧.

(٣) الكامل ٦/ ٧٣، وتاريخ الطبري ١١/ ٣٤١، والبداية والنهاية ١١/ ٦٥.

سنة. وفيها مات ابن ماجة القزويني محمد بن يزيد. وفي سنة أربع وسبعين ومائتين توفي أبو محمد الوراق عبدالله بن أبي سعيد وكان ثقة صاحب أخبار وآداب وملح. وفي سنة خمس وسبعين ومائتين توفي أبو بكر أحمد بن محمد الحجاج المروزي صاحب الإمام أحمد، كان من الأذكياء. وفيها مات أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث صاحب السنن وأحد أئمة الحديث. وفي سنة ست وسبعين ومائتين مات بقي بن مخلد أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ الكبير. وفي سنة سبع وسبعين ومائتين توفي أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز أحد مشاهير الصوفية. وفيها توفي أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس أحد أئمة الحفاظ الأثبات. وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين مات البلاذري المؤرخ أحمد بن يحيى صاحب التاريخ المنسوب إليه.



المعتضد بالله

٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ

نسبه وحياته: هو أحمد بن الموفق بالله طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن المعتضد بن الرشيد الهاشمس العباسي، أو العباس. ولد في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين ومائتين في دولة جَدِّهِ، وأمه أم ولد وكان ذا سياسة عظيمة. وكان قد نشر العدل، ورفع الظلم عن الرعية.

تولّيه الخلافة: بويع له بالخلافة صبيحة موت المعتمد لعشر بقين من رجب من سنة تسع وسبعين ومائتين، وذلك بعد أن خلع المعتمد قبل موته ابنه من ولاية العهد. فاستوزر عبيدالله بن سليمان بن وهب، وولى مولاه بدراً الشرطة في بغداد، وولى عمرو بن الليث إمرة خراسان[١].

رسول خمارويه: وفي سنة تسع وثمانين ومائتين قدم رسول خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر إلى المعتضد، ومعه كثير من الهدايا من الذهب والخيول والجواهر. وتزوج بعد ذلك الخليفة ابنة خمارويه «قطر الندى».

وفي سنة ثمانين ومائتين أمر الخليفة بتوسيع جامع المنصور بإضافة دار المنصور إليه، وغرم عليه عشرين ألف دينار.

وبنى الخليفة أيضاً دار الخلافة في بغداد، وهو أول من بناها فيها، وهو أول من سكنها من الخلفاء إلى آخر دولة بني العباس[٢].

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام حوادث ٢٨١ ـ ٢٩٠ ص ٦١ ـ ٧٠. وتاريخ الخلفاء ص ٣٦٨ ـ ٣٧٥، وشذرات الذهب ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠١، والبداية والنهاية ١١/ ٨٦ ـ ٩٤، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٤٦، والكامل ٦/ ٧٣ ـ ٧٤ و١٠١.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٦٦ ـ ٦٩.

وفاة خمارويه: وفي سنة اثنين وثمانين ومائتين قتل خمارويه في ذي الحجة، عدا أحد الخدام من الخصيان عليه فذبحه وهو على فراشه بدمشق، وذلك أن خمارويه اتهمه بجارية له. مات عن إثنين وثلاثين سنة. فتولى الأمر من بعده ولده هارون بن خمارويه وهو آخر الطولونية[1].

هارون الخارجي: كان أصحاب هارون الشاري الخارجي قد عاثوا في الموصل فساداً. فخرج المعتضد إليهم، وأوكل بهم الحسين بن حمدان، فقتل الحسين منهم جماعة وهرب هارون، ثم أسره بعد ذلك وجاء به إلى المعتضد الذي أخذه إلى بغداد وصلبه هناك[2]. وذلك سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

قتل رافع به هرثمة: خرج عمرو بن الليث من نيسابور فهاجمها رافع بن هرثمة[3] فدخلها. فعاد عمرو وهزم رافع فهرب وأصحابه إلى خوارزم، فأحاط به أمير خوارزم وقتله في سابع شوال، فصفت خراسان لعمرو بن الليث[4].

القرامطة: سنة ست وثمانين ومائتين ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة. وسار إلى البصرة يريد أن يدخلها فحصنها أميرها فلم يستطع دخولها[5].

وفي ربيع الأول من سنة سبع وثمانين ومائتين تفاقم أمر القرامطة، فجهز الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً وأمَّر عليهم العباس بن عمرو الغنوي، وأمره على اليمامة والبحرين ليحارب أبا سعيد هذا، فالتقوا هناك، وكان العباس في عشرة آلاف مقاتل، فأسرهم أبو سعيد كلهم، ولم ينج منهم إلاّ الأمير وحده، وقتل الباقون عن آخرهم صبراً بين يدي أبي سعيد[6].

---

(١) المصدر السابق ١١/ ٧٢، والكامل ٦/ ٨١.

(٢) الكامل ٦/ ٨١ ـ ٨٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٨١ ـ ٢٩٠ ص ١١ ـ ١٢.

(٣) كان المعتضد قد عزله سنة سبع وسبعين عن خراسان، وولى عليها عمرو بن الليث، فبقي رافع بالري.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٢٨١ ـ ٢٩٠ ص ١٤.

(٥) الكامل ٦/ ٩٢ ـ ٩٣، والبداية والنهاية ١١/ ٨١.

(٦) الكامل ٦/ ٩٤ ـ ٩٥، والبداية والنهاية ١١/ ٨٣.

لحرب إسماعيل بن أحمد الساماني صاحب ما وراء النهر، بعد أن ولي المعتضد الصفار بلاد ما وراء النهر. فاقتتلوا فانهزم عمرو. فأخذه أصحاب إسماعيل وسيروه إلى سمرقند، ثم سيّره إسماعيل إلى المعتضد ببغداد، فوصل إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائتين، فحبس وبقي محبوساً حتى قتل خنقاً سنة تسع وثمانين.

القرامطة بالشام: في سنة تسع وثمانين ومائتين ظهر بالشام رجل من القرامطة، وجمع جموعاً من الأعراب، وأتى دمشق وأميرها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، وكانت بينهما وقعات انهزم فيها طغج[1].

القرامطة بالعراق: وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة، فوجه المعتضد إليهم شبلاً غلام أحمد بن محمد الطائي وظفر بهم، وأخذ رئيساً لهم يعرف بأبي الفوارس، فسيره إلى المعتضد، فأمر به فعذب ثم قتل[2].

وفاة المعتضد: وفي هذه السنة في ربيع الآخر توفي المعتضد بالله ليلة الإثنين لثمان بقين منه ولم يبلغ الخمسين، وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً. مات من مرض ألمَّ به. وترك من الأولاد الذكور عليّاً وهو المكتفي، وجعفراً وهو المقتدر، وهارون، ومن البنات إحدى عشرة بنتاً، وقيل سبع عشرة[3].

أهم الوفيات في عهده

في بداية خلافة المعتضد توفي محمد بن عيسى الترمذي، أحد أئمة الحديث وصاحب الجامع الصحيح المشهور بسنن الترمذي. وفي سنة إحدى وثمانين

---

(١) الكامل ٦/ ٩٩ ـ ١٠٠، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

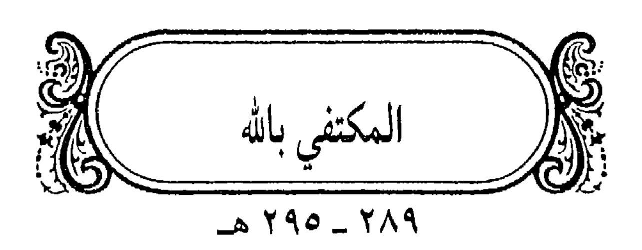
(٢) الكامل ٦/ ١٠٠، وتاريخ الطبري ١١/ ٣٧٢.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٩٤، والكامل ٦/ ١٠٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٩٩. وتاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

ومائتين توفي أبو بكر عبدالله بن أبي الدنيا القرشي الحافظ المشهور بالتصانيف الكثيرة. وفيها توفي الحافظ الكبير ابن المواز الفقيه المالكي.

وفي سنة اثنين وثمانين ومائتين توفي الحافظ العابد الأديب أبو محمد الشعراني. وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين مات الشاعر ابن الرومي. وفيها مات الشاعر البحتري الوليد بن عبادة. وفي سنة خمس وثمانين ومائتين توفي إبراهيم بن إسحاق أبو إسحاق الحربي أحد الأئمة في الفقه والحديث من تلاميذ أحمد بن حنبل. وفيها توفي المبرد محمد ابن يزيد النحوي البصري، إمام في اللغة والعربية. وفي سنة سبع وثمانين ومائتين توفي ابن النبيل أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك المحدث الحافظ القاضي.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المكتفي بالله

٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ

نسبه وحياته: هو علي[1] بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن الخليفة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد القرشي العباسي، أبو محمد، الملقب المكتفي بالله. وأمه تركية اسمها جيجك. ولد في رجب سنة أربع وستين ومائتين، وكان كثير العساكر، كثير المال.

البيعة بالخلافة: بويع للمكتفي بالله عند موت أبيه، وكان غائباً بالرقة، فنهض بأعباء البيعة الوزير أبو الحسن القاسم بن عبيد الله، وكتب له بذلك، فحضر إلى بغداد في سابع جمادى الأولى. نزل المكتفي بدار الخلافة، وخلع على القاسم الوزير سبع خلع، وصير بعض الأماكن مساجد، وأمر برد البساتين والحوانيت التي أخذها أبوه من الناس ليعملها قصراً إلى أهلها، وسار سيرة جميلة، فأحبه الناس ودعوا له[2].

محمد بن هارون: في سنة تسع وثمانين ومائتين كتب أهل الري إلى الأمير محمد بن هارون الذي كان إسماعيل بن أحمد متولي خراسان بعثه لقتال العلوي، وولاه طبرستان. فخلع محمد بن هارون الطاعة، ولبس البياض، وسار إلى الري، وكان واليها أوكرتُمش قد ظلم، فالتقيا فهزمه محمد وقتله، واستولى على الري[3].

---

(١) ليس من الخلفاء من اسمه علي سواه بعد علي بن طالب رضي الله عنه.

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام حوادث ٢٩١ ـ ٣٠٠ ص ٢٠٤ ـ ٢٥٠، وتاريخ الخلفاء ص ٢٧٦ ـ ٣٧٨، وشذرات الذهب ٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٠، والبداية والنهاية ١١/ ١٠٤، والكامل ٦/ ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٢٨١ ـ ٢٩٠ ص ٣٧، والكامل ٦/ ١٠١.

إفريقية: وفي هذه السنة قويت أمور أبي عبد الله الشيعي بالمغرب، فانسلخ صاحب إفريقية من الإمارة وتصوف، ثم خرج فغزا الروم، فركب البحر إليهم إلى صقلية ومنها إلى طبرمين فافتتحها، ثم مرض بالإسهال ومات في ذي القعدة، وكانت ولايته ثمانية وعشرين سنة ونصف، ودفن بصقلية. وتولى ابنه أبو العباس عبدالله الأمر.

أمر القرامطة: في سنة تسعين ومائتين زاد أمر القرامطة وحاصر رئيسهم يحيى بن زكرويه دمشق، فضعف طعج عن مقاومة القرامطة بعد أن قتل كثير من أصحابه. ثم صالحه أهل دمشق على خراج، وغلب على أهل حمص، ثم سار إلى حماة ومعرة النعمان وغيرهما، فقتل أهلها وقتل النساء والصبيان. ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها ولم يبق منهم إلاّ اليسير. ثم سار إلى سلمية[1] فمنعه أهلها، ثم صالحهم وأعطاهم الأمان ففتحوا لها بابها، فقتل كل من فيها.

ثم في رمضان وصل أهل مصر لحرب القرمطي عليهم بدر الحمامي، فهزم القرامطة، وقتل يحيى بن زكرويه وأحرقه بالنار وسط القتال. فنصّب أصحابه أخاه الحسين بن زكرويه، ويسمى صاحب الشامة.

قتل صاحب الشامة: في سنة إحدى وتسعين ومائتين سيّر المكتفي لحرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب، فالتقى به لست خلون من المحرم، والتحمت الحرب، وانهزمت القرامطة، هرب صاحب الشامة، لكنه أسر في أحد البلاد وحمل إلى المكتفي مع كثير من أصحابه، فقتل.

نهاية الدولة الطولونية:

في سنة إحدى وتسعين ومائتين، سير الخليفة محمد بن سليمان في جيش كثيف للقضاء على هارون بن خمارويه، بعد أن قلّ جيشه لقتالهم القرامطة. فسار إلى دمشق، وكان بها بدر الحمامي، فتلقاه فقلده دمشق، ثم سار محمد إلى الرملة.

وفي صفر من سنة اثنين وتسعين ومائتين سار محمد بن سليمان إلى مصر،

---

(١) سلمية: بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين (معجم البلدان ٣/ ٢٤٠).

فتحارب مع جيش هارون، وجرت بينهما وقعات. ثم وقع بين أصحاب هارون اختلاف، فاقتتلوا، فخرج هارون ليسكّنهم، فرماه بعض المغاربة بسهم فقتله، فدخل محمد بن سليمان مصر، وحاز خزائن آل طولون. وجمع من آل طولون سبعة عشر رجلاً فقتلهم[1].

ظهور الخلنجي[2]:

ظهر بمصر إنسان يعرف بالخلنجي، وكان محمد بن سليمان قد أرسل بطلبه إلى بغداد، فاستمال جماعة وخالف السلطان، فسيّر إليه الخليفة بدر الحمامي وفاتك مولى المعتضد، فحاربوه في سنة ثلاث وتسعين ومائتين، فهزم الخلنجي وحمل إلى بغداد فحبس هناك[3].

أمارة بني حمدان: في سنة ثلاث وتسعين ومائتين ولّى المكتفي بالله الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان ابن حمدون التغلبي العدوي. فعبر إلى الأكراد الهذبانية وقاتلهم فقتل رجل من أصحابه اسمه سيما الحمداني فعاد عنهم، وكتب إلى الخليفة يطلب النجدة.

وفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة في ربيع الأول وصلته النجدة فلحق بالأكراد فتحصنوا في جبل عال، واشتد عليهم البرد وسقط الثلج فصبر ابن حمدان واستولى على بيوت الأكراد وأموالهم، وطلبوا الأمان فأمنهم، وأمنت البلاد[4].

القرامطة: وفي هذه السنة ظهر أخ للحسين القرمطي، فالتفّ عليه خلائق من القرامطة، فقصد طبرية فامتنعوا منه فدخلها قهراً، ودخلت فرقة له إلى هيت فقتلوا أهلها إلاّ القليل. فبعث إليهم المكتفي جيشاً فقاتلوهم وأخذوا رئيسهم فضربت عنقه.

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٩٩، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٩١ ـ ٣٠٠ ص ٩، وتاريخ الطبري ١١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٢) في تاريخ الإسلام الخليجي، واسمه إبراهيم. وفي الطبري أيضاً الخليجي.

(٣) الكامل ٦/ ١١١ ـ ١١٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٩١ ـ ٣٠٠ ص ١٢ و١٥.

(٤) الكامل ٦/ ١١١ ـ ١١٢.

وظهر رجل من القرامطة باليمن يقال له الداعية، فحاصر صنعاء ودخلها قهراً ثم قاتله أهل صنعاء فظفروا به وهزموه.

وظهر زكرويه بن مهرويه في الكوفة، فحاربه أهلها بإمداد من الخليفة، فهزمهم زكرويه، وحالوا دخول الكوفة فخرج إليهم إسحاق بن عمران في طائفة فأخرجوهم عن البلد(١).

اعتراض القرامطة قافلة الحاج ومقتل ذكرويه: في المحرم من سنة أربع وتسعين ومائتين اعترض زكرويه وأصحابه قافلة الحاج وهم عائدون من مكة إلى خراسان، فقتلهم عن آخرهم وأخذ أموالهم وسبى نساءهم. لما بلغ الخليفة خبر الحجيج، جهز إليه جيشاً كثيفاً عليهم وصيف بن صوارتكين، فالتقى الجيشان واقتتلوا قتالاً شديداً، وضرب رجل زكرويه بالسيف في رأسه فوصلت الضربة إلى دماغه مات بعدها.

وفاة إسماعيل الساماني: في منتصف صفر من سنة خمس وتسعين ومائتين توفي إسماعيل بن أحمد الساماني أمير خراسان وما وراء النهر. وتولى ولده أحمد بن إسماعيل الساماني بعده الأمر بموافقة الخليفة(٢).

وفاة المكتفي: وفي هذه السنة في ذي القعدة توفي أمير المؤمنين المكتفي بالله. دفن بدار محمد بن طاهر رحمه الله. وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة.

أهم الوفيات في عهده

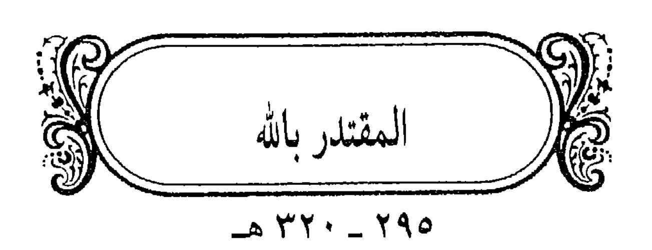
في سنة تسع وثمانين ومائتين توفي الحسين بن محمد البغدادي الحافظ. وفي سنة تسعين ومائتين توفي عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الحافظ، أكثر الرواية عن أبيه. وفيها توفي محمد بن عبد الله أبو بكر الدقاق أحد أئمة الصوفية وعبادهم. وفي سنة إحدى وتسعين ومائتين توفي ثعلب أبو العباس الشيباني إمام الكوفيين في النحو واللغة. وفي سنة اثنين وتسعين ومائتين توفي إبراهيم بن

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٣٩١ ـ ٣٠٠ ص ١٤، والكامل ٦/ ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٠٤.

عبد الله بن مسلم الكجي أحد المشايخ المعمرين، كان يحضر مجلسه خمسون ألفاً ممن معه محبرة. وفي سنة أربع وتسعين ومائتين توفي محمد بن الإمام إسحاق بن راهويه، كان عالماً بالفقه والحديث. وفيها توفي محمد بن نصر أبو عبد الله المروزي، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين من بعدهم من أئمة الإسلام. وفي سنة خمس وتسعين ومائتين توفي أبو إسحاق المزكي الحافظ الزاهد إمام أهل عصره بنيسابور في معرفة الحديث والرجال والعلل. وفيها توفي أبو الحسين النوري المعروف بابن البغوي أحد أئمة الصوفية. وفيها توفي الحسن بن علي أبو علي المعمري الحافظ صاحب عمل اليوم والليلة. وفيها أبو جعفر الترمذي الفقيه الشافعي، كان من أهل الزهد والعلم.



المقتدر بالله

٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ

نسبه وحياته: هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم العباسي، وأمه رومية، وقيل تركية اسمها شغب.

ولد سنة ٢٨٢ هـ، وكان جيد العقل، صحيح الرأي، غير أنه لم ينهض بأعباء الخلافة، فقد كانت أمه وخالته ومدبرة البيت ومتولية شؤونه يتدخلن في الأمور الكبار والولايات. وقد ولي الخلافة من أولاده من بعده ثلاثة على فترات غير متصلة، وهم الراضي والمتقي والمطيع.

وقد استوزر جماعة من الكتاب يكثر تعدادهم، وكان له من الخدم والحشمة التامة والحجاب شيء كثير جداً. وكان كريماً وفيه عبادة. أطلق أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم.

تولّيه الخلافة: جددت البيعة بالخلافة للمقتدر بالله بعد موت أخيه المكتفي بالله وقت السحر لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من سنة خمس وتسعين ومائتين، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وإحدى وعشرين يوماً، ولم ينل الخلافة أحد قبله أصغر منه.

خلع المقتدر: في سنة ست وتسعين ومائتين اتفق جماعة على خلع المقتدر، وتوليّه عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل على الله، واتفقوا على قتل المقتدر ووزيره العباس بن الحسن وفاتك الأمير.

فلما كان يوم العشرين من ربيع الأول قتلوا ابن حمدان وفاتك، فلما سمع المقتدر الأصوات دخل وأغلق الأبواب. واجتمع الأمراء والقضاة وبايعوا ابن المعتز بالخلافة ولقبوه الغالب بالله.

وحاول ابن حمدان دخول دار الخلافة فقاتله الخدم ومن فيها وهزموه، فارتحل، وبعث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم وقتل أكثرهم، وجددت البيعة إلى المقتدر، واعتقل ابن المعتز، ثم قتل في ربيع الآخر[1].

إفريقية: وفي هذه السنة ولي أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس بن عبد الله إفريقية بعد قتل أبيه.

ثم وجه جيشاً عليه إبراهيم بن أبي الأغلب بلغت عدته أربعين ألفاً سوى من انضاف إليه إلى أبي عبدالله الشيفي، فهزموا، وخاف زيادة الله على نفسه فتجهز للهرب إلى الشرق. وكان يسير من بلد إلى آخر حتى مات بالرملة، ولم يبق بالمغرب من بني الأغلب أحد، وكانت مدة ملكهم مائة واثني عشرة سنة[2].

ابتداء الدولة العلوية: أول من ولي عليهم محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فاتسعت دولتهم وملكت إفريقية، وقد دامت دولتهم حتى سنة ٥٦٧ هـ كما سنذكره تباعاً.

إفريقية: في سنة ثمان وتسعين ومائتين كانت وقعة بين أبي محمد عبيد الله المهدي وبين داعية أبي عبد الله وأبي العباس بإفريقية، فقتل الداعيان وجندهما، ومنع أهل طرابلس المهدي من الدخول إليهم، فجهز ابنه أبا القاسم القائم فأخذها عنوة في سنة ثلاثمائة، وصفت له المغرب[3].

الوزير ابن الفرات: وفي سنة تسع وتسعين ومائتين قبض المقتدر على وزيره أبي الحسن بن الفرات، ونهبت دوره، ونهبت بعض بغداد عند قبضه.

ثم استوزر المقتدر أبا علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان[4].

الوزارة: في سنة ثلاثمائة ظهر للمقتدر تخليط الخاقاني وعجزه في الوزارة،

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٠٧، وشذرات الذهب ٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) الكامل ٦/ ١٢٣ ـ ١٢٤، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٩١ ـ ٣٠٠ ص ٢٨ ـ ٣١.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٢٩١ ـ ٣٠٠ ص ٣٣ ـ ٣٤. والكامل ٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٤) شذرات الذهب ٢/ ٢٣١، وتاريخ الإسلام حوادث ٢٩١ ـ ٣٠٠ ص ٣٥ ـ ٣٦.

فأراد عزله فمنعه مؤنس الخادم. فاستوزر المقتدر علي بن عيسى. فأحضر علي من مكة، واستلم الوزارة سنة إحدى وثلاثمائة.

سجستان: وفي هذه السنة أرسل الأمير أبو نصر أحمد بن إسماعيل الساماني عسكراً إلى سجستان ليفتحها ثانياً، بعد أن فتحها سنة ثمان وتسعين ومائتين، وكانت قد عصت عليه وخالف من بها. فلما فتحت استعمل الأمير أحمد عليها سيمجور الدواتي، واستعمل على نيسابور منصوراً ابن عمه إسحاق[1].

صقلية: استعمل المهدي على صقلية علي بن عمر سنة سبع وتسعين ومائتين، لكن أهل صقلية عزلوه وولوا على أنفسهم أحمد بن قرهب. فدعا أحمد بن قرهب الناس إلى طاعة المقتدر فأجابوه إلى ذلك، فخطب له بصقلية وقطع خطبة المهدي. وسيَّر أسطولاً إلى افريقية فخرج عليه أسطول المهدي فظفر على ابن قرهب، ولم يستقم بعد ذلك لابن قرهب حال، وعاد أهل صقلية إلى لواء المهدي، واستعمل المهدي عليهم أبا سعيد موسى بن أحمد[2].

الأندلس: فيها توفي عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي صاحب الأندلس في ربيع الأول، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة. وولي بعده ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله.

قتل الساماني: وفي سنة إحدى وثلاثمائة قتل أحمد بن إسماعيل الساماني على نهر بلخ، قتله غلمانه وحمل إلى بخارى ودفن هناك، وقام ابنه نصر بن أحمد مكانه، وبعث إليه المقتدر عهده بولاية خراسان[3].

القرامطة: أرسل الوزير علي بن عيسى كتاباً إلى أبي سعيد الجناني القرمطي يدعوه إلى السمع والطاعة والتوبة، وَقُتل الجناني[4] قبل أن يصل الكتاب إليه، فوصل إلى أبنائه، فأجابوا الوزير بكتاب أنهم على الإسلام والإيمان، لكن الناس

---

(١) الكامل ٦/ ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) الكامل ٦/ ١٤٢ ـ ١٤٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٦٦.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ١٠.

(٤) قتل أحد غلمانه لإرادته الفاحشة معه (تاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ١٠).

شنعت عليهم، فكتب الوزير يعدهم بالإحسان[1].

الحسن الأطروش: في سنة إحدى وثلاثمائة استولى الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على طبرستان، وكان يلقب بالناصر وفي هذه السنة دعا الديلم إلى الله، وكانوا مجوساً، فأسلموا، وبنى لهم المساجد، وكان فاضلاً عاقلاً وأصلح الله الديلم به[2].

مصر: في سنة إثنين وثلاثمائة أنفذ أبو محمد المهدي عبيد الله العلوي جيشاً من افريقية مع قائد قواده «حباسة» إلى الإسكندرية، فغلب عليها. ثم سار إلى مصر فبلغ ذلك المقتدر فأرسل جيشاً عليهم مؤنساً الخادم، فالتقى العسكران في جمادى الأولى، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وحصلت وقعات أخرى تغلب فيها أهل بغداد على أصحاب المهدي وعادوا إلى افريقية، وقتل المهدي حباسة[3].

قطع طريق الحجاج: وفيها قطع الأعراب من طيىء والقرامطة الطريق على الحجيج وهم عائدون إلى العراق، فأخذوا منهم أموالاً كثيرة، وقتلوا منهم خلقاً، وأسروا أكثر من مائتي امرأة حرة[4].

الوزير ابن الفرات: في سنة أربع وثلاثمائة عزل المقتدر وزيره أبا الحسن علي بن عيسى بن الجراح، واستوزر ثانية ابن الفرات.

أذربيجان: وفيها خرج يوسف بن أبي الساج بأذربيجان عن الطاعة، فسار إليه مؤنس، فظفر به وأسره بعد حرب طويل[5].

مهادنة الروم: في سنة خمس وثلاثمائة وصل رسولان من ملك الروم إلى المقتدر يطلبان المهادنة والفداء، فأكرما إكراماً كثيراً، وأظهر المقتدر لهما عظمة الخلافة، وأجابهما المقتدر إلى ما طلب ملك الروم[6].

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ١٠ ـ ١١، والبداية والنهاية ١١/ ١٢١.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ١٥ ـ ١٦، والكامل ٦/ ١٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٣) الكامل ٦/ ١٤٩، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٨.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ١٢٢، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٨.

(٥) الكامل ٦/ ١٥٤ ـ ١٥٦، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ٢٢.

(٦) الكامل ٦/ ١٥٨ ـ ١٥٩، وشذرات الذهب ٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

عزل ابن الفرات: في سنة ست وثلاثمائة عزل المقتدر وزيره ابن الفرات لتأخيره أرزاق الجند، واستوزر حامد بن العباس كاتب واسط، وضم معه علي بن عيسى[١].

النساء وأمور الحكم: كثر تدخل النساء في أمر الحكم، حتى أن أم المقتدر أمرت القهرمانة «ثمل» أن تجلس للمظالم، وتحضر القضاة والأعيان، وتبرز التواقيع وعليها خطها[٢].

فتح المارستان: في أول يوم من المحرم من هذه السنة فتح المارستان الذي بنته السيدة أم المقتدر، وجلس فيه سنان بن ثابت، ورتبت فيه الأطباء والخدم. وأشار سنان على الخليفة ببناء مارستان آخر، فقبل منه وبناه وسماه المقتدري[٣].

القرامطة: وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة دخل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي أمير القرامطة في ألف وسبعمائة فارس إلى البصرة ليلاً، ودخلها قهراً، ومكث بها سبعة عشر يوماً. ثم عاد إلى بلده هجر. وكلما بعث إليه الخليفة جنداً لقتاله فر هارباً وترك البلد خاويا[٤].

الوزارة: وفيها عزل المقتدر عن الوزارة حامد بن العباس وعلي بن عيسى، وردها إلى أبي الحسن بن الفرات مرة ثالثة[٥]،

القرامطة: في ثاني عشر من محرم سنة اثني عشرة وثلاثمائة عارض أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي حجيج العراق قريباً من الهبير. وكان في الركب أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان، وأحمد بن بدر عم والدة المقتدر، فأسرهم وأخذ الأموال والجمال والنساء، وسار بهم إلى هجر، وترك بقية الركب فماتوا جوعاً وعطشاً إلاّ القليل.

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٦، وشذرات الذهب ٢/ ٢٤٧.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ١٢٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ٢٥.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ١٤٧، والكامل ٦/ ١٧٥.

(٥) البداية والنهاية ١١/ ١٤٧، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨، وتفصيل ذلك في الكامل ٦/ ١٧٣ ـ ١٧٤.

الوزير ابن الفرات: وضعف أمر ابن الفرات، واستدعى نصر الحاجب يستشيره بعدما أساء إليه سابقاً، وأشار على المقتدر أن يستدعي مؤنساً وجيشه بعد أن أبعده عن بغداد. وبعد عودة مؤنس قبض المقتدر على ابن الفرات وسلمه إلى مؤنس. ثم استوزر الخليفة ـ عبدالله بن محمد الخاقاني. وقتل ابن الفرات وابنه المحسن(١).

القرامطة: في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة سار الحجاج من بغداد ومعهم ألف فارس لحراستهم، فلقيهم القرمطي فناوشهم الحرب، فرجع الحجيج إلى بغداد، وغلب القرامطة الجيش فدخلوا الكوفة، وعاثوا فيها فساداً، فندب الخليفة لحربهم مؤنساً الخادم، فلما بلغ مؤنس الكوفة كان أبو طاهر قد غادرها إلى هجر(٢).

الروم: في سنة أربع عشرة وثلاثمائة كتب الدمستق ملك الروم إلى أهل السواحل أن يحملوا إليه الخراج، فأبوا عليه، فركب إليهم في جنوده في أول هذه السنة، ودخل ملطية فقتل من أهلها خلقاً وأسر وأقام بها ستة عشر يوماً. وجاء أهلها إلى بغداد يستنجدون الخليفة عليه. وبعدها جاء الخبر بموت الدمستق(٣).

الجليد: وفيها جمدت دجلة بالموصل، وعبرت عليها الدواب. وسقط ببغداد ثلج عظيم جداً حصل بسببه برد شديد، بحيث أتلف كثيراً من النخيل والأشجار.

القرامطة: في سنة خمس عشرة وثلاثمائة جاء القرمطي إلى الكوفة، فجهز المقتدر لحربه يوسف بن أبي الساج، فقاتلهم قتالاً شديداً، فأسر يوسف وهو مجروح وانهزم جيشه. فلما وصل الخبر إلى بغداد عسكر مؤنس بباب الأنبار. فسار أبو طاهر القرمطي إلى الأنبار. وكان المسلمون في أربعين ألف رجل، لكنهم انهزموا رعباً من القرامطة، ودخل القرامطة الأنبار، وقتلوا ابن أبي الساج.

وسار القرمطي إلى هيت، لكنه لم يستطع دخولها فرحل عنها(٤).

---

(١) الكامل ٦/ ١٧٧ ـ ١٨٠، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٥.

(٢) الكامل ٦/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ٣٥٦.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ١٥٣، والكامل ٦/ ١٨٥.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٥، والكامل ٦/ ١٨٦ ـ ١٨٩، والبداية والنهاية ١١/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

وفي سنة ست عشرة وثلاثمائة عاث أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي في الأرض فساداً، حتى صار الناس إذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه. وعاث في نواحي الموصل فساداً، في سنجار ونواحيها فقصده مؤنس الخادم فهرب منه إلى بلده هجر، فابتنى بها داراً سماها دار الهجرة، ودعا المهدي الذي ببلاد المغرب بمدينته المهدية، وتفاقم أمره، وكثرت أتباعه.

فلما رأى الوزير علي بن عيسى أمر القرمطي، استعفى من الوزارة لضعف الخليفة وجيشه عنه. واستبدل بعلي بن مقلة الكاتب المشهور. وجهز الخليفة جيشاً كثيفاً مع مؤنس الخادم، فاقتتلوا مع القرمطي فقتلوا من القرامطة خلقاً كثيراً، وأسروا منهم طائفة كثيرة من أشرافهم، ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً وفوض القرامطة أمرهم إلى رجل يقال له حريث بن مسعود، ودعوا إلى المهدي. ولم يحج أحد من العراقيين هذه السنة خوفاً من القرامطة[1].

خلع المقتدر وعوده: في المحرم من سنة سبع عشرة وثلاثمائة اشتدت الوحشة بين مؤنس الخادم والمقتدر بالله وتفاقم الحال، وآل الأمر إلى أن اجتمعوا على خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتضد، فبايعوه بالخلافة وسلموا عليه بها، وقلد علي بن مقلة وزارته، وولي نازوك الحجابة مضافاً إلى ما بيده من الشرطة، وبعد يومين جاء الجند وطلبوا أرزاقهم وشغبوا، وبادروا إلى نازوك فقتلوه، وكان مخموراً. وهرب الوزير ابن مقلة، وهرب الحجاب ونادوا يا مقتدر يا منصور. وجاء الجند إلى باب مؤنس يطالبونه بالمقتدر، فخرج المقتدر، فحمله الرجال على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة، فاستدعى أخاه القاهر، فأجلسه بين يديه وقبَّل بين عينيه وأمَّنه. وعاد ابن مقلة إلى الوزارة، وتراجعت الأمور إلى حالها الأول[2].

القرامطة في مكة: حج بالناس في هذه السنة منصور الديلمي، وسار بهم من بغداد إلى مكة سالمين. فخرج عليهم القرمطي يوم التروية، فانتهب أموالهم وقتل كثير منهم داخل الحرم وفي المسجد الحرام بالذات. وجلس أميرهم أبو طاهر على

---

(١) نقلاً عن البداية والنهاية بتصرف ١١/ ١٥٧ ـ ١٥٨، وانظر الكامل ٩/ ١٩١ ـ ١٩٣.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٥٩ ـ ١٦٠، والكامل ٦/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٧٩ ـ ٣٨١.

باب الكعبة والرجال تصرع حوله. ثم أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم. ثم قُلع الحجر الأسود واخذوه معهم، فمكث إثنين وعشرين سنة حتى ردوه[١].

الخلاف في خراسان: وفيها اختلف أولاد الساماني مع أخيهم الأمير نصر بن أحمد بن إسماعيل أمير خراسان، فأعمل الحيلة حتى عادوا إلى طاعته، ثم سقى أخاه الأكبر سماً فمات منه، وحبس الآخرين فهرب أحدهما إلى الري، وخنق نصرٌ الآخر[٢].

مقتل المقتدر بالله: في محرم من سنة عشرين وثلاثمائة خرج مؤنس الخادم من بغداد قاصداً الموصل مغاضباً للخليفة، وخرج معه حشمه. والتف عليه خلق من الأعراب. فكتب وزير المقتدر إلى آل حمدان يأمرهم بقتال مؤنساً. فركبوا إليه في ثلاثين ألفاً، وواجههم مؤنس في ثمانمائة من مماليكه وخدمه، فهزمهم. ودخل مؤنس الموصل فقصدته العساكر من كل جانب يدخلون في طاعته لإحسانه إليهم.

وفي شوال قصد مؤنس بغداد بجيشه ليطالب المقتدر بأرزاق الجنود. فركب الخليفة إلى مؤنس وهو كاره لقاءه. فالتقى بجيش مؤنس بباب الشماسية ببغداد، فانهزم جيش الخليفة، وقتل بعض المغاربة المقتدر بالله. وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً، وكان عمره ثمانية وثلاثين سنة ونحواً من شهرين.

أهم الوفيات في عهده

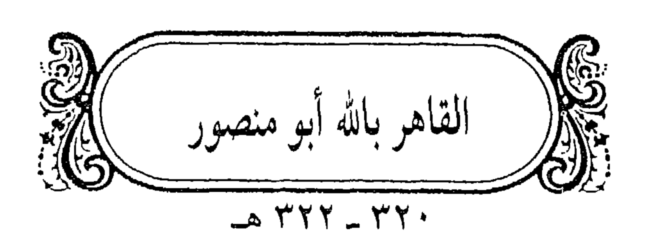
في سنة ست وتسعين ومائتين قتل عبدالله بن المعتز وكان شاعراً فصيحاً. وفيها توفي محمد بن الحسين أبو حصين الوادعي القاضي صاحب المسند. وفي سنة سبع وتسعين ومائتين توفي أبو بكر بن الفقيه الظاهري، كان عالماً أديباً شاعراً فقيهاً. وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين توفي الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز المتصوف الفقيه المشهور. وفي سنة ثلاث وثلاثمائة مات النسائي أحمد بن علي صاحب السنن المشهور.

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٦٠ ـ ١٦١، والكامل ٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٣٠١ ـ ٣٢٠ ص ٣٨٤.

وفيها توفي الحسن بن سفيان أبو العباس الشيباني النسوي محدث خراسان وفي سنة عشرون وثلاثمائة توفي أبو جعفر بن جرير الطبري المؤرخ والمحدث والفقيه والمفسر إمام العلماء. وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. توفي إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج صاحب معاني القرآن. وفيها مات محمد بن إسحاق المشهور بابن خزيمة الإمام الملقب بإمام الأئمة. وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة توفي أبو العباس السراج الحافظ، أحد الأئمة الثقات. وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة توفي الحسين بن عبدالله بن الجصاص الجوهري أبو عبدالله البغدادي صاحب ابن طولون. وفيها توفي أبو الحسن الأخفش علي بن سليمان وهو الأخفش الصغير تلميذ المبرد وثعلب. وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة مات أبو القاسم البغوي عبدالله بن محمد، كان ثقة حافظاً وله مصنفات.



القاهر بالله أبو منصور

٣٢٠ ـ ٣٢٢ هـ

نسبه وحياته: هو محمد القاهر بالله بن المعتضد بالله أحمد بن طلحة بن المتوكل على الله العباسي. وأمه أم ولد، اسمها فتنة.

وفي عهده أمر بتحريم القيان والخمر، وقبض على المغنين، ونفى المخنثين وكسر آلات اللهو، وأمر ببيع المغنيات من الجواري، وكان مع ذلك لا يصحو من السكر، ولا يفتر عن سماع الغناء.

تولّيه الخلافة: لما قتل المقتدر بالله عزم مؤنس على تولية أبي العباس بن المقتدر بعد أبيه فعدل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء، ثم أحضروا محمد بن المعتضد ـ وهو أخو المقتدر ـ ومحمد بن المكتفي، فسألوا إبن المكتفي أن يتولى، فقال: لا حاجة لي في ذلك، وعمي هذا أحق به، فكلم محمد ابن المعتضد، فأجاب، فبايعه القضاة والأمراء والوزراء، ولقبوه بالقاهر بالله، وذلك في سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال من سنة مائتين وعشرين، واستوزر أبا علي بن مقلة، وتتبع أولاد المقتدر، وعذب أم المقتدر يريد مالها فماتت من التعذيب[(١)].

شغب الجند: في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة شغب الجند على القاهر بالله، وهجموا على داره، فاشتكى إلى مؤنس، فصبّر الجند عشرة أيام[(٢)]. وفيها

---

(١) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١١/ ١٧٠ ـ ١٨٠ و٢٢٣ ـ ٢٢٤، وتاريخ الخلفاء ص ٣٨٦ ـ ٣٩٠، وشذرات الذهب ٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام للذهبي حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ١٧٧ ـ ١٧٨، والكامل ٦/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٩١.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ٥.

تحيل القاهر بالله فقبض على مؤنس الخادم، وعلي بن بليق وأبوه بليق، لكيدهم في تولية ابن المكتفي وخلع القاهر، فقبض عليهم، ثم أمر بذبحهم وهرب ابن مقلة، فاستقامت بغداد، وأطلقت أرزاق الجند، وعظمت هيبة القاهر في النفوس[1].

ابتداء دولة بني بويه: وهم ثلاثة أخوة: عماد الدولة أبو الحسن علي. وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد، أولاد أبي شجاع بويه بن قبا خسرو بن تمام الفارسي. قيل لهم الديالمة لأنهم جاوروا الديلم[2]، ويتكلمون اللغة الفارسية، وقد تولى هؤلاء الأخوة الثلاثة مناطق تابعة لمرداويج بن زيارة، فأخذ عماد الدولة نيابة الكرخ، فأحسن فيها السيرة، والتف عليه الناس وأحبوه، فحسده مرداويج وبعث إليه بعزله عنها ويستدعيه إليه، فامتنع من القدوم عليه، وصار إلى أصبهان فحاربه نائبها، فهزمه عماد الدولة هزيمة منكرة واستولى على أصبهان، وكان معه سبعمائة فارس في مقابل عشرة آلاف فارس، فعظم في أعين الناس. فأرسل مرداويج إليه جيشاً فأخرجوه من أصبهان، فقصد أرجان فأخذها من نائبها، واشتهر أمره وبعد صيته وحسنت سيرته، واجتمع إليه من الجند خلق كثير وجم غفير، فلم يزل يترقى في الدنيا حتى آل به وبأخويه الحال أن ملكوا بغداد من أيدي الخلفاء العباسيين.

خلع القاهر: تحيل علي بن مقلة على القاهر، فاجتمع له كثير من الجند، وهجم الجند على دار الخلافة فقبضوا على القاهر وحبسوه، واضطربت بغداد ونهبت، وذلك لثلاث خلون من جمادي الأولى سنة إثنين وعشرين وثلاثمائة. ثم سملوا عينيه، ثم أرسلوه، وكان تارة يحبس وتارة يخلى سبيله[3].

أهم الوفيات في عهده

في سنة عشرين وثلاثمائة، توفي أبو علي بن خيزران الفقيه الشافعي، أحد

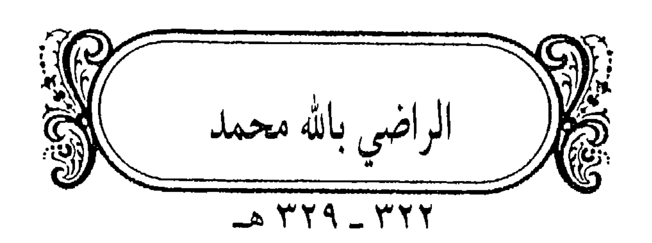
---

(١) شذرات الذهب ٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ٦ ـ ٨.

(٢) وهي طبرستان، وتقع جنوبي بحر الخزر، وهي منطقة جبلية (تاريخ عصر الخلافة العباسية ص ١٨٥).

(٣) البداية والنهاية ١١/ ١٧٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ١٥ ـ ١٦.

أئمة المذهب. وفيها توفي القاضي أبو عمر المالكي محمد بن يوسف، أحد أئمة الإسلام علماً ومعرفة وفصاحة وبلاغة وعقلاً ورياسة. وفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة توفي أبو جعفر الطحاوي أحمد بن محمد الفقيه الحنفي صاحب المصنفات الكثيرة. وفيها توفي ابن دريد الأسدي أبو بكر أحمد بن الحسن اللغوي النحوي الشاعر صاحب المقصورة.



الراضي بالله محمد

٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ

نسبه وحياته: هو أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي. ولد سنة ٢٩٧ هـ، وأمه أم ولد رومية اسمها ظلوم.

كان فصيحاً بليغاً كريماً جواداً ممدحاً من كلامه: «لله أقوام هم مفاتيح الخير، وأقوام هم مفاتيح الشر، فمن أراد الله به خير قصده أهل الخير وجعله الوسيلة إلينا فنقضي حاجته، وهو الشريك في الثواب والأجر والشكر. ومن أراد الله به شراً عدل به إلى غيرنا وهو الشريك في الوزر والإثم، والله المستعان على كل حال.

تولّيه الخلافة: لما خلعت الجند القاهر وسملوا عينيه، أخفروا أبا العباس محمد بن المقتدر بالله، وكان هو وأمه محبوسين فقصدوه، وسلموا عليه بالخلافة ـ ولقبوه الراضي بالله، وذلك يوم الأربعاء لست خلون من جمادي الأولى من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. وجاؤوا بالقاهر وهو أعمى فأوقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة وسلمها إليه، فقام الراضي بأعبائها وكا من خيار الخلفاء[١].

وفاة المهدي: وفي سنة إثنين وعشرين وثلاثمائة توفي المهدي صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين، مات عن ثلاث وستين سنة، وكانت ولايته منذ ادّعائه الإمامة أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً. وقام بالأمر بعده ابنه القائم

(١) انظر ترجمته في: الكامل ٦/ ٢٣٧ـ ٢٣٨، و٢٧٦ ـ ٢٧٧، والبداية والنهاية ١١/ ١٧٨ ـ ١٧٩ و١٩٦ ـ ١٩٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩، وتاريخ الخلفاء ص ٣٩٠ ـ ٣٩٣، وشذرات الذهب ٢/ ٣٢٤.

بأمر الله أبو القاسم محمد، فبقي إلى سنة أربع وثلاثين[1].

ظهور الشلمغاني: وفيها ظهر محمد بن علي السلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر، وكان مستتراً ببغداد، وشاع أنه يدعي الألوهية، وأنه يحيى الموتى وله أصحاب. فضرب ثمانين سوطاً، ثم قتل وصلب[2].

قتل مرداويج: في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة قتل مرداويج بن زياد الديلمي، وسبب قتله أنه كان كثير الإساءة للأتراك، وكان يسيء المعاملة لجنده ويحتقرهم، فما زال كذلك حتى أمكنهم الله منه فقتلوه شر قتله، وكان ركن الدولة بن بويه رهينة عنده، فأطلق لما قتل، فذهب إلى أخيه عماد الدولة، وذهبت طائفة من الأتراك معه إلى أخيه. وأما الديلم فملكوا عليهم وشمكير وهو شقيق مرداويج[3].

علي بن مقلة: في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة شغب الجند، وقبضوا على ابن مقلة، وبعثوا إلى الراضي يعرفونه، فبعث إليهم أن سموا من شئتم ليستوزره، فسموا علي بن عيسى، فرفض علي الوزارة، وأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى فرضي.

معز الدولة «ابن بويه»: وفي هذه السنة سار أبو الحسين أحمد بن بويه الملقب بمعز الدولة إلى كرمان، والتقى بعلي بن الزنجي المعروف بعلي جلوية في جيرمت، فتغلب على إبن بويه، أتخن معز الدولة بالجراح وقطعت يده اليسرى من نصف الذراع حتى سقط بين القتلى. فأنقذه من الموت علي كلويه وأحضر له الأطباء واعتذر له وتصالحا[4].

محمد بن رائق: كان الخليفة الراضي قد ولي محمد بن رائق إمرة الجيش وتولية الولاة وعزلهم، وحكم ابن رائق على البلاد وبقي الراضي معه صورة.

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ٢٤، والكامل ٦/ ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ١٨٢ ـ والكامل ٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦.

(٤) الكامل ٦/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

فحاربه هذه السنة الحجرية في بغداد فتغلب عليهم وانهزم الساجية أيضاً. فلما فرغ ابن رائق من الحجرية والساجية أشار على الراضي بالله بالتقدم إلى الأهواز[1].

واقع البلاد في هذه السنة (أربع وعشرين وثلاثمائة): يقول ابن الأثير في الكامل: «. . . وبطلت الدواوين من ذلك الوقت، وبطلت الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور، إنما كان ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها، وكذلك كل من تولى إمرة الأمراء من بعده. وصارت الأموال تحمل إلى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون، ويطلقون للخليفة ما يريدون، وبطلت بيوت الأموال. وتغلب أصحاب الأطراف، وزالت عنهم الطاعة، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم. وأما باقي الأطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق. وخوزستان في يد البريدي. وفارس في يد عماد الدولة بن بويه. وكرمان في يد أبي علي محمد بن إلياس. والري وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير أخي مرداويج يتنازعان عليها. والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان. ومصر والشام في يد محمد بن طغج. والمغرب وإفريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي، وهو الثاني منهم، ويلقب بأمير المؤمنين والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي. وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني. وطبرستان وجرجان في يد الديلم. والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي[2]».

ابن رائق والبريدي: وفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وقعت وحشة بين البريدي وابن رائق، فالتقى أصحاب ابن رائق أصحاب البريدي غير مرة، وفي كل مرة ينهزم أصحاب ابن رائق. وامتنع أهل البصرة على ابن رائق وحاربوه، وإنما عصوه لسوء سيرته. ثم قدم ابن رائق دمشق وزعم أن الخليفة ولاه إياها[3].

استيلاء بجكم على الأهواز: سيَّر ابن رائق بجكم لحرب البريدي، فالتقى

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ٣٩ و٤٢.

(٢) الكامل ٦/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥، وانظر شذرات الذهب ٢/ ٣٠٥.

(٣) شذرات الذهب ٢/ ٣٠٦، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ٤٤ ـ ٤٦.

بجيش البريدي في السوس فهزمهم بجكم، ثم التقيا عند نهر تستر فبادر بجكم فعبر النهر هو وأصحابه، فلما رآه أصحاب البريدي انهزموا من غير حرب. ثم استولى بجكم على الأهواز. أما عبدالله البريدي فلجأ إلى عماد الدولة ابن بويه، واستجار به وأطمعه في العراق، وهوّن عليه أمر الخليفة وابن رائق[1].

بجكم والبريدي: سار أبو عبدالله البريدي لمحاربة بجكم بدعم من ابن بويه، فانهزم بجكم لأن الأمطار عطلت نشاب أصحابه وقسيهم. ثم التقى عسكر البريدي عسكر بجكم فهزمه بجكم، ثم تصالحا. ثم أقبل بجكم في جيوشه إلى بغداد، وضعف عنه ابن رائق فاستتر ببغداد، ودخلها بجكم في ذي القعدة، فأكرمه الراضي، ورفع منزلته، ولقبه «أمير الأمراء»، وبذلك انقضت أيام محمد بن رائق[2].

استيلاء ابن رائق على الشام: في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة دخل ابن رائق الشام، وحمص، ودمشق وبها بدر بن عبدالله الأخشيدي المعروف ببدير، فأخرجه ابن رائق وملكها، والرملة فملكها وسار إلى عريش مصر يريد مصر، فلقيه الأخشيد محمد بن طغج وحاربه فانهزم الإخشيد، فاشتغل أصحاب ابن رائق بالنهب، ونزلوا في خيم أصحاب الأخشيد فخرج عليهم كمين للأخشيد فأوقع بهم وهزمهم وفرقهم، ونجا ابن رائق، ووصل إلى دمشق على أقبح صورة. فسير إليه الأخشيد أخاه أبا نصر بن طغج في جيش كثيف، فسار إليهم ابن رائق من دمشق فالتقوا في ذي الحجة، فانهزم عسكر أبي نصر وقتل هو[3].

غرق بغداد: وفي شعبان زادت دجلة زيادة عظيمة، وانتشرت الماء في الجانب الغربي، وبلغت الماء تسعة عشر ذراعاً، فغرق الناس والبهائم، وانهدمت الدور[4].

وفاة الراضي: في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة في منتصف ربيع الأول

(١) الكامل ٦/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ٤٨ ـ ٥١، والكامل ٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧.

(٣) الكامل ٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ١٩١.

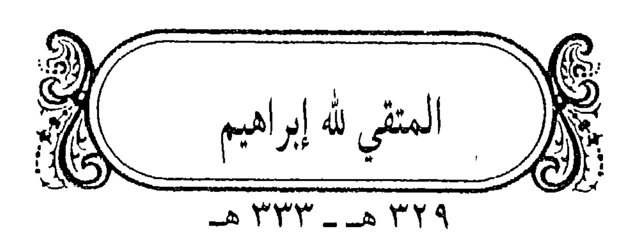
اشتدت علة الراضي بالله، وكانت علته الاستسقاء. فتوفي في ليلة السادس عشر من ربيع الأول. وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وكان عمره اثنين وثلاثين سنة وشهوراً، ودفن بالرصافة[1].

أهم الوفيات في عهده

في سنة إثنين وعشرين وثلاثمائة توفي أبو علي الروذباري محمد بن أحمد، حفظ الحديث والفقه والنحو. وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة توفي نفطويه النحوي إبراهيم بن محمد. وفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة توفي أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أحد القراء الكبار. وفيها توفي جحظة الشاعر البرمكي الأديب الأخباري. وفيها توفي أبو بكر النيسابوري عبدالله بن محمد الفقيه الشافعي. وفيها توفي أبو الحسن الأشعري له خمسة وخمسون تصنيفاً وفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة توفي أحمد بن محمد أبو حامد الشرقي الحافظ. في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة توفي عثمان بن الخطاب أبو عمرو البلوي المغربي الأشج المعروف بأبي الدنيا. وفيها توفي الحافظ الكبير ابن الحافظ الكبير أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي صاحب كتاب الجرح والتعديل. وفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة توفي قاضي القضاة أبو الحسن عمر بن محمد بن يوسف، وفيها توفي أبو محمد جعفر المرتعش أحد مشايخ الصوفية. وفيها أيضاً توفي علي بن محمد أبو الحسن المزين الصغير أحد مشايخ الصوفية. وفيها توفي أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد. وفيها مات عمر بن محمد بن يوسف أبو الحسين الأزدي الفقيه المالكي القاضي. وفيها مات ابن شنبوذ المقرىء الذي اختار حروفاً في القراءات أُنكرت عليه. وفيها توفي الوزير أبو علي بن مقلة الوزير والخطاط المشهور. وفيها توفي أبو بكر بن الأنباري العالم بالعربية صاحب كتاب الوقف والابتداء.

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٩٧ ـ ١٩٨، والكامل ٦/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ٥٩ ـ ٦٠، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٠٩ ـ ٤١٠.



المتقي لله إبراهيم

٣٢٩ هـ - ٣٣٣ هـ

نسبه وحياته: هو أبو إسحاق إبراهيم الملقب المتقي لله ابن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد ابن الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ولد سنة سبع وتسعين ومائتين، وأمه أم ولد اسمها خلّوب وقيل زهرة.

كان فيه صلاح وكثرة صيام وصلاة، وكان يقول لا أريد نديماً غير المصحف فانقطع عنه الجلساء والسمار والشعراء والوزراء، والتفوا على الأمير بجكم ولم يكن له في خلافته سوى الإسم، والتدبير لأبي عبدالله أحمد بن علي الكوفي كاتب بجكم.

تولّيه الخلافة: لما مات الراضي أخوه، اجتمع القضاة والأعيان بدار بجكم، فاتفق رأيهم كلهم على المتقي لله، فأحضروه في دار الخلافة وأرادوا بيعته، فصلى ركعتين صلاة الاستخارة وهو على الأرض، ثم صعد على الكرسي بعد الصلاة، ثم صعد إلى السرير وبايعه الناس يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول من سنة ٣٢٩.

قتل بجكم: وفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة تحارب أبو عبدالله البريدي وبجكم بناحية الأهواز، فقتل بجكم في الحرب، وكانت أيام بجكم على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام[١].

البريدي في بغداد: ثم إن البريدي دخل بغداد في ثاني رمضان، فبعث المتقي إليه يهنئه وأرسل إليه بالأطعمة، وخوطب بالوزير ولم يخاطبه بإمرة

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٩٨ - ١٩٩، والكامل ٦/ ٢٧٩.

الأمراء. وبعد ذلك ثارت الديالمة على البريدي فخرج إلى واسط، والتف الديالمة على كبيرهم كورتكين، واستولى كورتكين على الأمور ببغداد، ودخل إلى المتقي فقلده إمرة الأمراء[1].

ابن رائق في بغداد: وفي هذه السنة سار ابن رائق من دمشق في رمضان فدخل بغداد، وذلك بطلب من الخليفة ليخلصه من الديلم، فتصدى له كورتكين داخل بغداد، فانهزم كورتكين وجنده وهرب وقتل أصحابه في الطرقات.

استيلاء البريدي على بغداد: وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة سار الخليفة ومعه ابن رائق والقراريطي لحرب البريدي، فأنفذ البريدي أخاه علي بن محمد البريدي إلى بغداد، فالتقى بجيش الخليفة فهزمهم، وكان معه الترك والديلم والقرامطة، ودخل بغداد، وكثر النهب، وتحصن ابن رائق، وهرب المتقي وابنه إلى الموصل ومعهما ابن رائق فنهب البريدي دار الخلافة، ووجد في السجن كورتكين الديلمي فأرسله إلى أخيه أبي عبدالله البريدي.

موت ابن رائق: بعد هرب الخليفة وابن رائق، وعزم ناصر الدولة ابن حمدان نائب الموصل على مساعدة الخليفة، أرسل المتقي ابنه وابن رائق إلى ناصر الدولة يشكره على المساعدة. فجلسا عند ناصر الدولة ساعة، ثم همّا بالرجوع، فأبقى ابن حمدان ابن رائق قسراً عنده ثم أمر بقتله. وذلك يوم الاثنين لسبع بقين من رجب. فأرسل الخليفة إلى ابن حمدان فاستحضره وخلع عليه ولقبه ناصر الدولة يومئذٍ وجعله أمير الأمراء. فلما بلغ مقتل ابن رائق إلى صاحب مصر الإخشيد محمد بن طغج ركب إلى دمشق فتسلمها من محمد بن يزداد نائب ابن رائق. ثم إن الأتراك فارقوا البريدي وانضموا إلى الخليفة وابن حمدان، فركب هو والخليفة، إلى بغداد في جيش كثيف، فهرب البريدي منها[2].

البريدي يريد بغداد: وفي ذي القعدة جاء الخبر بأنّ البريدي يريد بغداد، فاضطرب الناس، وخرج المتقي ليكون مع ناصر الدولة، وهرب وجوه أهل بغداد.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤١٠ ـ ٤١١، والبداية والنهاية ١١/ ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤١٢ ـ ٤١٣.

ثم سار سيف الدولة أبو الحسن للقاء البريدي، فكانت بينهما وقعة هائلة بقرب المدائن. فكان أبو الحسين البريدي معه الديلم.، وابن حمدان معه الأتراك، فكانت الدائرة أولاً على بني حمدان، ثم هزم البريدي وقتل جماعة من قواده وأسر طائفة، فهرب إلى واسط، ثم سار سيف الدولة إلى واسط فانهزم البريدي بين يديه إلى البصرة، فأقام سيف الدولة بواسط ومعه جميع الأتراك والديلم[1].

توزون وسيف الدولة: في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة دخل سيف الدولة واسط وقد هرب منها البريدي وأخوه أبو الحسين. ثم خالف الترك سيف الدولة، فهرب منها قاصداً بغداد، وبلغ أخاه أمير الأمراء خبره، فخرج ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل، فنهبت داره. وكانت هيمنته على بغداد ثلاثة عشر شهراً وخمسة أيام. وجاء أخوه سيف الدولة إلى بغداد وطلب من الخليفة أن يمده بمال يتقوّى به على حرب توزون، فبعث إليه بالمال ففرّقها بين أصحابه، وحين سمع بقدوم توزون خرج من بغداد ودخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان، فخلع عليه الخليفة وجعله أمير الأميراء، واستقرّ أمره ببغداد. وعند ذلك رجع البريدي إلى واسط، وأخرج من الأسر غلام سيف الدولة وأرسله إليه ليرفع أمره عند آل حمدان[2].

خراسان: وفيها توفي السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر، وقد مرض قبل مرضه بالسل سنة وشهراً. فقام بالأمر من بعده ولده نوح بن نصر الساماني ولقب بالأمير الحميد[3].

الحرب بين توزون والمتقي: في سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة أرسل توزون أبو جعفر بن شيرزاد، فحكم وأمر ونهى في بغداد. ثم تم اتصال بين المتقي وبني حمدان، فقدم أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان في جيش كثيف في صفر، وخرج المتقي من بغداد فالتقى سيف الدولة بتكريت. ثم قدم توزون إلى بغداد واستعدّ للحرب. فجمع ناصر الدولة عدداً كثيراً من الأعراب والأكراد وسار بهم

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٣٢١ ـ ٣٣٠ ص ٧٢ ـ ٧٣، والكامل ٦/ ٢٨٥.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢٠٥، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ٦ ـ ٧.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٢٠٦، والكامل ٦/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

إلى تكريت. فالتقى الجمعان بعكبرا واقتتلوا أياماً، فانهزم بنو حمدان والمتقي إلى الموصل. ثم التقى توزون وسيف الدولة في شعبان، فانهزم سيف الدولة والخليفة إلى نصيبين.

ثم راسل المتقي توزون في الصلح، فأشار ابن شيرزاد على توزون بالصلح، فأجاب توزون إلى الصلح[1].

قتل البريدي: وفيها قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف، من خلاف وقع بينهما على المال. ثم مات أبو عبد الله البريدي بعد ثمانية أشهر من مرض بالحمى، فتوفي في شوال من هذه السنة، فقام مقامه أخوه أبو الحسين، وقام بالأمر من بعده أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي في بلاد واسط والبصرة ونواحي الأهواز وغيرها[2].

الروس: وفيها خرج طائفة من الروس في البحر إلى نواحي أذربيجان، فوصلوا إلى بردعة، فخرج إليهم نائب المرزبان فلقوا الروس فانهزم المسلمون، وتبعهم الروس إلى البلد، ونادوا بالأمان فأحسنوا السيرة. ثم صارت العامة ترجمهم بالحجارة، فأمروا أهل البلد بالخروج منها وأن لا يقيموا بعد ثلاثة أيام.

واستعظم ذلك المسلمون، فجمع المرزبان بن محمد الناس فبلغوا ثلاثين ألفاً، فسار بهم إلى الروس، فانهزم. ثم توجه الروس إلى مراغة، فأصابهم الوباء وكثرت الأمراض والموت فيهم. ثم قاتلهم المرزبان قتالاً شديداً، فانهزم من بقي منهم على قيد الحياة وعادوا بالسفن إلى بلادهم[3].

وفاة القرمطي: وفي هذه السنة مات أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي الهجري القرمطي بالجدري وبقي بعده أبو القاسم سعيد ابنه، وبقي الحجر الأسود عنده حتى سنة ٣٣٩ هـ.

خلع المتقي: في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة كان الخليفة في الموصل.

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ٩ ـ ١٠ وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤١٥ ـ ٤١٦.
(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢٠٨.
(٣) الكامل ٦/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

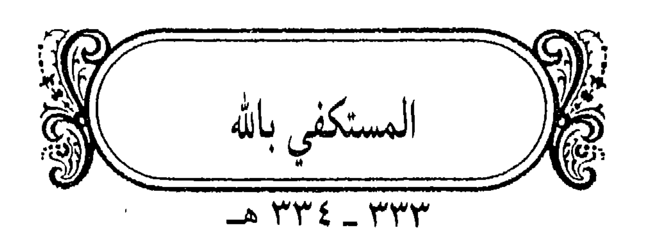
وركب في دجلة عائداً إلى بغداد، وأرسل إلى توزون فاستوثق منه، ثم أن توزون خرج إلى الخليفة لما قرب من بغداد، فلما رأى الخليفة قبل الأرض بين يديه وأظهر له أنه قد وفى له بما كان حلف له. ثم أحاط بمن مع الخليفة من الكبراء، وأمر بسمل عيني الخليفة فسملت عيناه، ثم انحدر توزون إلى بغداد فبايع المستكفي، فكانت خلافته ثلاثة سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً[١].

أهم الوفيات في عهده

في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة مات بجكم أمير الأمراء ببغداد. وفيها مات أبو محمد البربهاري العالم الزاهد. وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة مات الحسين بن إسماعيل أبو عبد الله الضبي القاضي الفقيه. وفيها مات أبو صالح مفلح الحنبلي واقف مسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي من دمشق.

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.



المستكفي بالله

٣٣٣ ـ ٣٣٤ هـ

نسبه وحياته: هو عبدالله بن المكتفي بالله بن المعتضد أحمد بن الموفق العباسي أبو القاسم. وأمه أم ولد اسمها أملحُ الناس. ولم يكن إليه من الأمر شيء، وإنما الذي يتولى الأمور ابن شيرزاد.

تولّيه الخلافة: لما رجع توزون إلى بغداد استدعى عبد الله بن المكتفي، فبايعه ولقبه بالمستكفي بالله. وأحضر المتقي بين يديه وبايعه، وأخذ منه البردة. وكان عمره حين بويع بالخلافة إحدى وأربعين سنة[1].

إفريقية: في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة اشتدت شوكة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي بإفريقية وكثر أتباعه وهزم الجيوش، وذلك بعد قتال مع بشرى فتى القائم أبو القاسم بن المهدي وانهزام أبي يزيد. وبعد ذلك حارب أبو يزيد في تونس والمغرب فربح هذه الحروب. وفي آخر ربيع الثاني من هذه السنة أمر القائم بحفر الخنادق حول المهدية، وكتب إلى زيري بن مناد سيد صنهاجة وإلى سادات كتامة والقبائل يحثهم على الاجتماع بالمهدية، فتأهبوا للمسير إلى القائم.

وجاء أبو يزيد إلى المهدية فدخلها وحارب أهلها ومن فيها من العسكر، وأرسل ابنه لقتال كتامة فهربوا عند رؤيتهم العسكر. وسمع أبو يزيد بوصول زيري بن مناد في صنهاجة فخاف المقام في المهدية، وأراد الخروج لكن الناس قويت نفوسهم واشتد قتالهم، واستطاع أبو يزيد الهروب إلى شرنوطة، وحفر على

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ٢٠ و١٠٣ ـ ١٠٤، وتاريخ الخلفاء ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨، والكامل ٦/ ٣٠١ ـ ٣٠٢، والبداية والنهاية ١١/ ٢١٠، وشذرات الذهب ٢/ ٣٣٣.

عسكره خندقاً واجتمع إليه خلق عظيم من أفريقية والبربر ونفوسة والزاب وأقاصي المغرب، فحاصر المهدية حصاراً شديداً، ثم زحف إليها لسبع بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة فجرى قتال عظيم قتل جماعة من وجوه عسكر القائم، واقتحم أبو يزيد بنفسه حتى وصل إلى قرب الباب وأردف بجيش القيروان فلم يستطع دخول الحصن الذي فيه القائم، وانهزم أصحاب أبي يزيد ـ لكنه بقي محاصراً الحصن ـ فلما علم عسكر أبا يزيد أنه لم يبق ما ينهب تفرّق كثير منهم. فلما علم القائم بذلك أخرج عسكره لحرب أبي يزيد وكان بينهم قتال شديد لست خلون من ذي القعدة، ثم قتل من أصحاب أبي يزيد جماعة. لكن الخارجي عاد وسيطر على الوضع، ثم تفرّق أصحابه ولم يبق معه إلاّ القليل. ودارت بعد ذلك حروب في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة كان يتردد النصر بين الفريقين، وخلف القائم ابنه المنصور، فتابع المنصور حربه مع أبي يزيد فكانت الحرب سجال.

وفي سنة خمس وثلاثين تمت الهزيمة على أبي يزيد، فكان يهرب من مكان إلى آخر ويلحق به المنصور حتى وقعت حرب هزم فيها أصحاب أبي يزيد هزيمة نكراء وقتلوا قتلاً ذريعاً، وهرب أبو يزيد لكنه وقع بالأسر، وجيء به إلى المنصور فمات أبو يزيد من جراحه في المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة[1].

وفاة توزون: في المحرم من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة مات توزون التركي في داره ببغداد، وكانت مدة إمارته سنتين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً، فتولّى إمرة الأمراء بعده ابن شيرزاد.

دولة بني بويه: أقبل معز الدولة أحمد بن الحسن بن بويه في جحافل عظيمة من الجيوش قاصداً بغداد، فلما اقترب منها بعث إليه الخليفة المستكفي بالله الهدايا، وقال للرسول: أخبره أني مسرور به. ودخل معز الدولة بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة، ودخل من الغد إلى الخليفة فبايعه، ودخل عليه المستكفي ولقبه بمعز الدولة، ولقب أخاه أبا الحسن بعماد الدولة، وأخاه أبا علي الحسن

(١) الكامل ٦/ ٣٠٤ ـ ٣١١، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ٣١ ـ ٣٢، والبداية والنهاية مختصراً جداً ١١/ ٢١٠ ـ ٢١١.

بركن الدولة، وكتب ألقابهم على الدراهم والدنانير. ونزل معز الدولة بدار مؤنس الخادم، ونزل أصحابه من الديلم بدور الناس، فلقي منهم الناس ضائقة شديدة[١].

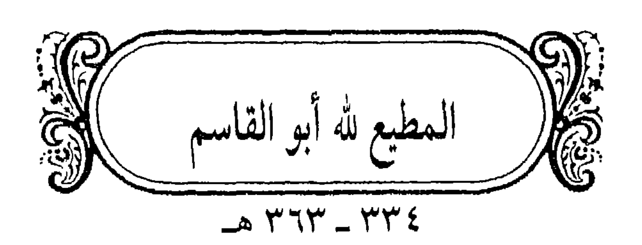
القبض على المستكفي وخلعه: في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة حضر معز الدولة إلى دار الخلافة وخلع الخليفة عن كرسيّه وأودع دار معز الدولة وسملت عينا المستكفي وأودع السجن وكانت مدة خلافته سنة واحدة وأربعة أشهر، فلم يزل مسجوناً حتى توفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة[٢].

أهم الوفيات في عهده

في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية وقيل في التي بعدها توفي القائم الفاطمي وتولّى ولده المنصور إسماعيل. وفيها قتل أبو الحسين البريدي.

(١) البداية والنهاية ١١/ ٢١٢.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢١٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ٢٦ ـ ٢٧. وتاريخ الخلفاء ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.



المطيع لله أبو القاسم

٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ

نسبه وحياته: هو الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسي الهاشمي. أمه أم ولد اسمها مشغلة[١]. ولد سنة إحدى وثلاثمائة.

ضعف أمر الخلافة جداً في زمنه، حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير، وإنما يكون له كاتب على إقطاعه، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلى معز الدولة.

تولّيه الخلافة: لما ولي المستكفي بالله الخلافة خافه المطيع، لأنه كان بينهما منازعة، وكان كل منهما يطلب الخلافة، فاستخفى المطيع طوال خلافة المستكفي. فلما قبض على المستكفي بويع للمطيع لله بالخلافة يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة ولقب «المطيع لله».

الحرب بين الحمدانيين والبويهيين: في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة حارب معز الدولة البويهي ومعه المطيع لله، ناصر الدين الحمداني، ووقع القتال بعكبرا، فنزل ناصر الدولة بغداد فملك جانبها الشرقي ثم الغربي، وضعف أمر معز الدولة، ثم خدعه معز الدولة فانتصر على الحمدانيين. ثم وقع الصلح بين ناصر الدولة ومعز الدولة، ورجع ابن حمدان إلى الموصل، واستقر أمر معز الدولة ببغداد[٢].

الجند: وفيها شغب الجند على معز الدولة من أجل أرزاقهم، فاضطر إلى إقطاع القواد القرى جميعها التي للخليفة فبطل لذلك أكثر الدواوين وزالت أيدي العمال. وترك الجنود الاهتمام بمشارب القرى وتسوية طرقها فهلكت.

---

(١) في تاريخ الخلفاء شغلة ص ٣٩٨.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢١٣، والكامل ٦/ ٣١٦.

موت الإخشيد: وفي هذه السنة في ذي الحجة مات الإخشيد أبو بكر محمد بن طغج صاحب ديار مصر، وكان مولده سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد، وكانت وفاته بدمشق ودفن في القدس، وولّى الأمر بعده ابنه أبو القاسم أنوجور مع غلبة كافور على الأمور[1].

أمر الخلافة: في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة استقر أمر الخليفة المطيع لله في دار الخلافة، واصطلح معز الدولة ابن بويه وناصر الدولة ابن حمدان على ذلك.

ثم حارب ناصر الدولة تكين التركي فاقتتلا مرات متعددة، ثم ظفر ناصر الدولة بتكين. واستحوذ ركن الدولة على الري وانتزعها من الخراسانية، واتسعت مملكة بني بويه جداً.

وفاة عماد الدولة الديلمي: وفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة توفي السلطان عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو الديلمي، وكان قد ملك بلاد فارس، مات بعلة القرحة في الكلى[2].

غزو الروم: في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة غزا سيف الدولة ابن حمدان بلاد الروم في ثلاثين ألفاً، ففتح حصوناً، وقطع عليه الروم الدرب عند خروجه، فاستولوا على عسكره قتلاً وأسراً، واستردوا جميع ما أخذ، وهرب هو في عدد يسير[3].

رد الحجر الأسود: وفي هذه السنة أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى الخليفة، وقالوا أخذناه بأمر وأعدناه بأمر. وكان مكثه عندهم اثنين وعشرين سنة فأعيد بعد ذلك إلى مكة المكرمة[4].

الري: وفي هذه السنة أيضاً سار منصور بن قراتكين من نيسابور إلى الري،

---

(١) الكامل ٦/ ٣١٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ٣٠ ـ ٣١.
(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ٤٢، والكامل ٦/ ٣٣٢.
(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ٤٣.
(٤) الكامل ٦/ ٣٣٥ وتاريخ الإسلام حوادث ٣٣١ ـ ٣٥٠ ص ٤٣.

أمره بذلك الأمير نوح الساماني، فدخلها واستولى عليها وفرّق العساكر في البلاد فملكوا بلاد الجبل إلى قرميسين، وأزالوا عنها نواب ركن الدولة، واستولوا على همذان وغيرها. فسار إليه سبكتكين الحاجب بأمر من معز الدولة في عسكر ضخم من الأتراك والديلم والعرب من بغداد فكبس أصحاب منصور وهم غارون فقتل فيهم وأسر، ودخل سبكتكين همذان.

ثم سار منصور من الري نحو همذان وبها ركن الدولة، لكنه عدل عنها إلى أصبهان. فشغب الترك الذين مع سبكتكين على ركن الدولة فقاتلهم وهزمهم. وبعد ذلك لحق ركن الدولة وسبكتكين بابن قراتكين، فجرت بينهم حروب. وعاد منصور إلى الري سنة أربعين[1].

وفاة منصور بن قراتكين: في ربيع الأول من سنة أربعين وثلاثمائة مات منصور بن قراتكين بعد عودته من أصبهان إلى الري. فعاد الخراسانيون إلى نيسابور وحمل تابوت منصور ودفن إلى جانب والده بأسبيجاب[2].

صقلية: كان المنصور العلوي صاحب أفريقية قد استعمل على صقلية سنة ٣٣٦ الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي، فدخلها واستقرّ بها، وغزا الروم الذين بها عدة مرات،. ولما مات المنصور سنة إحدى وأربعين سار الحسن عن صقلية إلى أفريقية واتصل بالمعز بن المنصور[3].

موت نوح الساماني: في ربيع الثاني من سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة مات الأمير نوح بن نصر الساماني، وكان يلقب بالأمير الحميد، ملك بعده ابنه عبد الملك[4].

الروم: كانت وقعة بين سيف الدولة ابن حمدان وبين الدمستق، فقتل خلقاً من أصحاب الدمستق، وأسر آخرين في جماعة من رؤساء بطارقته، وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمستق وذلك في ربيع الأول.

ثم جمع الدمستق خلقاً كثيراً، فالتقوا مع سيف الدولة في شعبان، فجرت

---

(١) الكامل ٦/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦.
(٢) الكامل ٦/ ٣٣٨.
(٣) الكامل ٦/ ٣٣٩.
(٤) المصدر السابق ٦/ ٣٤٦.

بينهم حروب عظيمة وقتال شديد، فهزم المسلمون الروم، وأسر صهر الدمستق وابن ابنته[١].

مرض معز الدولة: في أواخر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة بدأ المرض بمعز الدولة، فلما كان المحرم من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أوصى إلى ابنه بختيار، وقلّده الأمر بعده وجعله أمير الأمراء[٢].

الكوارث الطبيعية: في سنة ست وأربعين وثلاثمائة قل المطر جداً، ونقص البحر نحواً من ثمانين ذراعاً، وكان بالري زلازل عظيمة وخَسْف ببلد الطالقان في ذي الحجة، ولم يفلت من أهلها إلاّ نحو من ثلاثين رجلاً، وخسف بخمسين ومائة قرية من قرى الري[٣].

الموصل: في المحرم من سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ركب معز الدولة إلى الموصل فأخذها من ناصر الدولة، وهرب ناصر الدولة، فلحقه معز الدولة فصار إلى حلب إلى أخيه سيف الدولة. ثم تصالح معز الدولة مع ناصر الدولة على مبلغ سنوي يدفعه ناصر الدولة[٤].

المغرب: فيها عظم أمر أبي الحسن جوهر عند المعز العلوي بأفريقية، فسيره المعز في صفر في جيش كثيف منهم زيري بن مناد الصنهاجي، فسيّره إلى أقاصي المغرب، فهزم أهل تاهرت، ثم أهل أفكان. ثم سار إلى فاس وبها صاحبها أحمد بن بكر، فأغلق أبوابها فلم يقدر عليها جوهر. ثم دخل جوهر فاس بعد حيلة وذلك في رمضان[٥].

موت الأمير عبد الملك: في سنة خمسين وثلاثمائة سقط الفرس تحت الأمير عبد الملك بن نوح الساماني صاحب خراسان فوقع إلى الأرض فمات من سقطته، وافتتنت خراسان بعده، وولي بعده أخوه منصور بن نوح[٦].

موت الناصر لدين الله: فيها توفي صاحب الأندلس الناصر لدين الله، فكانت

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، والكامل ٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧.
(٢) الكامل ٦/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨.
(٣) شذرات الذهب ٢/ ٣٧١.
(٤) البداية والنهاية ٢/ ٢٣٣.
(٥) الكامل ٦/ ٣٥٤.
(٦) الكامل ٦/ ٣٥٩.

إمارته خمسين سنة وستة أشهر، وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة. وقام بالأمر من بعده ولده الحكم وتلقب بالمنتصر.

الروم: وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة دخل الدمستق ملك الروم حلب في مائتي ألف مقاتل، دخلها بغتة فحاربه سيف الدولة ابن حمدان بمن حضر عنده من المقاتلة، فانهزم الحمداني. فدخل الدمستق دار سيف الدولة وأخذ ما فيها من الأموال وآلات الحرب، وأخذ ما فيها من النساء. ثم حاصر سور حلب، فقاتل أهل البلد دونه قتالاً عظيماً، وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم. لكنه حصل فوضى داخل السور فدخل الروم البلد يقتلون كل من لقوه من المسلمين، وخربوا المساجد وأحرقوها.

وفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بنى نقفور ملك الروم مدينته على ثغور المسلمين وسماها قيسارية وسكنها. فبعث إليه أهل طرسوس والمصيصة يطلبون منه الأمان ويصالحونه على مال، فلما علم ضعفهم رفض الصلح. ثم نازل المصيصة ففتحها بالسيف في رجب؛ وقتل وسبى وأسر ما لا يحصى. ثم سار إلى طرسوس فحاصرها، فطلب أهلها أماناً فأعطاهم، فدخلها وأمر أهلها بالخروج منها وأن يحملوا معهم ما يطيقون. ثم جعل جيشاً في طرسوس والمصيصة يحفظونهما، وأمر بتحصينهما[١].

موت معز الدولة: في ثالث عشر ربيع الأول من سنة ست وخمسين وثلاثمائة توفي معز الدولة ابن بويه الديلمي بعلة الإسهال الشديد، فلمّا أحس بالموت أظهر التوبة ورد كثيراً من المظالم، وتصدق بكثير من ماله، وعهد بالأمر إلى ولده بختيار عز الدولة[٢].

وكان بختيار يحب اللعب واللهو والاشتغال بأمر النساء، فتفرّق شمله، فطمع الأمير منصور بن نوح الساماني في ملك بني بويه، وأرسل الجيوش الكثيرة مع وشمكير، فاجتمع جنود ركن الدولة وعضد الدولة وعز الدولة، فانتصر بنو بويه

(١) شذرات الذهب ٣/ ١٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٥١ ـ ٣٨٠ ص ١٧ ـ ٢٠.
(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢٦٢.

بتفرّق عساكر وشمكير بعد موته من إلقاء فرسه له على الأرض[1].

موت سيف الدولة: وفي صفر مات سيف الدولة الحمداني، أحد الأمراء الشجعان. مات بالفالج، وقيل عسر البول، وقد توفي بحلب[2].

ناصر الدولة الحمداني: وفيها قَبَضَ على الملك ناصر الدولة بن حمدان ولدُه تغلب، لأنّ أخلاقه ساءت، وظلم وعسف وقتل جماعة، فسجنه في قلعة ووسع عليه[3].

وفاة المتقي لله: في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة توفي إبراهيم المتقي لله الخليفة. ودفن في داره عن ستين سنة[4].

وفاة كافور الإخشيدي: وفي هذه السنة أيضاً توفي مولى السلطان محمد بن طغج: كافور بن عبد الله الإخشيدي، وقام بالأمر من بعده أبو الحسن علي بن الإخشيد[5].

الفاطميون في مصر: في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة سير المعز لدين الله أبو تميم معد بن إسماعيل المنصور بالله الفاطمي القائد أبا الحسن جوهراً غلام والده المنصور في جيش كثيف إلى الديار المصرية فاستولى عليها، ولم يقع حرباً حيث هرب عسكر الإخشيد لتفرّقهم بعد موت كافور، ولما استقرّ جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة[6].

الشام: ولما استقر جوهر بمصر، سير جعفر بن فلاح الكتامي إلى الشام في جمع كبير، فاستولى على الرملة وأسر واليها الحسن بن عبدالله بن طغج، ثم دخل طبرية. وفي سنة تسع وخمسين ومائتين. قاتل أهل دمشق جعفر بن فلاح فهزمهم، ودخل المغاربة البلد وعاثوا فيها ونهبوا، فهاج الناس وأخرجوا المغاربة، ثم صالحوا جعفراً[7].

---

(١) المصدر السابق ١١/ ٢٦٣.
(٢) المصدر السابق ١١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤.
(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٣٥١ ـ ٣٨٠ ص ٢٨.
(٤) البداية والنهاية ١١/ ٢٦٥.
(٥) المصدر السابق ١١/ ٢٦٦.
(٦) الكامل ٧/ ٣٠ ـ ٣١، والبداية والنهاية ١١/ ٢٦٦.
(٧) الكامل ٧/ ٢١ ـ ٢٢.

الروم: في سنة تسع وخمسين ومائتين وصل الروم إلى طرابلس الشام، ثم أخذ نقفور دمستق الروم[1] ثمانية عشر بلداً سوى القرى، وصارت له مهابة في قلوب الناس. ثم عاد إلى بلاده ومعه من السبي نحو من مائة ألف ما بين صبي وصبية.

قتل نقفور: كان نقفور قد طغى وتجبّر، وتزوج بزوجة الملك الذي قبله كرهاً، وهم بإخصاء ولديها لئلاّ يملكا، فاحتالت عليه المرأة فقتل نقفور، وأجلسوا في المملكة ولدها الأكبر[2].

القرامطة: في ذي القعدة من سنة ستين وثلاثمائة أخذت القرامطة دمشق وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح. وكان رئيس القرامطة وأميرهم الحسين بن أحمد بن بهرام، ثم ساروا إلى الرملة فأخذوها، ثم ساروا نحو القاهرة، فوصلوا عين شمس فاقتتلوا هم وجنود جوهر القائد قتالاً شديداً، والظفر للقرامطة، ثم حمل جنود جوهر على القرامطة فهزموهم وعادوا إلى الشام[3].

الروم: في سنة إحدى وستين وثلاثمائة دخل الروم بلاد المسلمين حتى وصلوا نصيبين، واستنصر أهل الجزيرة الخليفة، فهمَّ بختيار بن معز الدولة وجهز جيشاً وطلب المال، فأخذ مالاً من الخليفة وصرفه على نفسه وأبطل تلك الغزاة[4].

الفاطميون: وفي شوال خرج المعز الفاطمي بأهله وحاشيته وجنوده من المدينة المنصورة من المغرب قاصداً مصر، بعدما مهّد له مولاه جوهر أمرها وبنى له بها القصرين. واستخلف المعز على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية وأعمالها نواباً من جهته.

الصنهاجي بالمغرب: هو زيري بن مناد الصنهاجي الحميري، اجتمعت صنهاجة ومن والاها بالمغرب على طاعته قبل أن يقدمه المنصور. فحسدته زناته

---

(١) الدمستق: كل من كان يلي بلاد الروم التي هي شرقي خليج القسطنطينية (الكامل ٧/ ٣٨).

(٢) شذرات الذهب ٣/ ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٢٦٩. والكامل ٧/ ٤٢ ـ ٤٣. وشذرات الذهب ٣/ ٢٩.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٥١ ـ ٣٨٠ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

وأرادت حربه، فسار إليهم فكبسهم وهم غارُّون فقتل منهم كثيراً.

وفي سنة أربع وستين وثلاثمائة بنى لقومه مدينة اسمها أشير بعد أن ضاقت بلادهم بهم. فحاصرتها زناتة، فجمع لهم زيري جموعاً كثيرة وجرى بينهم عدة وقعات قتل فيها كثير من الفريقين، ثم ظفر بهم واستباحهم وبعدموت زيري جمع ابنه يوسف الجموع وحارب زناتة فأكثر فيهم القتل وسبى نساءهم، فسرّ بذلك المعز الفاطمي فأقطعه بلاد المغرب[١].

الروم: في سنة اثنين وستين وثلاثمائة اجتمع الفقيه أبو بكر الرازي الحنفي، وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي وابن الدقاق الحنبلي بعز الدولة بختيار بن بويه، وحرضوه على غزو الروم، بعدما عاد عن ذلك في العام السابق، فاستنفر الناس، فخرج إليه من العوام خلق كثير جداً، وغزو الروم، فطفروا بهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، فسكنت أنفس الناس[٢].

حريق الكرخ: فيها قَتَلَ رجل من أعوان الوالي في بغداد رجلاً من العامة، فثار الناس عليه فهرب ثم قبضوا عليه وقتلوه وحرقوه. فبعث الوزير أبو الفضل الشيرازي من ألقى النار في الكرخ من بغداد، فثار حريق عظيم لم يشهد مثله، قيل احترق سبعة عشر ألف إنسان، وثلاثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً، فعزله بختيار عن الوزارة وولاها محمد بن بقية[٣].

خلع المطيع لله: وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ظهر ما كان المطيع لله يستره من مرضه وتعذّر الحركة عليه وثقل لسانه بالفالج، فدعاه حاجب عز الدولة سبكتكين إلى خلع نفسه وتسليم الأمر إلى ولده الطائع لله، ففعل ذلك، وعقد له الأمر في يوم الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة. فكانت مدة خلافة المطيع تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً. وسمّي بعد خلعه الشيخ الفاضل[٤].

---

(١) الكامل ٧/ ٤٧ ـ ٤٨.

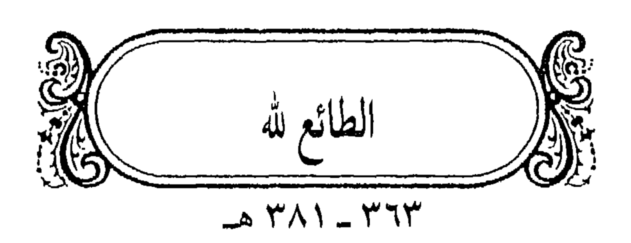
(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢٧٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٥١ ـ ٣٨٠ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٢٧٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٥١ ـ ٣٨٠ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٣٥١ ـ ٣٨٠ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٢٨ والبداية والنهاية ١١/ ٢٧٦، والكامل ٧/ ٥٣.

أهم الوفيات في عهده

في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة كانت وفاة عمر بن الحسين صاحب المختصر في الفقه على مذهب الإمام أحمد. وفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة توفي الصولي محمد ابن عبد الله بن العباس أبو بكر أحد العلماء بفنون الأدب وحسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء. وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة توفي أبو نصر الفارابي التركي الفيلسوف. وفي سنة أربعين وثلاثمائة توفي العالم المجتهد أبو الحسن الكرخي أحد أئمة الأحناف المشهورين. وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة توفي أبو النضر الطوسي الفقيه محمد بن محمد. وفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة توفي غلام ثعلب محمد بن عبد الواحد أبو عمرو الزاهد الحافظ النحوي. وفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة توفي أبو العباس الأصم محمد بن يعقوب الراوي المحدّث. وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة توفي ابن درستويه النحوي. وفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة توفي أبو بكر النجاد أحمد بن سليمان بن الحسن الفقيه أحد أئمة الحنابلة. وفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة توفي أبو أحمد العسال الحافظ محمد بن أحمد الأصبهاني أحد الأئمة الحفاظ وأكابر العلماء. وفي سنة خمسين وثلاثمائة توفي أبو سهل القطان أحمد بن محمد كان ثقة حافظاً كثير التلاوة للقرآن. وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة توفي دعلج بن أحمد أبو محمد السجستاني المعدل كان من ذوي اليسار المشهورين بالبر والإفضال. وفيها توفي أبو بكر النقاش المفسر المقرىء. وفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة توفي المتنبي الشاعر المشهور واسمه أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي. وفيها توفي محمد بن الحسن بن يعقوب أبو بكر بن مقسم المقرىء شيخ الدارقطني. وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة توفي أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني. وفيها توفي أبو علي القالي اللغوي صاحب كتاب الأمالي. وفي سنة ستين وثلاثمائة توفي أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد الحافظ الكبير صاحب المعاجم الثلاثة. وفيها توفي محمد بن الحسن بن عبد الله أبو بكر الآجري صاحب المصنفات المفيدة. وفيها توفي أحمد بن الفتح الخاقاني أبو العباس النجاد إمام جامع دمشق. وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة توفي أبو فراس بن حمدان الشاعر المشهور.



الطائع لله

٣٦٣ ـ ٣٨١ هـ

نسبه وحياته: هو أبو بكر عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسي، أمه أم ولد اسمها هزار وقيل غيث.

تولّيه الخلافة: ولي الطائع الخلافة بعدما خلع أبوه نفسه بمشورة من سبكتكين كما تقدّم، وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وكان عمره إذ ذاك ثلاث وأربعين سنة[١]. فركب وعليه البردة ومعه الجيش وبين يديه سبكتكين. وخلع من الغد على سبكتكين خلع السلطنة، وعقد له اللواء ولقبه «نصر الدولة»[٢].

الفاطمي والرامقطة: لما استقر المعز الفاطمي في مصر وتأكد ملكه، سار إليه الحسين بن أحمد القرمطي في جمع كثيف من أصحابه ومن العرب وذلك سنة ثلاث وستين وثلاثمائة. فخاف الفاطمي وكتب إليه يستمليه. لكن القرمطي شد السير إليه، فلما وصلوا إلى أرض مصر عاثوا بها قتلاً ونهباً وفساداً، وضعف جيش المعز عن مقاومتهم. لكن الفاطمي حاك مكيدة بالاتفاق مع زعيم العرب الذين مع القرمطي، فانهزمت القرامطة ورجعوا إلى أذرعات في أذل حال[٣].

الفاطميون في دمشق: لما انهزم القرمطي بعث المعز الفاطمي سرية عليها

(١) في البداية والنهاية «ثمان وأربعين سنة» ١١/ ٢٧٦.

(٢) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١١/ ٢٧٦، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٨١ ـ ٤٠٠ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨، والكامل ٧/ ٥٣ و١٤٧ ـ ١٤٨، وتاريخ الخلفاء ص ٤٠٥ ـ ٤١١، وتاريخ ابن خلدون و ٣٧/ ٤٢٨، وشذرات الذهب ٣/ ١٤٣.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٢٧٦، والكامل ٧/ ٥٤.

ظالم بن موهوب العقيلي إلى دمشق، فتسلمها من القرامطة بعد حصار شديد، واعتقل متوليها أبا الهيجاء القرمطي وابنه. لكن الفاطميين أفسدوا كثيراً، فاجتمعت العامة على قتالهم، لكنهم كانوا ينهزمون أمام جيش المعز كل مرة. وما سكنت نفوس أهل دمشق حتى ولي عليهم الطواشي ريان الخادم من جهة المعز الفاطمي[1].

بختيار والأتراك: قويت الأتراك ببغداد إلى حد خاف بختيار بن معز الدولة من العودة من الأهواز إلى بغداد. لذلك أرسل إلى عمه ركن الدولة يستنجده، فأرسل إليه بعسكر مع وزيره أبي الفتح بن العميد، ولم ينصره أحد غيره. فخرجت الأتراك من بغداد ومعهم الخليفة الطائع وأبوه المطيع في جحفل عظيم. فلما وصلوا إلى واسط توفي المطيع، وبعد أيام توفي سبكتكين (سنة ٣٦٤)، فحملا إلى بغداد والتفّ الأتراك على أمير يقال له الفتكين، فالتقوا بجيش بختيار فانتصروا عليه وتفرّق شمله[2].

استيلاء عضد الدولة على العراق: في سنة أربع وستين وثلاثمائة جاء عضد الدولة بن ركن الدولة ابن عم بختيار إلى واسط، فهرب منه الفتكين مع الأتراك إلى بغداد، فنزل عضد الدولة في الجانب الشرقي منها، ونزل بختيار في الجانب الغربي، وحصر الترك حصراً شديداً، فغلت الأسعار وكثر النهب. ثم التقى الجمعان فانكسر الأتراك وهربوا إلى تكريت، واستحوذ عضد الدولة على بغداد وما والاها من البلاد، وضعف أمر بختيار جداً فاستعفى عن الإمارة بمشورة عضد الدولة.

ثم ضعف أمر عضد الدولة بعدما تفرّق جنده عنه، فأرسل إلى أبيه يستنجده فلم يرض نجدته لأنه عمل على الغدر ببختيار. فخرج من بغداد إلى فارس وأعاد ابن عمه إلى ما كان عليه[3].

ولاية الفتكين دمشق: بعد انهزام الفتكين التركي في بغداد سار إلى حمص ثم

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٢٧٧، والكامل ٧/ ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٢٧٧، والكامل ٧/ ٥٦ ـ ٥٧.

(٣) المصدر السابق ١١/ ٢٨٠.

إلى دمشق، وكان عليها من جهة الفاطميين ريان الخادم، فتحالف معه أهل دمشق بعدما ذاقوا ظلم ريان، فدخل البلد وأخرج عنها ريان الخادم، وخطب للطائع لله في شعبان، وقمع أهل الفساد وهابه كافة الناس، فكثر جمعه وتوفرت أمواله وثبت قدمه. ثم قصد صيدا فحصرها وفيها ظالم بن موهوب العقيلي، فقاتلهم فهربوا، ثم قصد عكا وطبريا فقتل من فيها من الفاطميين ثم عاد إلى دمشق[١].

وفاة المعز الفاطمي: وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة توفي المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي صاحب المغرب ومصر وباني القاهرة، وكانت وفاته في اليوم السابع عشر من ربيع الثاني، فكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، فاستلم زمام الأمر من بعده ابنه نزار ولقبه العزيز[٢].

أمر الفتكين: لما سمع العزيز بن المعز بما حصل في دمشق وصيدا وعكا وطبريا، أرسل جوهر في العساكر إلى الشام، فوصلها في ذي القعدة، وتحاربا ودامت الحرب شهرين قتل فيها عدد كثير من الطائفتين، فاستنجد الفتكين بالحسن بن أحمد القرمطي. فلما وصل القرمطي رحل جوهر عن دمشق. فسار خلفه الفتكين والقرمطي وكانا في حوالي خمسين ألف فارس، فحاصرا الفتكين وهو بعسقلان، فقارب جيش جوهر على الهلاك من شدة الحصار. وبعد مراسلات رضي الفتكين بترك جوهر وأصحابه والعودة إلى مصر[٣].

وفاة ركن الدولة: في سنة ست وستين وثلاثمائة توفي ركن الدولة بن علي بن بويه وقد جاوز التسعين سنة. وكانت أيام ولايته نيفاً وأربعين سنة. وقبل موته بسنة قسم ملكه بين أولاده، فجعل لعضد الدولة بلاد فارس وكرمان وأرجان، ولمؤيد الدولة الري وأصبهان، ولفخر الدولة همدان والدينور، وجعل ولده أبا العباس في كنف عضد الدولة وأوصاه به[٤].

---

(١) الكامل ٧/ ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) البداية والنهاية ١١ / ٢٨٤.

(٣) المصدر السابق ٧/ ٦٣ ـ ٦٤. وتاريخ الإسلام حوادث ٣٥١ ـ ٣٨٠ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٤) البداية والنهاية ١١ / ٢٨٢ ـ ٢٨٥.

العراق: حين تمكن عضد الدولة قصد العراق ليأخذها من ابن عمه بختيار لسوء سيرته كما تقدم، فالتقوا بالأهواز فهزمه عضد الدولة وأخذ أمواله، ثم بعث إلى البصرة فأخذها وأصلح بين أهلها حيي ربيعة ومضر[١].

وفاة منصور الساماني: في هذه السنة مات الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر، وكان موته ببخارى وولايته خمس عشرة سنة، وولي الأمر بعده ابنه أبو القاسم نوح وكان عمره حين ولي الأمر ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور[٢].

وفاة الحاكم الأموي: وفي هذه السنة توفي الحاكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأموي صاحب الأندلس، وكانت إمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وعمره ثلاثاً وستين سنة وسبعة أشهر. وولي بعده ابنه هشام بعهد أبيه وله عشر سنين ولقب المؤيد بالله[٣].

قتل بختيار: بعد انهزام بختيار تحالف مع أبي تغلب بن حمدان، واتفقا على محاربة عضد الدولة لإعادة بختيار إلى موقعه، فسارا وعند وصولهما إلى تكريت التقيا مع عضد الدولة فهزمهما وأسر بختيار فأمر بضرب عنقه[٤]. وذلك سنة سبع وستين وثلاثمائة.

الفاطمي والفتكين: وفي هذه السنة وقعت حرب بين الفتكين والعزيز بن المعز الفاطمي، وكانت الغلبة للفاطمي، وأسر الفتكين، وأخذه العزيز معه إلى الديار المصرية مكرماً معظماً، وتسلّم العزيز دمشق وأعمالها[٥].

استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان: لما انهزم أبو تغلب وبختيار سار عضد الدولة إلى الموصل فملكها وما يتصل بها، ثم سير بختيار السرايا للقبض على أبي تغلب. ودخل أبو تغلب بلاد الروم واتفق مع ملكهم المعروف بورد الرومي على المناصرة، وبعد مضي مدة عاد إلى بلاد المسلمين. ثم فتح عضد الدولة ميافارقين وآمد، ثم فتح ديار مضر[٦].

---

(١) البداية والنهاية ١١ / ٢٨٥.
(٢) الكامل ٧/ ٨٢ ـ ٨٣.
(٣) المصدر السابق ٧/ ٨٣.
(٤) المصدر السابق ٧/ ٩٢.
(٥) البداية والنهاية ١١/ ٢٩١.
(٦) الكامل ٧/ ٩٢ ـ ٩٦. وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٣٢.

إعادة عمارة عضد الدولة بغداد: في سنة تسع وستين وثلاثمائة شرع عضد الدولة في عمارة بغداد، وكانت قد خربت بتوالي الفتن فيها، فعمر مساجدها وأسواقها، وأدرَّ الأموال على الأئمة والمؤذّنين والعلماء والقرّاء والغرباء والضعفاء الذين يأوون إلى المساجد، وأصلح الطريق من العراق إلى مكة المكرمة، ووزّع الأعطيات لأهل البيوتات والشرف والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة، وفعل مثل ذلك بمشهد علي والحسين رضي الله عنهما[1].

استيلاء عضد الدولة على جرجان: في جمادى الآخرة من سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة استولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان، وأجلى عنها صاحبها قابوس بن وشمكير، وذلك بعد أن استولى على بلاد أخيه فخر الدولة ولحق فخر الدولة بقابوس، فالتقيا فانهزم قابوس فهرب مع فخر الدولة إلى نيسابور. فأكرمهما حسام الدولة صاحب خراسان بطلب من نوح بن منصور الذي أمر حسام بالمسير معهما في جيش لرد ملكهما. فساروا نحو جرجان بعساكر كثيرة، فالتقوا بجيش عضد الدولة وعليهم مؤيد الدولة، فانهزم الخراسانيون[2].

وفاة عضد الدولة: في شوال من سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة مات عضد الدولة، فولّى الطائع ابنه صمصام الدولة، ولقبه «شمس الملة» وخلع عليه سبع خلع[3]. ثم خلع صمصام الدولة على أخويه أبي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروزشاه وأقطعهما فارس. لكن أخوهم شرف الدولة سبقهما إلى فارس فملكها، وأظهر عداوة صمصام الدولة، وتلقب شرف الدولة «بتاج الدولة».

الأندلس: في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة انتقل أولاد زيري بن مناد الثلاثة إلى الأندلس هرباً من أخيهم بلكين، فاتفقوا مع محمد بن أبي عامر على مساعدتهم على الجهاد، فجاهدوا في بلاد الفرنج وانتصروا، ثم انضم إليهم أهل الأندلس وغزوا بلداً تسمى اليون واستولوا عليها. وكان لأولاد زيري ومن معهم من صنهاجة الفضل الكبير في تنشيط الجهاد في الأندلس[4].

القرامطة: في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد إسحاق وجعفر الهجريان

---

(١) الكامل ٧/ ١٠٠ ـ ١٠١.
(٢) الكامل ٧/ ١٠٨ ـ ١٠٩.
(٣) تاريخ الخلفاء ص ٤٠٩.
(٤) الكامل ٧/ ١٢٠.

في جمع كثير، وهما من الستة القرامطة الذين يلقبون بالسادة، فملكا الكوفة، وخطبا لشرف الدولة. فكتب إليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما. ثم حاربهم صمصام وهزمهم وعادوا إلى بلادهم(١).

في سنة ست وسبعين وثلاثمائة وقع بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة أمر فاقتتلا، فغلبه شرف الدولة ودخل بغداد فتلقاه الخليفة وهنأه بالسلامة. وكانت إمارة صمصام الدولة بالعراق ثلاث سنين واحد عشر شهراً. وقد حجزه أخوه في قلعة في بلاد فارس(٢).

وفاة شرف الدولة: في سنة تسع وسبعين وثلاثمائة توفي شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمي، مات في جمادي الأولى، وكان قد عهد إلى أخيه أبي نصر بهاء الدولة.(٣)

الفتنة ببغداد: وفي هذه السنة وقعت الفتنة ببغداد بين الأتراك والديلم، ودام القتال بينهم خمسة أيام وبهاء الدولة في داره يراسلهم في الصلح فلم يسمعوا قوله، وقتل بعض رسله. ثم قام وأصلح بينهم بالقوة، وضعف أمر الديلم وقوي الأتراك(٤).

القبض على الخليفة: جلس الطائع لله في الرواق متقلداً سيفاً. فجاء بهاء الدولة وقبل الأرض وجلس على كرسي، وتقدم أصحاب بهاء الدولة فقبضوا على الخليفة الطائع لله، وتشاغل الناس بالنهب، فنهبت الخزائن وأشياء من دار الخلافة. وكتب بهاء الدولة على الطائع كتاباً بالخلع من الخلافة. وكان الخلع في التاسع عشر من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة أيام(٥).

---

(١) المصدر السابق ٧/ ١٢٦.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٣٠٥، والكامل ٧/ ١٣٠.

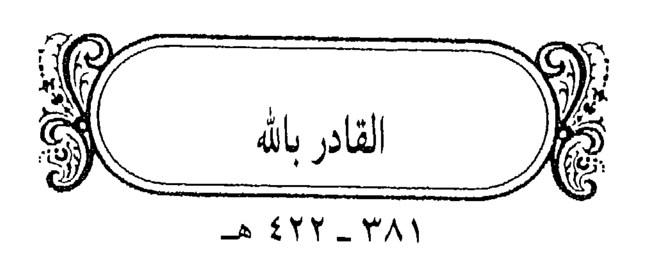
(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٣٥١ ـ ٣٨٠ ص ٤٨٥، والبداية والنهاية ١١/ ٣٠٧.

(٤) الكامل ٧/ ١٣٩.

(٥) تاريخ الخلفاء ص ٤١٠، والبداية والنهاية ١١/٣٠٨ ـ ٣٠٩، والكامل ٧/ ١٤٨.

أهم الوفيات في عهده

في سنة ست وستين وثلاثمائة مات قاضي القضاة في الأندلس منذر البلوطي، كان إماماً عالماً فصيحاً خطيباً شاعراً أديباً، وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة توفي أبو سعيد السيرافي النحوي. وفي سنة سبعين وثلاثمائة توفي أبو بكر الرازي الحنفي الفقيه الأصولي. وفيها توفي ابن خالويه الحسين بن أحمد النحوي اللغوي صاحب المصنفات، وفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة توفي أحمد بن إبراهيم أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني الحافظ الكبير الرحال الجوال. وفيها مات شيخ المتصوفة ببغداد أبو الحسن الحصري علي بن إبراهيم. وفيها توفي الشيخ أبو زيد المروزي الشافعي شيخ الشافعية في زمانه وفي سنة أربع وسبعين وثلاثمائة توفي الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسن الأزدي الموصلي المصنف في الجرح والتعديل. وفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة توفي أبو القاسم الداركي عبد العزيز بن عبدالله بن محمد أحد أئمة الشافعية في زمانه. وفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة توفي أبو حامد المروزي أحمد بن الحسين المعروف بابن الطبري، كان حافظاً للحديث. وفيها مات أبو علي الفارسي النحوي صاحب الإيضاح. وفيها ماتت ستيتة بنت القاضي أبي عبدالله الحسين المحاملي، قرأت القرآن وحفظت الفقه والفرائض والحساب.



القادر بالله

٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ

نسبه وحياته: هو أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسي الهاشمي البغدادي أبو العباس. ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وأمه أم ولد واسمها تمنى، وقيل دمنة وقيل غير ذلك. كان يخرج من داره في زي العامة، ويزور قبور الصالحين. وقد صنف كتاباً في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن. وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي وبحضرة الناس.

وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والأتراك، فلما وليها القادر بالله أعاد جدتها، وجدد قوتها، وألقى الله هيبته في قلوب الخلق، فأطاعوه أحسن طاعة وأتمها.

توليه الخلافة: لما قبض على الطائع لله، ذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة، فاتفقوا على القادر بالله، وكان بالبطيحة، فأرسل إليه بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضروه إلى بغداد ليتولى الخلافة، فأتوا إليه وخاطبوه بإمرة المؤمنين، وتمت مبايعته في بغداد، وذلك في الثاني عشر من رمضان، وخطب له ثالث عشر رمضان، وحمل إليه بعض ما نهب من دار الخلافة[1].

أمر أبي الفتوح العلوي: في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ظهر أبو الفتوح الحسين

(١) انظر ترجمته في الكامل ٧/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، وتاريخ الإسلام حوادث ٤٢١ ـ ٤٤٠ ص ٧٦ ـ ٧٨، وتاريخ الخلفاء ص ٤١١ ـ ٤١٧، وشذرات الذهب ٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٣، والبداية والنهاية ١١ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

بن جعفر العلوي أمير مكة، وادّعى أنه خليفة، وسمى نفسه الراشد بالله؛ فمالأه أهل مكة، وتقلد سيفاً زعم أنه ذو الفقار، وأتبعه عرب الشام وسلموا عليه بأمير المؤمنين. لكن الحاكم صاحب مصر استمال عرب الشام، وأناب على مكة أميراً، فانتظم أمر الحاكم وتمزق أمر الراشد وتفرق عنه رجاله[١].

الخليفة المخلوع الطائع: في رجب من سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة سُلِّم الطائع لله المخلوع إلى القادر بالله، فأنزله في حجرة ووكل به من يحفظه، وأحسن مراعاته وأجرى عليه الأرزاق[٢].

وفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة خرج أولاد بختيار من حبسهم واستولوا على القلعة التي كانوا معتقلين بها. وفيها ملك صمصام الدولة خوزستان. وفيها أيضاً ملك شهاب الدولة هارون بن سليمان الملك المعروف ببغراخان الترك بخارى، وكان له كاشغر وبلاساغون إلى حد الصين. ثم لحقه مرض من بخارى فمات وعاد نوح الساماني إلى بخارى[٣].

العيارون[٤]: في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة قوي أمر العيارين ببغداد؛ فعاثوا فساداً وأخذوا الأموال والعملات الثقال ليلاً ونهاراً، وحرقوا مواضع كثيرة، وأخذوا من الأسواق الجبايات، ولم يفد طلب الشرطة لهم. فلما ألح السلطان بهاء الدولة في طلبهم هربوا واستراح الناس من شرهم[٥].

محمود الغزنوي: وفي هذه السنة أيضاً ولي الأمير نوح الساماني محمود بن سبكتكين الغزنوي خراسان، ولقبه سيف الدولة، ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة، فأحسنا السيرة[٦].

الحجيج: في هذه السنة عاد الحاج العراقي من الطريق، حيث اعترضهم

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٨١ ـ ٤٠٠ ص ٩ ـ ١٠.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٣١١.

(٣) الكامل ٧/ ١٥٩ ـ ١٦١.

(٤) العيار: هو كثير التجوال الذي يهيم ويخلي نفسه وهواها.

(٥) البداية والنهاية ١١/ ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٦) الكامل ٧/ ١٦٤.

الأصيفر الأعرابي، ومنعهم الجواز إلاّ بمال، فعادوا ولم يحجوا، ولا حج أيضاً أهل الشام ولا اليمن، إنما حج أهل مصر والمغرب[1].

مصر: في سنة ست وثمانين وثلاثمائة توفي العزيز أبو منصور نزار بن المعز العلوي صاحب مصر لليلتين بقيتا من رمضان، وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر ونصف بمدينة بلبيس، حيث مرض بالنقرس والحصا والقولنج حتى مات، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة. فولي بعده ابنه أبو علي المنصور ولقب: الحاكم بأمر الله بعهد من أبيه، وكان عمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر، وكان مدبر أمر الدولة أرجوان الخادم[2].

وفاة المنصور بن يوسف: وفيها توفي المنصور بن يوسف بلكين أمير أفريقية أوائل ربيع الأول، وكان ملكاً كريماً شجاعاً حازماً حسن السيرة، محباً للعدل والرعية. وولي بعده ابنه باديس ويكنى أبا مناد، فأتته الخلع والعهد بالولاية من الحاكم بأمر الله من مصر، فبايع للحاكم هو وجماعة بني عمه والأعيان من القواد[3].

وفاة الأمراء: في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة مات الأمير نوح بن منصور الساماني سلطان بخارى وسمرقند، وتولى ابنه منصور الأمر من بعده. وفيها أيضاً توفي ناصر الدولة سبكتكين في شعبان، ولما حضرته الوفاة عهد إلى ولده إسماعيل بالملك بعده، فاقتتل معه أخوه محمود فتغلب محمود واستقام الملك له. وفيها أيضاً توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه بقلعة طبرق في شعبان، فملك بعده ابنه مجد الدولة أبو طالب رستم وعمره أربع سنين وكان المرجع إلى والدة أبي طالب في تدبير الملك. وفيها توفي مأمون بن محمد صاحب خوارزم والجرجانية وتولى ولده علي الأمر من بعده.

قتل صمصام الدولة: في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة عرض صمصام الدولة

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٤١٢.

(٢) الكامل ٧/ ١٧٦ ـ ١٨٠، والبداية والنهاية ١١/ ٣١٩.

(٣) الكامل ٧/ ١٨٢.

كثير من الديلم وأسقط منهم من ليس بصحيح النسب، وكان عددهم ألف رجل، فشغب عليه الرجال وقام عليه أولاد بختيار حتى قُتل في ذي الحجة. وكان عمره خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، ومدة إمارته بفارس تسع سنين وثمانية أيام[1].

انقراض دولة السامانية: في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة انقرضت دولة آل سامان على يد محمود بن سبكتكين وإيلك الخان التركي ولقبه شمس الدولة. فبعد أن ملك محمود خراسان في هذه السنة بقي بيد عبد الملك بن نوح ما وراء النهر، فقصد عبد الملك بخارى واجتمع بها هو وفائق وبكتوزون وغيرهما من الأمراء، فقويت نفوسهم وجمعوا العساكر وعزموا على العود إلى خراسان فاتفق أن مات فائق، فضعفت نفوسهم وفترت همتهم. وبلغ خبرهم إلى إيلك خان فسار في جمع من الأتراك إلى بخارى وأظهر لعبد الملك المودة والموالاة فظنوه صادقاً ولم يحترسوا منه، فقبض إيلك على الأمراء ودخل بخارى فهرب عبد الملك لكنه عاد وظفر به ثم مات، فكان آخر ملوك السامانية فانقضت دولتهم، وحبس آل سامان[2].

البيعة لولي العهد: في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة في ربيع الأول أمر القادر بالله بالبيعة لولده أبي الفضل بولاية العهد ولقبه الغالب بالله، وعمره يومئذ ثمان سنين وأربعة أشهر.

غزو الهند: في المحرم من سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة غزا السلطان محمود بن سبكتكتين الهند، فالتقاه صاحبها الملك «جيبال» ومعه ثلاثمائة فيل، فنصر الله السلطان محمود، وقتل من الهنود خمسة آلاف، وأسر جيبال في جماعة من قواده، ثم فدى نفسه ثم أحرقها[3].

سجستان بيد محمود: في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة نازل السلطان محمود بن سبكتكين سجستان، وأخذها من صاحبها خلف بن أحمد بالأمان، فاستناب عليها الحاجب «قنجي» من كبار قواد أبيه. فخرج عليه أهل سجستان بعد أشهر،

---

(١) الكامل ٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) المصدر السابق ٧/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٣٨١ ـ ٤٠٠ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

فسار محمود في عشرة آلاف وحاربهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة في ذي الحجة[1].

وفاة الطائع لله: وفيها في شوال توفي الطائع لله المخلوع بن المطيع لله؛ وحضر الأشراف والقضاة وغيرهم دار الخلافة للصلاة عليه والتعزية، وصلى عليه القادر بالله[2].

أفريقية: في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة كان بأفريقية غلاء شديد بحيث تعطلت المخابز وهلك الناس، وذهبت الأموال من الأغنياء، وكثر الوباء، فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة إلى سبعمائة من الناس[3].

أيلك في خراسان: بعد أن استقر أمر محمود بن سبكتكين في خراسان، وملك إيلك الخان ما وراء النهر، تراسلا وتزوج محمود ابنة إيلك. لكن السعاة أفسدوا ذات بينهما، فلما سار محمود إلى المولتان اغتنم إيلك الخان خلو خراسان، فسير «سُباشي تكين» صاحب جيشه، وسير أخاه «جعفر تكين» إلى بلخ، فاستولى سباشي على خراسان وجعفر على بلخ. فلما علم محمود بن سبكتكين بالأمر رجع وجهز جيشاً عظيماً حتى أعاد بلخ وخراسان[4]. وكان ذلك سنة ست وتسعين وثلاثمائة.

هزيمة أيلك: في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة استعان أيلك بقدر خان بن بغراخان ملك الختل واستنفر الترك، وسار لحرب محمود الغزنوي، فجمع الغزنوي جميع جنده واقتتلا، فهزموا أيلك وقدرخان، وتبعهم أصحاب يمين الدولة محمود يقتلون ويأسرون ويغنمون[5].

خروج أبي ركوة: وفي هذه السنة خرج أبو ركوة الأموي على الحاكم العبيدي صاحب مصر. وكان قد بايعه كثير من الناس على نصرة الأمويين، ولقب بالثائر بأمر الله المنتصر من أعداء الله، ونقشوا الدراهم والدنانير بألقابه، فالتف

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٨.

(٢) الكامل ٧/ ٢١٧.

(٣) المصدر السابق ٧/ ٢٢٧.

(٤) الكامل ٧/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٥) المصدر السابق ٧/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.

حوله ستة عشر ألفاً من الجنود. لكن وبعد رشوة من الحاكم بأمر الله عاد عن أبي ركوة مقدم جيشه الفضل بن عبدالله، وبعد خديعة أسر الحاكم بأمر الله أبا ركوة وقتله ثم قتل الفضل بن عبدالله[1].

وقعة نارين بالهند: في سنة أربعمائة سار يمين الدولة إلى الهند عازماً على غزوها، فاخترقها واستباحها ونكّسَ أصنامها، فصالحه ملك الهند على مال يؤديه وخمسين فيلاً، فعاد إلى غزنة[2].

الأندلس: في هذه السنة حصلت فتن هائلة في الأندلس، وانقضت أيام الأمويين وتفرقت الكلمة لكن عاد الأمويون واستولوا على الأمر وعليهم سليمان الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر وذلك في منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة[3].

إظهار قرواش الطاعة للحاكم: في سنة إحدى وأربعمائة أظهر قرواش بن المقلد العقيلي، الذي كان على الأنبار وأخذ الموصل، طاعة الحاكم بأمر الله، ودعا أهل الموصل لذلك فأجابوه في الظاهر. ثم دعا بذلك أهل الكوفة وأهل المدائن، فانزعج لذلك القادر بالله، وتهيأ عميد الجيوش لمحاربة قرواش، فلما علم قرواش بذلك رجع عن رأيه وندم على ما كان منه، وأعاد الخطبة للقادر[4].

أسر أمير بني خفاجة: في سنة ثلاث وأربعمائة أسر أمير نبي خفاجة واسمه فليته في جماعة من قومه، وكانوا قد اعترضوا الحجاج في السنة التي قبلها وهم راجعون، وغوَّروا مناهل المياه التي يردها الحجاج، ووضعوا فيها الحنظل، فهلك خمسة عشر ألف إنسان، ولم يفلت إلا العدد اليسير. فعذبهم السلطان هذه السنة حيث منعهم الماء، ثم صلبهم يرون صفاء الماء ولا يقدرون على شيء منه حتى ماتوا عطشاً جزاء وفاقاً[5].

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٣٣٧.

(٢) الكامل ٧/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٣٨١ ـ ٤٠٠ ص ٢٤٤، والكامل ٧/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩، والبداية والنهاية ١١/ ٣٤٨.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٤٠١ ـ ٤٢٠ ص ٥ ـ ٦، والبداية والنهاية ١١/ ٣٤٣.

(٥) البداية والنهاية ١١ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٣٨١ ـ ٤٠٠ ص ١٥ ـ ١٦.

وفاة أيلك: وفيها مات أيلك الخان صاحب ما وراء النهر الذي أخذها من آل سامان، فورث مملكته أخوه طغان خان، فمالأ السلطان محمد بن سبكتكين وهادنه. وكانت أول وقعة لطغان مع الصين، فنصره الله تعالى(١).

الدولة الثانية في الأندلس: وفي هذه السنة أيضاً ملك سليمان بن الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي، ولقب المستعين، وبايعه الناس وخرج أهل قرطبة إليه يسلمون عليه. وكان سليمان هذا أديباً شاعراً بليغاً، وكان البربر هم الحاكمون في دولته لا يقدر على خلافهم. لأنهم كانوا عامة جنده، وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه(٢).

وفاة بهاء الدولة: فيها توفي بهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي، واسمه فيروز أبو نصر صاحب بغداد، وهو الذي قبض على الطائع وولى القادر. وقام بالأمر من بعده ولده سلطان الدولة أبو شجاع(٣).

الترك والصين: في سنة أربع وأربعمائة كانت ملحمة هائلة بين ملك الترك طغان رحمه الله، وبين جيش الصين، فقتل فيها من الكفار نحو مائة ألف، ودامت الحرب أياماً، ثم انتصر المسلمون(٤).

مصر: في سنة خمس وأربعمائة منع الحاكم صاحب مصر النساء من الخروج من منازلهم ليلاً أو نهاراً، أو أن يطلعن من الأسطحة أو من الطاقات، ومنعهن من الخروج إلى الحمامات، وقتل خلقاً من النساء على مخالفته ذلك. وأكثر بنفسه من الخروج ليلاً ونهاراً في البلد للإطلاع على حسن تنفيذ القرار، فضاق الحال واشتد الأمر على النسوة، واستمر هذا الأمر حتى مات الحاكم(٥).

إفريقية: في سنة ست وأربعمائة اختلف الأمير باديس صاحب إفريقية وعمه حماد الذي كان ولاه بعض بلاد إفريقية، فلما أراد تولية ابنه المنصور بعض ما بيد

---

(١) تاريخ الإسلام حوادث ٣٨١ ـ ٤٠٠ ص ١٨.

(٢) الكامل ٧/ ٢٦٨، والبداية والنهاية ١١/ ٣٤٨.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٣٤٨.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٤٠١ ـ ٤٢٠ ص ٢٠، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٤٣.

(٥) البداية والنهاية ١١/ ٣٥٢.

حماد خلع حماد الطاعة، فالتقى حماد وباديس في جمادي الأولى ومعهما جيشهما واقتتلوا أشد قتال، حتى انهزم حماد وعسكره.

ثم توفي باديس في أواخر ذي القعدة من هذه السنة، وولي قواد باديس الأمر من بعده لابنه المعز بن باديس. فلما سمع حماد بالأمر أرسل ابنه إلى المعز فأكرمه وأعطاه شيئاً كثيراً واستقرت الأمور بينهما وتصاهرا بعد ذلك، واستقرت أمور إفريقية في عهدة[1].

محمود الغزنوي: وفي هذه السنة ملك محمود بن سبكتكين خوارزم وذلك بعد قتل مأمون بن مأمون المعروف بخوارزم شاه، واستناب محمود على خوارزم حاجبه التونتاش[2].

غزو الهند: وكعادته غزا يمين الدولة محمود الغزنوي بلاد الهند عازماً دخول كشمير، فأتاه رُسل الهند بالطاعة، ثم سار إلى كشمير فأتاه صاحبها وأسلم على يده، ثم سار في كشمير والهند وفتح حصوناً، وأسلم بعض تلك المناطق على يدي يمين الدولة[3].

الدولة العلوية بالأندلس: وفي المحرم من هذه السنة دخل علي بن حمود بن أبي العيس العلوي قرطبة، وقتل سليمان بن الحكم الأموي، وبايعه الناس وتلقب بالمتوكل على الله. ثم قُتل في ثامن ذي القعدة عن ثمان وأربعين سنة، وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حمود وتلقب بالمأمون، فأقام في الملك ست سنين، ثم قام ابن أخيه يحيى بن إدريس، ثم عاد الملك للأمويين سنة أربع عشرة وأربعمائة حتى ملك أمر المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين كما سيأتي[4].

وفاة طغان خان: في سنة ثمان وأربعمائة مات طغان خان بعد أن حارب الترك وقتل منهم الكثير، وملك الأمر بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان ولقب «شرف الدولة»، فتعاقد مع قدرخان يوسف بن بخرخان ملك بخارى على حرب

---

(١) الكامل ٧/ ٢٧٦ ـ ٢٧٩.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٥، والكامل ٧/ ٢٨٢.

(٣) الكامل ٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٤) البداية والنهاية ١٢ / ٥، وانظر مفصلاً الكامل ٧/ ٢٨٤ ـ ٢٩٤.

يمين الدولة، فتحاربوا فهزمهم يمين الدولة محمود بن سبكتكين[١].

الهند: في سنة تسع وأربعمائة وكعادته في كل سنة غزا محمود بن سبكتكين الهند، فدارت معركة مع ملك الهند انتصر فيها المسلمون، وقتل مقتلة عظيمة من الهنود. وأخذ المسلمون أموالاً عظيمة من الجواهر والذهب والفضة، وأخذوا أيضاً مائتي فيل. وأرسل ملك الهند بزوجيبال إلى يمين الدولة بالطاعة فرفض، ثم قتله بعض الهنود. وعاد يمين الدولة إلى غزنة منصوراً[٢].

قتل الحاكم الفاطمي: في سنة إحدى عشرة وأربعمائة ازداد ظلم الحاكم حتى قيل إنه ادّعى الربوبية، وتعدى شره حتى إلى أخته التي اتهمها بالفاحشة، فعملت على قتله واتفقت مع أحد الأمراء واسمه ابن دواس الذي اتفق مع عبدين على قتل الحاكم، وكان الموعد على جبل المقطم فقطّع العبدان يديه ورجليه وبقرا بطنه، وأتيا به ابن دواس، فحمله إلى أخته فدفنته في مجلس دارها. ثم بايع الأمراء والوزراء والأكابر ابنه أبا الحسن علي ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله، وكان بدمشق. ثم عملت شقيقة الحاكم «ست الملك» على قتل ابن دواس وكل من علم بسر قتل الحاكم، فعظمت هيبتها وقويت شوكتها، وكان عمر الحاكم يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة، ومدة ملكه خمساً وعشرين سنة[٣].

الحج: في سنة اثني عشرة وأربعمائة لجأ المسلمون إلى يمين الدولة محمود بن سبكتكين لتيسير طريق الحج بعد أن منع الناس من الحج سنتين متواصلتين لوجود قطّاع الطرق من العرب. فأمر يمين الدولة قاضيه أبا محمد الناصحي باصطحاب ركب الحاج وأعطاه ثلاثين ألف دينار لدفعها للعرب الذين يعترضون طريق الحجاج. فلما بلغ الركب فَيْد حاصرتهم العرب، فبذل لهم الناصحي خمسة آلاف دينار، فلم يقنعوا، فقتل أحد النبَّالين رأس العرب جماز بن عدي من نبلة أطلقها فوقعت في قلبه، فتفرق جمعهم، وسلم ركب الحاج هذا العام[٤].

---

(١) الكامل ٧/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٧، والكامل ٧/ ٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٩ ـ ١١، والكامل ٧/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧، وتاريخ الإسلام حوادث ٤٠١ ـ ٤٢٠ ص ٢٣٧ ـ ٢٤٣.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٤٠١ ـ ٤٢٠ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

صقلية: في سنة ستة عشر وأربعمائة خرج الروم إلى جزيرة صقلية في جمع كثير، وملكوا ما كان للمسلمين في جزيرة قلورية المجاورة لصقلية، وشرعوا في بناء المساكين ينتظرون الإمدادات مع ابن أخت الملك، فبلغ ذلك المعز بن باديس فجهز أسطولاً كبيراً عداده أربعمائة قطعة وجمع خلقاً كثيراً، فأبحر الأسطول فلما قرب من جزيرة قوصرة خرج عليهم ريح شديدة، ونوء عظيم فغرق أكثرهم ولم ينج إلّا اليسير[(١)].

العيارون: في هذه السنة ظهر أمر العيارين ببغداد، وعاثوا فساداً، وعظم شرهم، فقتلوا ناساً، ونهبوا الأموال، وأحرقوا الكرخ.

لكن في سنة سبع عشرة وأربعمائة قام لهم الأتراك، وحاربوهم، وأحرقوا الدور التي احتموا بها، فحفظت المحال والأموال، وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار لإثارتهم الفتن والشرور[(٢)].

إفريقية: في هذه السنة جاءت زناتة وكتامة إلى المعز بن باديس يطلبون الصلح والطاعة، فصالحهم ودخلوا تحت حكمه وشروطه بحفظ الطريق، وأعطوا العهود والمواثيق على ذلك. لكن زناته عادت وخرجت عن الطاعة في سنة عشرين وأربعمائة.

الهند: في سنة ثمان عشرة وأربعمائة توغل محمود بن سبكتكين داخل بلاد الهند حتى وصل إلى حصن عظيم فيه صنم يدعى سومنات، الذي كانت الناس من الهنود يأتونه للحج والعبادة عنده، فأخذه محمود وكسره فوجد فيه جواهر عظيمة[(٣)].

السلاجقة: في سنة عشرين وأربعمائة أوقع يمين الدولة بالأتراك الغزية وفرقهم في بلاده، لأنهم كانوا قد أفسدوا فيها، وهؤلاء هم أصحاب أرسلان بن سلجوق التركي، وكانوا في نواحي بخارى[(٤)].

---

(١) الكامل ٧/ ٣٢٣.
(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٤٠١ ـ ٤٢٠ ص ٢٥٨. والبداية والنهاية ١٢ / ٢٠.
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٤٠١ ـ ٤٢٠ ص ٢٦١.
(٤) الكامل ٧/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

وفاة يمين الدولة: في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة توفي الملك الكبير المجاهد الغازي، فاتح بلاد الهند محمود بن سبكتكين رحمه الله، صاحب بلاد غزنة، ومالك تلك الممالك الكبار. حيث مرض نحواً من سنتين لم يضطجع فيهما على فراش، ولا توسد وساداً، بل كان يتكيء جالساً. فلما حضره الموت أوصى بالملك لابنه محمد وكان أصغر من مسعود، فلم يتم الأمر لمحمد بل استحوذ مسعود على الممالك، وكان مسعود مقدم في الغزوات ويحترمه الجند(١).

ولاية العهد: وفيها مرض أمير المؤمنين القادر بالله وعهد بولاية العهد من بعده إلى ولده أبي جعفر القائم بأمر الله، وذلك بمحضر من القضاة والوزراء والأمراء(٢).

الروم: وفيها سار الروم إلى الشام حتى صاروا قريباً من حلب، وهم يريدون الاستيلاء على الشام كلها، وكان على حلب شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، فأرسل الله عليهم عطشاً شديداً، وخالف بين كلمتهم، وكان معه مائة ألف من العرب، فلما افترقت الكلمة هرب الدمستق، فلحق به العرب يقتلون من جنده وينهبون ما معهم من مال(٣).

وفاة القادر بالله: في سنة اثنين وعشرين وأربعمائة في ذي الحجة توفي أمير المؤمنين القادر بالله، وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر، ومدة خلافته إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر وعشرون يوماً. وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والأتراك، فلما وليها القادر بالله أعاد جدتها ورونقها، وجدد ناموسها، وألقى الله هيبته في قلوب الخلق فأطاعوه أحسن طاعة وأتمها(٤).

أهم الوفيات في عهده

في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة توفي جوهر بن عبدالله القائد باني القاهرة.
وفي سنة إثنين وثمانين وثلاثمائة توفي محمد بن العباس بن محمد أبو عمر القزاز

---

(١) الكامل ٧/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧، والبداية والنهاية ١٢ / ٢٧.
(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٢٨.
(٣) المصدر السابق ١٢ / ٢٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٤٢١ ـ ٤٤٠ ص ٦.
(٤) الكامل ٧/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

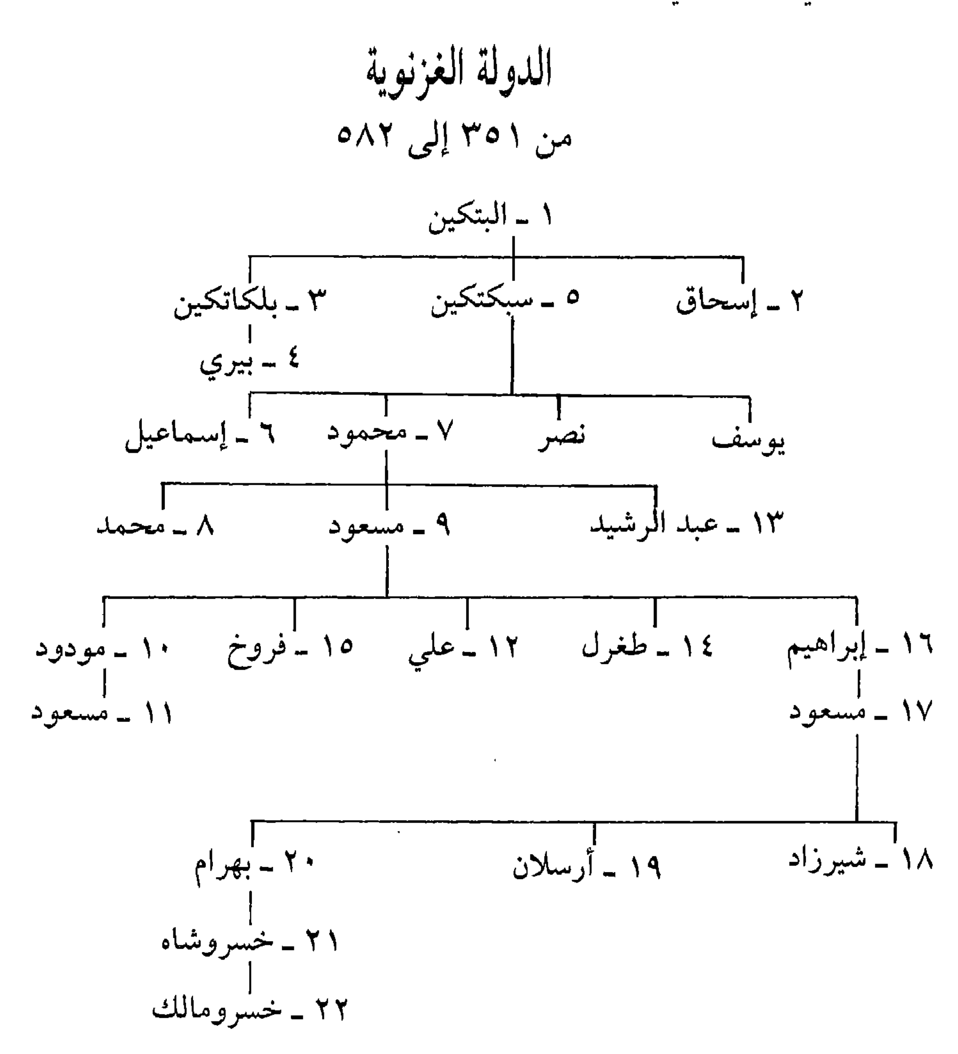
المعروف بابن حبوة المحدث الثقة صاحب المصنفات. وفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة توفي الصاحب بن عباد واسمه إسماعيل الطالقاني الوزير المشهور لمؤيد الدولة، وله مصنفات في فنون العلم. وفيها توفي الحافظ الدارقطني علي بن عمر أستاذ صناعة الحديث، وفي سنة ثمانين وثلاثمائة توفي أبو طالب المكي الواعظ المذكر الزاهد المتعبد صاحب كتاب قوت القلوب. وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة توفي الإمام الكبير الحافظ ابن بطة أبو عبدالله عبيد الله بن محمد العكبري الفقيه الحنبلي. وفيها توفي أبو الحسين بن سمعون الإمام القدوة البغدادي الواعظ صاحب المقامات وفي سنة تسعين توفي ابن فارس اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي اللغوي كان إماماً في علوم شتى. وفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة توفي أبو الفتح ابن جني عثمان بن جني الموصلي النحوي صاحب التصانيف وله شعر حسن. وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة توفي الجوهري صاحب الصحاح أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي اللغوي أحد أئمة اللسان. وفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة توفي أبو عبدالله بن منده الحافظ العلم محمد بن إسحاق الأصبهاني الجوال صاحب التصانيف. وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة توفي عبد الصمد ابن عمر أبو القاسم الدينوري الواعظ الزاهد. وفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة توفي بديع الزمان الهمذاني أحمد بن الحسين صاحب المقامات.

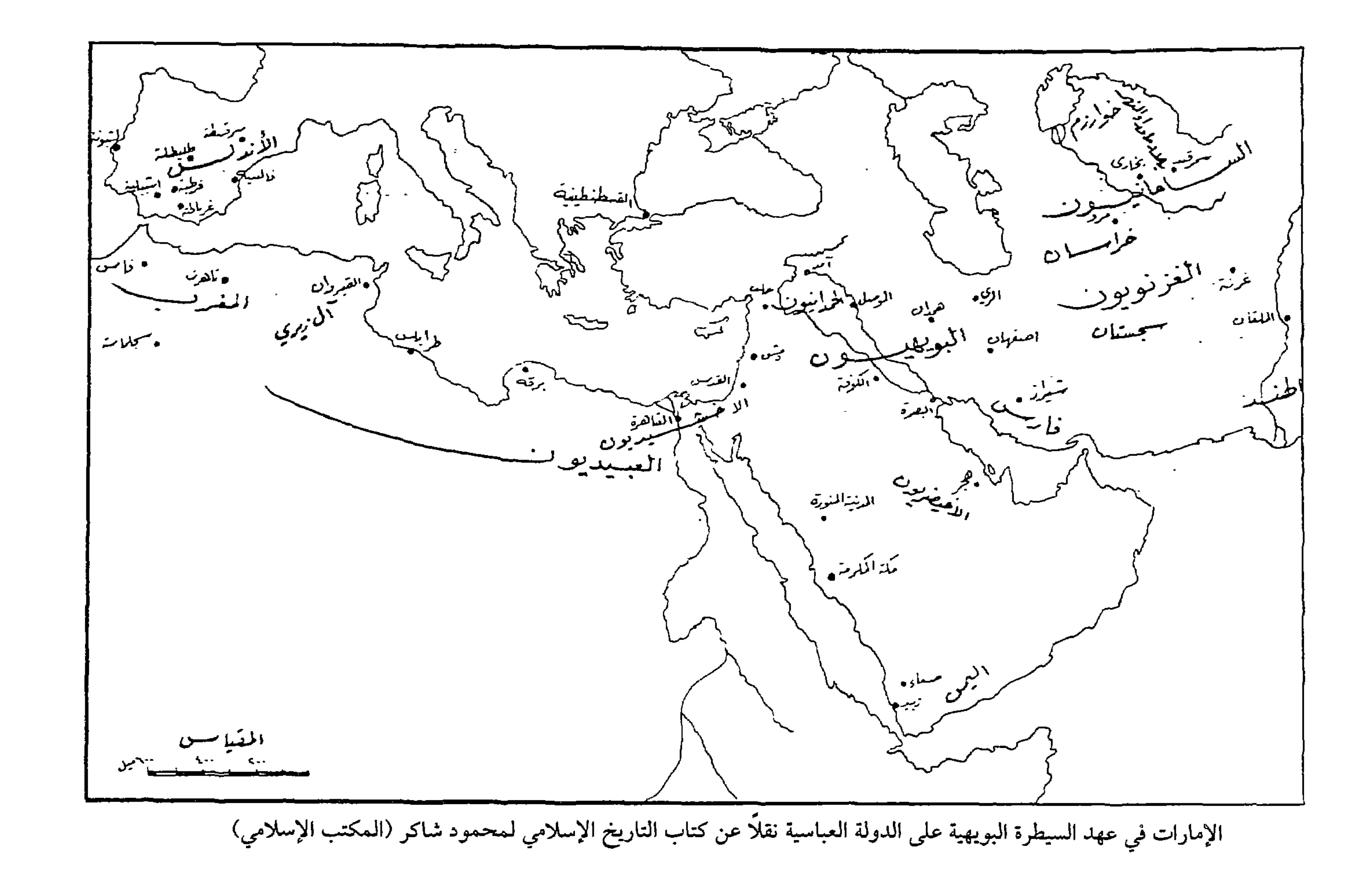
وفي سنة ثلاث وأربعمائة توفي الحسن بن حامد بن علي الوراق الحنبلي مدرس أصحاب أحمد وفقيههم في زمانه. وفيها توفي أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب كان رأس المتكلمين على مذهب الشافعي. وفي سنة خمس وأربعمائة توفي الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك. وفي سنة ست وأربعمائة مات الشيخ أبو حامد الأسفراييني إمام الشافعية في زمانه. وفي سنة سبع وأربعمائة توفي أحمد بن يوسف أبو عبدالله البزار أحد حفاظ الحديث وأحد الفقهاء على مذهب الإمام مالك. وفي سنة ثمان وأربعمائة توفي عبد الغني بن سعيد أبو محمد الأزدي المصري الحافظ صاحب المصنفات الكثيرة. وفي سنة عشرة وأربعمائة توفي هبة الله بن سلامة أبو القاسم الضرير المقرىء المفسر. وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة مات ابن البواب الكاتب علي بن هلال صاحب الخط المعروف وفي سنة سبع عشرة وأربعمائة توفي أحمد بن محمد بن عبدالله أبو الحسن القرشي قاضي قضاة

بغداد. وفيها توفي القفال المروزي أحد أئمة الشافعية الكبار. وفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة توفي القدوري أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن القدوري الحنفي المشهور في مذهب أبي حنيفة.

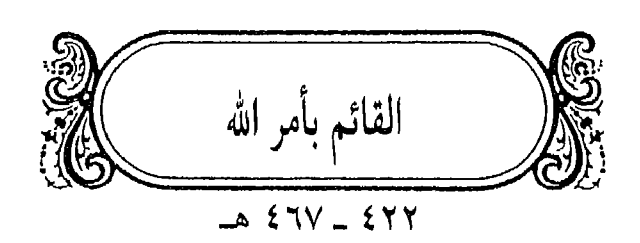
الدولة الغزنوية

من ٣٥١ إلى ٥٨٢





الإمارات في عهد السيطرة البويهية على الدولة العباسية نقلاً عن كتاب التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر (المكتب الإسلامي)



القائم بأمر الله

٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ

نسبه وحياته: هو أبو جعفر عبدالله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله العباسي. وأمه أم ولد أرمنية اسمها بدر الدجي، وقيل قطر الندى. وكان مولده يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة.

وكان مؤثراً للعدل والإنصاف يريد قضاء حوائج الناس، لا يرى المنع من شيء يطلب منه. ولم يزل أمر القائم بأمر الله مستقيماً يتصرف بالخلافة بما يراه هو لا بما يراه وزراءه، حتى قبض عليه في سنة خمسين وأربعمائة. وقد قيل إنه لما عاد إلى منزله بعد القبض عليه لم ينم بعدها إلاّ على فراش مصلاه، ولزم القيام والصيام، وعفا عن كل من آذاه، ولم يسترد شيئاً مما نهب من قصره إلاّ بالثمن.

تولّيه الخلافة: لما مات القادر بالله جلس في الخلافة ابنه القائم بأمر الله، وجددت له البيعة، حيث كان هو ولي عهده في الحياة، وهو الذي لقبه بالقائم بأمر الله. فاستقرت الخلافة له. وأول من بايعه الشريف أبو القاسم المرتضى. وأرسل القائم قاضي القضاة أبا الحسن الماوردي إلى الملك أبي كاليجار ليأخذ عليه البيعة ويخطب له في بلاده. فأجاب وبايع وخطب له في بلاده، وأرسل إليه هدايا جليلة وأموالاً كثيرة[1].

جلال الدولة: في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة خرج جلال الدولة أبو طاهر سلطان بغداد البويهي منفياً إلى البصرة من قبل الأتراك، ونهبوا منزله. وكاتبوا أبا

---

(١) انظر ترجمته في: الكامل ٧/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ و٨/ ١٢٠، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨، وشذرات الذهب ٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧، والبداية والنهاية ١٢ / ٣١ ـ ٣٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٤٢١ ـ ٤٤٠ ص ١٢ ـ ١٣، وتاريخ الخلفاء ص ٤١٧ ـ ٤٢٠.

كاليجار ليأتي إلى بغداد. وإفتقر جلال الدولة حتى باع بعض ثيابه في الأسواق، فلما تأخر مجيء أبي كاليجار، كاتب الأتراك جلال الدولة يعتذرون إليه[1].

غزو الهند: في سنة خمس وعشرين وأربعمائة غزا السلطان مسعود بن محمود الغزنوي بلاد الهند، وفتح حصوناً كثيرة. وأعاد نائبه أحمد ينالتكين إلى طاعته. وكان عازماً المقام طويلاً، لكن أتاه من خراسان خبر غزو السلاجقة فعاد[2] ثم قتل مسعود أحمد ينالتكين سنة ست وعشرين وأربعمائة بعد أن عصى مرة أخرى[3].

البساسيري: وفيها استخلف أرسلان التركي المعروف بالبساسيري حماية الجانب الغربي ببغداد، لأن العيارين اشتد أمرهم وعظم فسادهم، وعجز عنهم نواب السلطان، فاستعملوا البساسيري لكفايته ونهضته[4].

حال الخلافة والسلطنة ببغداد: في سنة ست وعشرين وأربعمائة انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد، حتى إن بعض الجند خرجوا إلى قرية يحيى، فلقيهم أكراد فأخذوا دوابهم، فعادوا فنهبوا شيئاً من ثمار الخليفة وقالوا للعاملين أنتم عرفتم حال الأكراد ولم تعلمونا، فسمع الخليفة الحال فعظم عليه، ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الأتراك لعجزه ووهنه. وعظم أمر العيارين، وصاروا يأخذون الأموال ليلاً ونهاراً لا مانع لهم، لأن الجند كانوا يحمون السلطان ونوابه، والسلطان عاجز عن قهرهم. وقطع العرب الطريق، وبلغوا إلى أطراف بغداد[5].

جلال الدولة: في سنة سبع وعشرين وأربعمائة شغب الجند على جلال الدولة، فخرج من بغداد خلسة، وانتهب الجنود داره. ثم عاد الجند واعتذروا إليه[6].

وفاة الظاهر العلوي: في هذه السنة توفي صاحب مصر الظاهر أبو الحسن علي بن الحاكم الفاطمي، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة، وقام بالأمر من بعده

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٣٣ ـ ٣٤.
(٢) الكامل ٨/ ٥ ـ ٦.
(٣) المصدر السابق ٨/ ٨.
(٤) المصدر السابق ٨/ ٧.
(٥) المصدر السابق ٨/ ٨، والبداية والنهاية ١٢ / ٣٧.
(٦) تاريخ الإسلام حوادث ٤٢١ ـ ٤٤٠ ص ٣٧.

ولده المستنصر أبو تميم معد. وكانت مدة ولايته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر، وكان له مصر والشام والخطبة له بإفريقية. وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفاً للرعية، إلاّ إنه اشتغل بلذاته(١).

وفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة تم الصلح بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليجار سلطان الدولة، وتم عقد قران لأبي منصور بن أبي كاليجار على ابنه جلال الدولة.

بداية ملك السلاجقة: في سنة تسع وعشرين وأربعمائة استولى ركن الدولة أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل ابن سلجوق على نيسابور، وجلس على سرير ملكها، وبعث أخاه داود إلى بلاد خراسان فملكها وانتزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين(٢).

شاهنشاه: وفي هذه السنة زيد في ألقاب جلال الدولة: «شاهنشاه الأعظم» يعني ملك الملوك، واختلف الفقهاء في جواز التسمية، فكتب الطبري أبو الطيب أنّ ذلك جائز والمراد بها: «ملك ملوك الأرض»(٣).

السلاجقة: في سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة عظم شأن السلطان طغرلبك محمد وشقيقه داود بن ميكائيل بن سلجوق بن بغاق. وقد كان جدّهم بغاق هذا من مشايخ الترك القدماء الذين لهم رأي ومكيدة عند ملكهم الأعظم. ونشأ ولده سلجوق نجيباً شهماً، فقدّمه الملك ولقبه شباسي، فأطاعته الجيوش وانقاد له الناس، حتى تخوّف منه الملك وأراد قتله، فهرب منه إلى بلاد المسلمين، فأسلم وازداد عزّاً وعلوّاً. ثم توفي عن مائة وسبع سنين، وخلف أرسلان وميكائيل وموسى. أما ميكائيل فاعتنى بقتال الكفار من الأتراك حتى قتل شهيداً. وخلف ولديه طغرلبك محمد، وجعفر بك داود، فعظم شأنهما في بني عمهما، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين، وهم ترك الإيمان الذين يقول لهم الناس **تركمان**، وهم

---

(١) الكامل ٨/ ١٠ ـ ١١، والبداية والنهاية ١٢ / ٣٩ ـ ٤٠، وتاريخ الخلفاء وفيه أن وفاته كانت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ص ٤١٩.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٤٣، وانظر ذلك مفصلاً في الكامل ٨/ ١٥ ـ ١٦.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٤٢١ ـ ٤٤٠ ص ٤٠ ـ ٤١.

السلاجقة. فأخذوا بلاد خراسان بكمالها بعد موت محمود بن سبكتكين وانهزام ابنه مسعود مراراً، وقد تقدّم شيء من ذلك[١].

قتل مسعود وولاية أخيه أحمد: خرج الملك مسعود إلى الهند وترك مع ولده مودود جيشاً كثيفاً خوفاً من السلاجقة، فنهب جند مسعود ما معه من الحواصل، واجتمعوا على تولية أخيه محمد بن محمود بن سبكتكين. فترك محمد أخاه مسعوداً ليختار مكاناً يعيش فيه. ثم إنّ الملك محمداً جعل لولده أحمد الأمر من بعده، وبايع الجيش له. فاتفق أحمد ويوسف بن سبكتكين فقتلا مسعوداً ليصفوا لهم الأمر. فغضب محمد من ابنه. فلما علم مودود بن مسعود بقتل والده، جمع الجموع وحارب عمه فقتله وقتل ابنه أحمد وبني عمه كلهم. ثم سار إلى غزنة فدخلها في شعبان وأظهر العدل وسلك سيرة جده محمود، فأطاعه الناس، وكتب إليه أصحاب الأطراف بالإنقياد والاتباع والطاعة[٢].

موت علاء الدولة: في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة مات علاء الدولة أبو جعفر بن كاكويه متولي أصبهان. فقام بأصبهان بعده ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز مقامه وهو أكبر أولاده، وأطاعه الجند بها، فأقام الدعوة لأبي كاليجار[٣].

الاعتقاد القادري: وفي هذه السنة قرىء الاعتقاد القادري الذي جمعه الخليفة القادر، وحضر ذلك العلماء والزهاد، وكتبوا بخطهم بالموافقة على هذا الاعتقاد ومن خالفه فقد خالف وفسق وكفر.

الزلزال بتبريز: وفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة حصل زلزال عنيف بتبريز، هدم القلعة وسورها ودورها وأكثر دار الإمارة، وسلم الأمير لكونه في بستانه. وهلك تحت الهدم خمسون ألفاً، ولبس الأمير السواد لعظم هذا المصاب[٤].

السلاجقة: وفي هذه السنة أيضاً استولى طغرلبك على أكثر البلاد الشرقية،

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٤٨، وانظر ذلك مفصلا في الكامل ٨/ ٢١ ـ ٢٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٤٨ ـ ٤٩.

(٣) الكامل ٨/ ٣٠.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٤٢١ ـ ٤٢٠ ص ٤٢٥.

من ذلك مدينة خوارزم ودهستان وطيس والري وبلاد الجبل وكرمان وأعمالها وقزوين، وعظم شأنه جداً، واتسع صيته[١].

وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار: في هذه السنة في شعبان توفي الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ببغداد، وكان ذلك من ورم في كبده. فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كاليجار. وخرج منها أبو منصور بن جلال الدولة[٢].

طاعة المعز بأفريقية: وفي هذه السنة أظهر المعز ببلاد أفريقية الدعاء للدولة العباسية، وخطب للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين.

صلح طغرلبك وأبي كاليجار: في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة اصطلح الملك طغرلبك وأبو كاليجار، وتزوج طغرلبك بابنته، وتزوج أبو منصور بن كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك[٣].

موت أبي كاليجار: في سنة أربعين وأربعمائة توفي الملك أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة في جمادى الأولى، وكان مرض وهو في برية، ففصد في يوم ثلاث مرات فمات بعدها، وانتهب الغلمان الخزائن والسلاح. وولي بعده ابنه أبو نصر، وسموه الملك الرحيم.

وفاة مودود الغزنوي: في رجب من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة توفي أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وعمره تسع وعشرين سنة. فقام في الملك بعده ولده فبقي خمسة أيام، ثم عدل الناس عنه إلى عمه علي بن مسعود، لكن عم مودود عبد الرشيد نزل إلى العسكر ودعاهم إلى طاعته فأجابوه، فاستقر الأمر لعبد الرشيد ولقب شمس دين الله سيف الدولة[٤].

حلب: فيها ملك المصريون مدينة حلب، وأجلوا عنها صاحبها ثمال بن

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٥٠، والكامل ٨/ ٣٣ ـ ٣٥.
(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٥١، والكامل ٨/ ٣٧.
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٥٦.
(٤) الكامل ٨/ ٥٢ ـ ٥٣.

صالح بن مرداس، وكان المصريون قد حاولوا قبل ذلك أخذ حلب فلم يقدروا عليها[1].

ملك طغرلبك أصبهان: في سنة اثنين وأربعين وأربعمائة ملك طغرلبك أصبهان بعد حصار دام سنة، فنقل دار إقامته من الري إليها[2].

الخوارج: وفي هذه السنة استولى الخوارج المقيمون بجبال عمان على مدينة عمان، وانهزم عنها الأمير أبو المظفر ابن الملك أبو كاليجار، فملكها رجل من الخوارج يقال له ابن راشد، فخرب دار الإمارة، وأظهر العدل بين الناس[3].

دخول العرب إلى أفريقية: لما قطع المعز بن باديس خطبة المستنصر العلوي صاحب مصر، وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله، أغرى المستنصر العرب بدخول أفريقية للعمل على إضعاف ابن باديس. فدخلوها[4] واستوطنوا أرض برقة، وكان أهلها من زناتة قد أبادهم المعز الفاطمي، فعمل العرب على قطع الطرق والإغارة على البلاد الآمنة. ثم وقعت الحرب بين المعز بن باديس ومعه صنهاجة من ناحية، والعرب من ناحية أخرى، وكان عدد جند المعز ستين ألفاً، والعرب ثلاثة آلاف، فتخاذلت صنهاجة عن المعز، فانهزم جند المعز. وحاول حربهم عدة مرات كان ينهزم فيها المعز. وشرعت العرب في هدم الحصون والقصور، ونقل المعز الناس إلى المهدية ودخل العرب القيروان وذلك سنة تسع وأربعين وأربعمائة، ودخلوا بعد ذلك مناطق عديدة كان ينهزم فيها أهل أفريقية[5].

أحوال الملك الرحيم: في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة استولى الملك الرحيم ابن أبي كاليجار المرزبان على رامهرمز واصطخر وشيراز، وانهزم الملك الرحيم بالأهواز حيث ساعد طغرلبك أهل الأهواز فأمدهم بجيش من عنده[6].

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٥٩.

(٢) المصدر السابق ١٢ / ٦١.

(٣) الكامل ٨/ ٥٥.

(٤) كانوا ثلاث قبائل: رياح والأسبج وبنو عدي.

(٥) الكامل ٨/ ٥٥ ـ ٥٧.

(٦) الكامل ٨/ ٥٧ ـ ٥٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

قتل عبد الرشيد: في سنة أربع وأربعين وأربعمائة قتل عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، قتله طغرلبك واستولى على غزنة[1].

وفاة قرواش: في مستهل رجب من هذه السنة مات معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد العقيلي الذي كان صاحب الموصل محبوساً بقلعة الجراحية من أعمال الموصل[2].

استيلاء الملك الرحيم على البصرة: وفي شعبان من هذه السنة أيضاً سير الملك الرحيم جيشاً مع الوزير بصيرة البساسيري إلى البصرة، وبها أخوه أبو علي بن أبي كاليجار، فاقتتلوا فانهزم أهل البصرة، واستأمن إلى البساسيري قبائل ربيعة ومضر، وأطاعه أهل خوزستان، فولى الملك الرحيم وزيره البساسيري البصرة[3].

دخول البساسيري بغداد: في سنة ست وأربعين وأربعمائة دخل البساسيري بغداد مع بني خفاجة، وأظهر نفوره من الخليفة، فراسله الخليفة لتطيب نفسه، ثم خرج إلى الأنبار فأخذها، ثم قويت الوحشة بين الخليفة والبساسيري[4].

ملك طغرلبك بغداد: في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ملك طغرلبك أول ملوك السلاجقة بغداد، ملكها وبلاد العراق. ووعد أن يحسن إلى الأتراك الذين في بغداد، وخطب لطغرلبك في المساجد. وأرسل طغرلبك إلى الخليفة يستأذنه في دخول بغداد فأذن له. فخرج الوزير رئيس الرؤساء إلى لقائه في موكب عظيم من القضاة والنقباء والأشراف والخدم وأعيان الدولة[5].

طغرلبك والملك الرحيم: صاح الناس لمشكلة حصلت مع بعض جند طغرلبك في أحد الأسواق، فظن الناس أنّ الملك الرحيم أراد الحرب، فارتج البلد من أقطاره، وصار العامة يقتلون من رأوه من عسكر طغرلبك، فقاتل عسكر

---

(١) الكامل ٨/ ٦١ ـ ٦٢.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٦٣.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٦، والكامل ٨/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) البداية والنهاية ١٢ / ٦٥، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٩، والكامل ٨ / ٧١.

طغرلبك العامة فانهزم العامة. ثم قبض على الملك الرحيم وحمل إلى قلعة السيروان، وكانت ولايته على بغداد ست سنين، والتجأ كثير من أتباع الملك الرحيم إلى البساسيري فكثر جمعه. وكان الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه. وكانت مدة ولايتهم قريب المائة والعشر سنين(١).

دولة الملثمين: في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ظهرت دولة الملثمين ببلاد المغرب وهم قبائل ينسبون إلى حمير دخلوا المغرب مع موسى بن نصير، وأظهروا إعزاز الدين وكلمة الحق، واستولوا على بلاد كثيرة منها سجلماسة وأعمالها السوس، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها. وأول ملوك الملثمين رجل يقال له أبو بكر بن عمر. فلما ملك سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني، فأحسن يوسف السيرة في الرعية. ثم جهز أبو بكر مع يوسف جيشاً من المرابطين إلى السوس، ففتح على يديه(٢).

البساسيري: فيها جاء البساسيري إلى الموصل في جيش كثيف فاقتتل مع صاحبها قريش بن بدران فهزمه البساسيري، فأخذ البلد قهراً وخطب البساسيري للمصريين، ثم خطب للمصريين أيضاً في الكوفة وواسط وغيرها من البلاد. فسار إليه طغرلبك وأخذ الموصل وسلمها إلى أخيه إبراهيم ينال(٣).

فتنة البساسيري: في سنة خمسين وأربعمائة ترك إبراهيم ينال الموصل ودخلها البساسيري ومعه قريش بن بدران أمير العرب، فسار إليه طغرلبك سريعاً فاسترد الموصل وهرب قريش والبساسيري فتبعهما إلى نصيبين، وهرب إبراهيم ينال من أخيه إلى همذان وعصاه فلحق به ببعض جنده، فوصل الخبر بانهزام طغرل بهمذان، فاضطربت بغداد. وركبت الخاتون زوجة طغرلبك في جمهور من الجيش إلى همذان لأجل زوجها، وبقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة، ولم يقبل الخليفة الرحيل عن بغداد، واستعملوا العوام للدفاع عن دار الخليفة.

فلما كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من هذه السنة جاء البساسيري إلى

(١) الكامل ٨/ ٧١ ـ ٧٢، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٩، والبداية والنهاية ١٢ / ٦٦.
(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٦٩، والكامل ٨/ ٧٤ ـ ٧٦.
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٦٩.

بغداد ومعه الرايات البيض المصرية، فسمح له الرافضة من أهل الكرخ بالمرور من عندهم، وحصل نهب للدور، وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدي، وحوصرت دار الخلافة، فخرج الخليفة منها وأمَّنه قريش بن بدران، فنهبت دار الخلافة، واتفق قريش والبساسيري على تسييره إلى «حديثة عانة» ليبقى عند الأمير مهارش بن مجلى الندوي، فسيَّراه، وبقي عند مهارش سنة كاملة وليس معه أحد من أهله[1].

عود الخليفة إلى بغداد: في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وبعد أن فرغ السلطان طغرلبك من أخيه إبراهيم ينال، سار إلى بغداد، وراسل قريش بن بدران يستميله ويغريه بإمارة بغداد فوافق على ذلك، ودخل طغرلبك بغداد ونهبت البلد إلاّ دار الخلافة. وأرسل طغرل ليأتي بالخليفة في خدم وأبهة يليقان بالخليفة. فعاد بعد ذلك الخليفة إلى بغداد، وأظهر طغرل عذره لتأخره في إنقاذ الخليفة، واستأذنه للذهاب خلف البساسيري[2].

مقتل البَساسيري: أرسل طغرلبك سرية خلف البساسيري، فالتقت السرية به بأرض واسط فاقتتلوا فهرب البساسيري وانهزم جيشه، فلحق به أحد الغلمان وقتله[3].

موت ابن باديس: في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة توفي المعز بن باديس صاحب أفريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد، وكانت مدة ملكه سبعاً وأربعين سنة، وكان عمره لما ملك إحدى عشرة سنة وقيل ثمان سنين. وكان رقيق القلب خاشعاً متجنباً لسفك الدماء إلاّ في حد، مكرماً لأهل العلم كثير العطاء. ولما توفي ملك بعده ابنه تميم، وكان مولد تميم بالمنصورية التي هي مقرّه منتصف رجب سنة اثنين وعشرين وأربعمائة[4].

وزراء القائم: لما عاد القائم إلى بغداد ولّى أبا تراب الأشيري على الأنهار

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٧٦ ـ ٧٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤.
(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٨١ ـ ٨٣، وتاريخ الخلفاء ص ٤١٨، والكامل ٨/ ٨٥ ـ ٨٦.
(٣) الكامل ٨/ ٨٦ ـ ٨٧.
(٤) الكامل ٨/ ٩١.

وحضور المراكب ولقبه حاجب الحجاب. ثم سعى الشيخ أبو منصور في وزارة أبي الفتح بن أحمد بن دارست على أن يحمل مالاً فأجيب وأحضر من الأهواز في منتصف ربيع من سنة ثلاث وخمسين فاستوزر. وكان من قبل تاجراً لأبي كاليجار، ثم ظهر عجزه في استيفاء الأموال فعزله وعاد إلى الأهواز، وقدم إثر ذلك أبو نصر بن جهير وزير نصير الدولة بن مروان نازعاً منه إلى الخليفة القائم فقبله واستوزره ولقبه فخر الدولة[1].

عقد طغرلبك على ابنة الخليفة: في سنة أربع وخمسين وأربعمائة زوج الخليفة ابنته لطغرلبك بعد أن حاول الخليفة بكل ممكن الممانعة، وهذا أمر لم ينله أحد من ملوك بني بويه مع قهرهم الخلفاء وتحكمهم فيهم[2].

وفاة طغرلبك: في سنة خمس وخمسين وأربعمائة توفي الملك طغرلبك في الثامن من رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريباً، وكان عقيماً لم يلد ولدا، وكان قد ملك بحضرة القائم بأمر الله سبع سنين وإحدى عشر شهراً، وكانت مدة ملكه سبع سنين وأحد عشر شهراً. وبعد وفاته اضطربت الأحوال في بغداد، وعاثت الأعراب في سواد بغداد وأرض العراق فساداً ونهباً. وملك بعد طغرلبك ابن أخيه سليمان بن داود جغري بك. وأخذ عضد الدولة ألب أرسلان محمد بن داود جغري بك خراسان ومال إليه عميد الملك الكندري الذي قتله ألب بعد ذلك[3].

المدرسة النظامية: في سنة تسع وخمسين وأربعمائة فرغ من بناء المدرسة النظامية ببغداد، وقرر لتدريسها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، فاجتمع الناس فلم يحضر واختفى لعلمه أن مكان المدرسة مغصوب، فدرس ابن الصباغ صاحب الشامل فيها، ثم تلطفوا بأبي إسحاق الشيرازي حتى أجاب ودرس، وكان لا يصلّي فيها صلاة مكتوبة[4].

حريق جامع دمشق: في النصف من شعبان من سنة إحدى وستين وأربعمائة

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٦٦.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٤٢٠، والبداية والنهاية ١٢ / ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٨٩، والكامل ٨/ ٩٤ ـ ٩٦.

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٤٢٠ ـ ٤٢١، والبداية والنهاية ١٢ / ٩٥ ـ ٩٦.

اختصم غلمان الفاطميين والعباسيين في دمشق، فألقيت نار بدار الملك المتاخمة للجامع فاحترقت، وسرى الحريق إلى الجامع الأموي فسقطت سقوفه، وتناثرت فصوصه المذهبة، وتغيّرت معالمه، فصارت أرضه طيناً في زمن الشتاء، وغباراً في زمن الصيف، ولم يزل كذلك حتى بُلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب بعد الستمائة من الهجرة، وفرغ منها في زمن العادل نور الدين محمود بن زنكي، ثم جددت بعد ذلك الملوك في محاسنة[1].

الغلاء: في سنة اثنين وستين وأربعمائة ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة فضرب ذلك دراهم ودنانير. وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي. وفيها كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاث أفراس[2].

مقتل ألب أرسلان: كان السلطان ألب أرسلان قد سار أول سنة خمس وستين وأربعمائة يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر، فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي، فأوقف بين يديه يعاتبه، فأمر السلطان بصلبه، فنعته يوسف بالمخنث، فرماه السلطان بسهم فأخطأه، فأخذ يوسف خنجراً فضرب به السلطان في خاصرته فقتله، وقتل الجيش يوسف.

فلما توفي جلس ولده ملكشاه على سرير الملك، وقام بالوزارة له نظام الملك. فلما وصل الخبر إلى بغداد أقيمت مجالس العزاء، وجزع عليه الخليفة. ولقب الخليفة ملكشاه «أتابك الجيوش» ومعناه الأمير الكبير الوالد[3].

وفاة الخليفة: في صفر من سنة سبع وستين وأربعمائة مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديداً انتفخ منه حلقه، فلم يزل الوزير فخر الدولة عليه حتى افتصد وانصلح حاله.

وفي رجب افتصد الخليفة من بواسير كانت تعتاده، فنام فانفجر فصاده ولم

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٩٧ ـ ٩٨، والكامل ٨/ ١٠٧، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩.
(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٩٩.
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ١٠٦، والكامل ٨/ ١١٢ ـ ١١٣.

يشعر إلاّ بعد أن خارت قواه، فاستدعى حفيده وولي عهده عدة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم، وجدّد له ولاية العهد. ثم كانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن أربع وتسعين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام. وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً، ولم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة[1].

أهم الوفيات في عهده

في سنة خمس وعشرين وأربعمائة توفي الحافظ أبو بكر المعروف بالبرقاني كان عالماً بالقرآن والحديث والفقه والنحو. وفيها توفي أبو العباس الأبيوردي أحد أئمة الشافعية. وفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة توفي أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري المفسر المشهور. وفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة توفي مهيار ابن مرزويه الديلمي الشاعر الكاتب. وفيها مات الطبيب الفيلسوف أبو علي بن سينا الرئيس. وفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة توفي أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري اللغوي صاحب يتيمة الدهر. وفي سنة ثلاثين وأربعمائة توفي أحمد بن عبد الله الحافظ أبو نعيم الأصبهاني صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة. وفيها توفي أبو زيد الدبوسي عبد الله بن عمر الفقيه الحنفي واضع علم الخلاف.

وفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة توفي الشريف المرتضى علي بن الحسين، وفيها توفي أبو الحسين البصري المعتزلي المتكلم، شيخ المعتزلة. وفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة توفي الشيخ أبو محمد الجويني إمام الشافعية. وفي سنة تسع وثلاثين وأربعمائة توفي الشيخ أبو علي السنجي شيخ الشافعية في زمانه.

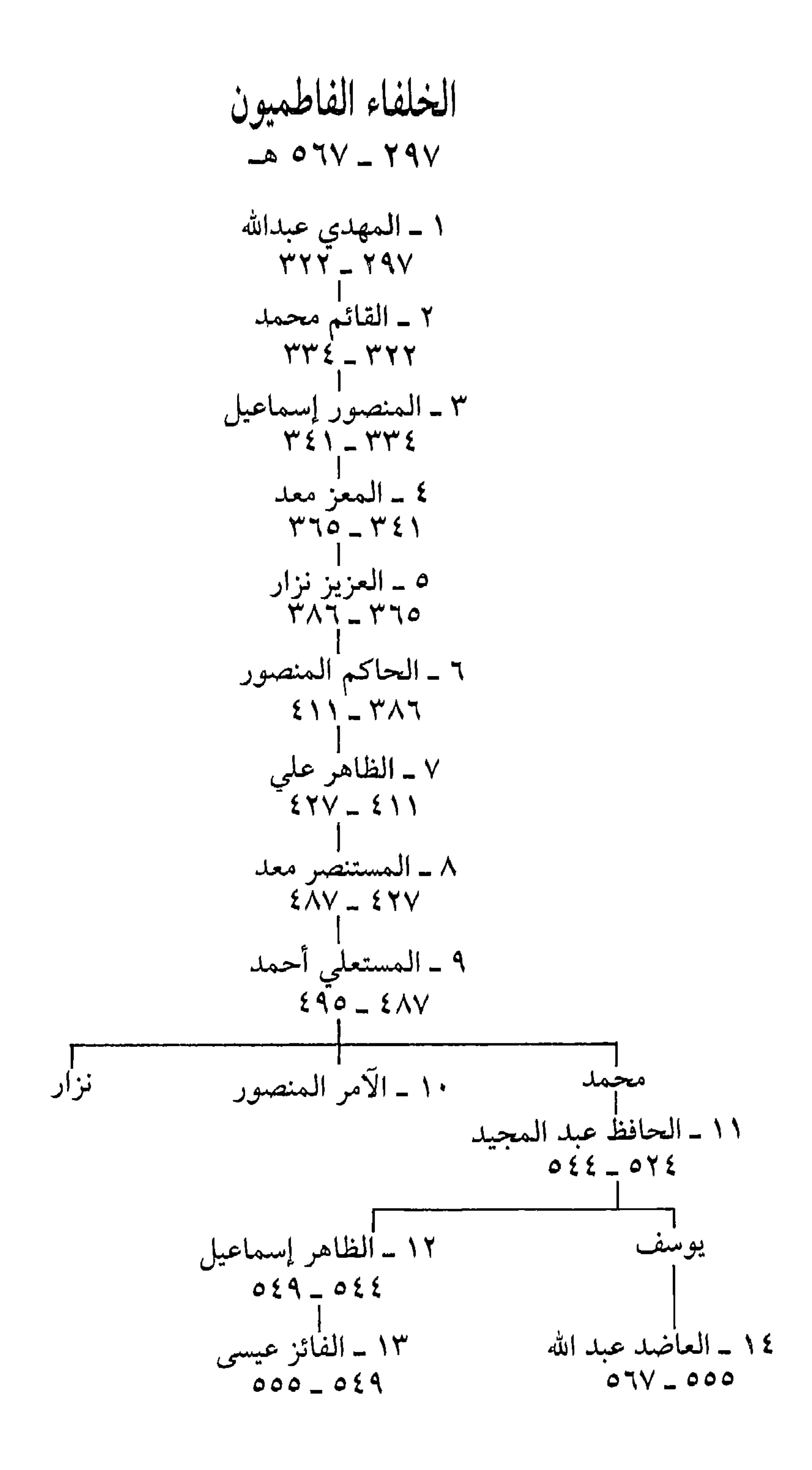
وفي سنة إحدى وأربعين وأربعمائة توفي الحافظ أبو عبد الله الصوري محمد بن علي الحافظ، وفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة توفي الحسن بن علي بن جعفر العجلي قاضي القضاة المعروف بابن ماكولا الشافعي. وفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة توفي أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي

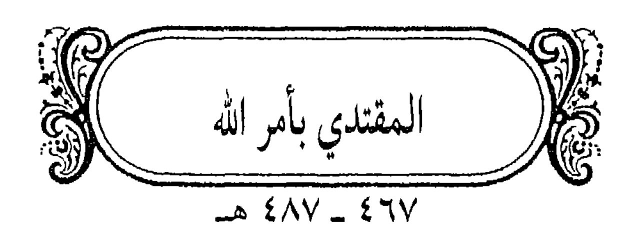
(١) البداية والنهاية ١٢ / ١١٠، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣، والكامل ٨/ ١٢٠ ـ ١٢١.

الشاعر المشهور. وفيها توفي الأستاذ أبو عثمان الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الحافظ الواعظ المفسر. وفي سنة خمسين وأربعمائة توفي أبو الطيب الطبري الفقيه شيخ الشافعية.

وفي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة توفي الحسن بن الفضل أبو علي الشرمقاني المؤدب المقرىء. وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة توفي ابن حزم الظاهري الإمام الحافظ العلامة أبو محمد علي بن أحمد الأموي. وفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة توفي أحمد بن الحسين الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي صاحب التصانيف. وفيها توفي القاضي أبو يعلى بن الفرا الحنبلي محمد بن الحسن شيخ الحنابلة. وفيها توفي ابن سيدة أبو الحسين علي بن إسماعيل المرسي صاحب المحكم في اللغة.

وفي سنة إحدى وستين وأربعمائة توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الفوراني المروزي أحد أئمة الشافعية. وفي سنة اثنين وستين وأربعمائة توفي محمد بن أحمد بن سهل المعروف بابن بشران النحوي الواسطي. وفيها توفي أبو بكر الخطيب البغدادي أحمد بن علي أحد مشاهير الحفاظ وصاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات. وفيها توفي ابن عبد البر أبو عمر النمري صاحب التصانيف المشهورة. وفيها أيضاً توفي ابن زيدون الشاعر أحمد بن عبد الله. وفي سنة خمس وستين وأربعمائة توفي أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة القشيرية عبد الكريم بن هوازن.


الخلفاء الفاطميون
٢٩٧ ـ ٥٦٧ هـ
١ ـ المهدي عبدالله
٢٩٧ ـ ٣٢٢
٢ ـ القائم محمد
٣٢٢ ـ ٣٣٤
٣ ـ المنصور إسماعيل
٣٣٤ ـ ٣٤١
٤ ـ المعز معد
٣٤١ ـ ٣٦٥
٥ ـ العزيز نزار
٣٦٥ ـ ٣٨٦
٦ ـ الحاكم المنصور
٣٨٦ ـ ٤١١
٧ ـ الظاهر علي
٤١١ ـ ٤٢٧
٨ ـ المستنصر معد
٤٢٧ ـ ٤٨٧
٩ ـ المستعلي أحمد
٤٨٧ ـ ٤٩٥
محمد
١٠ ـ الآمر المنصور
نزار
١١ ـ الحافظ عبد المجيد
٥٢٤ ـ ٥٤٤
يوسف
١٢ ـ الظاهر إسماعيل
٥٤٤ ـ ٥٤٩
١٤ ـ العاضد عبد الله
٥٥٥ ـ ٥٦٧
١٣ ـ الفائز عيسى
٥٤٩ ـ ٥٥٥



المقتدي بأمر الله

٤٦٧ ـ ٤٨٧ هـ

نسبه وحياته: هو أبو القاسم عدة الدين عبدالله بن الأمير ذخيرة الدين أبي القاسم محمد بن الخليفة القائم بأمر الله بن القادر العباسي. وأمه أرمنية تسمى أرجوان، وتدعى قرة العين.

ولد المقتدي بعد وفاة والده، فاستبشر به المسلمون وجده خيراً، وفرحوا به فرحاً شديداً، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادري، ونشأ المقتدي هذا في حجر جده القائم بأمر الله. كان المقتدي من نجباء بني العباس، شهماً شجاعاً.

تولّيه الخلافة: في عهد القائم ولّي العهد المقتدي بأمر الله بعد أن بلغ الحلم. ولما أحس القائم بالموت استدعى حفيده وأحضر إليه القضاة والفقهاء وأشهدهم عليه ثانية بولاية العهد له من بعده، فشهدوا على ذلك. فلما توفي القائم جلس المقتدي في دار الشجرة بقميص أبيض، وعمامة بيضاء لطيفة، وجاء الوزراء والأمراء والأشراف ووجوه الناس فبايعوه.

دمشق: في سنة ثمان وستين وأربعمائة ملك الأقسيس[١] الرملة وبيت المقدس ودمشق، وخطب في هذه البلاد للخليفة المقتدي بأمر الله، وكان هذا آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين[٢].

حصار مصر: في سنة تسع وستين وأربعمائة سار الأقسيس من دمشق إلى مصر وحاصرها، وضيق على أهلها، وكاد أن يملكها، ثم عاد الأقسيس عنها من غير قتال[٣].

---

(١) هو اتسز بن أوف الخوارزمي. (٢) الكامل ٨/ ١٢٢. (٣) المصدر السابق ٨/ ١٢٣.

بناء قلعة دمشق: بأمر من الملك الأقسيس شرع الدمشقيون في بناء الحصن المنيع، وبقيت على حالها من البناء حتى جدّد فيها الملك صلاح الدين بن يوسف الأيوبي[١].

قتل الأقسيس: في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة أرسل الأقسيس إلى الملك تاج الملوك تتش بن ألب أرسلان السلجوقي يستنجده على المصريين. فلما وصل تتش إلى دمشق مع عسكره لم يجد الأقسيس في استقباله فغضب، وأمر بقتل الأقسيس فقتل لساعته، وملك تتش دمشق وأحسن السيرة في أهلها[٢].

فتوح الهند: في هذه السنة تابع الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين غزو بلاد الهند، فأخذ قلعة حصينة جداً اسمها «أجود»، ثم ملك قلعة «روبال»، ثم استولى على موضع يقال له: «وره وهو بر» بين خليجين[٣].

أنطاكية: في شعبان من سنة سبع وسبعين وأربعمائة ملك سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب قونية أنطاكية، فأراد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يأخذها منه، فهزمه سليمان وقتله.

اختلاف السلاجقة: في سنة تسع وسبعين وأربعمائة أيضاً كانت وقعة بين تتش السلجوقي أخي السلطان ملكشاه صاحب دمشق، وبين سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية، انهزم فيها أصحاب سليمان، وقتل سليمان فيها نفسه بخنجر كانت معه. وسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مرّ بها.

الأندلس: في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة استولى الفرنج على مدينة كليكية من بلاد الأندلس، وكان على الفرنج المسمى الأذفوتش. وفي هذه السنة حاول المعتمد بن عباد جمع الناس لمحاربة الفرنج، فاستنجد بيوسف بن تاشفين أمير المسلمين في المغرب وهم المرابطون، فأنجده بعساكر كثيرة جداً. فالتقى جيش

---

(١) البداية والنهاية ١٣ / ١١٤.

(٢) الكامل ٨/ ١٢٦.

(٣) المصدر السابق ٨/ ١٢٧؛ والبداية والنهاية ١٢/ ١٢٠.

المسلمين بجيش الأذفونش في مكان يقال له الزلاقة، فانهزم جيش الفرنج شر هزيمة، وقتل منهم أكثرهم، وعاد الأمير يوسف إلى بلاده[١].

وفي تسع وسبعين وأربعمائة أرسل يوسف بن تاشفين إلى الخليفة المقتدي يطلب إليه أن يعتمده سلطاناً على المغرب، وأن يقلّده ما بيده من البلاد، فبعث إليه بالخلع والأعلام والتقليد، ولقبه بأمير المسلمين، ففرح بذلك وسرَّ به فقهاء المغرب[٢].

زواج الخليفة: في سنة ثمانين وأربعمائة زفت ابنة السلطان ملكشاه «الخاتون» إلى الخليفة المقتدي، وفي سنة إثنين وثمانين وأربعمائة رجعت الخاتون إلى أبيها بعد أن أعرض عنها الخليفة، وماتت في شوال بعد أن أنجبت ولداً ذكراً[٣].

وفاة إبراهيم الغزنوي: في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة توفي الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين الغزنوي، وكان عادلاً كريماً مجاهداً، ومَلَكَ ابنه مسعود بلادَ غزنة بعد أبيه[٤].

فتح عسكر مصر عكا وصور وصيدا: وفي سنة إحدى وثمانين أربعمائة أيضاً خرجت عساكر مصر إلى الشام فغلبوا على عكا، ثم فتحوا صور وصيدا، ثم فتحوا جبيل، وأصلحوا حال هذه البلاد، واستعملوا على هذه البلاد الأمراء والعمال وعادوا إلى مصر[٥].

الأندلس: في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين: قرطبة وإشبيلية وغيرها، وقبض على المعتمد بن عباد بعد أن أظهر شجاعة وبأساً في دفاعه عن ملكه. وأساء يوسف السيرة مع المعتمد وأهله ومع بقية ملوك الأندلس[٦].

---

(١) الكامل ٨/ ١٤١ ـ ١٤٣.
(٢) تاريخ الخلفاء ص ٤٢٤.
(٣) المصدر السابق ١٢ / ١٣٥.
(٤) المصدر السابق ١٢ / ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٥) الكامل ٨/ ١٥٠.
(٦) المصدر السابق ٨/ ١٥٤ ـ ١٥٦.

صقلية: وفي هذه السنة ملكت الفرنج مدينة صقلية. ثم مات ملك الفرنج فقام ولده مقامه، فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين، حتى كأنه منهم، لما ظهر منه من الإحسان إلى المسلمين[1].

مقتل نظام الملك: في سنة خمس وثمانين وأربعمائة عاشر رمضان قتل صبي ديلمي من الباطنية الوزير نظام الملك، وكان مع السلطان ملكشاه في أصبهان، فأدرك الجند الصبي فقتلوه.

موت ملكشاه: عاد ملكشاه من أصبهان إلى بغداد، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه الرحيل عن بغداد وتركها له، فاستنظره الخليفة شهراً فلم يقبل وأنظره عشرة أيام بعد توسل. وقبل نهاية الموعد خرج ملكشاه إلى الصيد فأصابته حمى شديدة، فافتصد فما قام منها حتى مات. فاستحوذت زوجته زبيدة خاتون على الجيش، وضبطت الأموال والأحوال جيداً، وأرسلت إلى الخليفة تسأله أن يملِّك ولدها محمود، فأجابها إلى ذلك، وأرسل إليه بالخلع، وكان عمر محمود إذ ذاك خمس سنوات. وأراد ابن ملكشاه الآخر بركيارق الأمر له وانحاز كثير من الجند إليه، فالتقى جيش بركيارق مع جيش الخاتون فانهزمت[2].

أبو الحسين العبادي: في سنة ست وثمانين وأربعمائة قدم إلى بغداد رجل يقال له أردشير بن منصور أبو الحسين العبادي، بعد عوده من الحج، فنزل المدرسة النظامية فوعظ الناس، وحضر مجلسه الغزالي مدرس المكان، وازدحم الناس في مجلسه، وترك كثير من الناس أرزاقهم، وتاب كثير من الناس ولزموا المساجد، وأريقت الخمور وكسرت الملاهي[3].

حال تتش بن ألب أرسلان: وفي هذه السنة خطب تتش لنفسه بالسلطنة، وأراد المسير إلى بغداد، فسار إلى الرحبة في صحبته وطاعته أقسنقر صاحب حلب، وبوران صاحب الرها، ففتح الرحبة، ثم سار إلى الموصل فأخذها من يد صاحبها وقتل خلقاً من الأمراء صبراً، وأخذ ديار بكر، واستوزر الكافي بن فخر

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ١٣٨، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٥.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ١٣٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٥.

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ١٤٤.

الدولة بن جهير، ثم أخذ همدان وخلاط وأذربيجان، واستفحل أمره. ثم فارقه الأميران أقسنقر وبوران، فسارا إلى الملك بركيارق بن ملكشاه، وبقي تتش وحده. فرجع تتش إلى حلب ولحق به الأميران فالتقيا بباب حلب، فأسرهما تتش وصلبهما[1].

وفاة المقتدي بأمر الله: قَدِمَ السلطان بركيارق بغداد، فكتب الخليفة عهداً إليه بالسلطنة، ثم قُدِّم إليه الطعام فتناول منه وهو في غاية الصحة، ثم غسل يده وجلس ينظر في العهد بعدما وقَّع عليه، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار. قالت: فنظر إليّ وقال: من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن. قالت: فالتفت فلم أرَ أحداً، ورأيته قد تغيّرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلّت قواه، وسقط إلى الأرض. فأغلقت عليه الباب وخرجت فأعلمت ولي العهد بوفاته[2]. وذلك سنة سبع وثمانين وأربعمائة. وكان عمره ثمان وثلاثين سنة وثمانية أشهر، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر.

أهم الوفيات في عهده

في سنة ثمان وستين وأربعمائة توفي الواحدي علي بن حسن المفسر صاحب أسباب النزول. وفي سنة سبعين توفي الشريف أبو جعفر الحنبلي عبد الخالق بن عيسى العباسي أحد الفقهاء العلماء العباد الزهاد. وفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة توفي القاضي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف الأندلسي الفقيه الحافظ المالكي. وفي سنة خمس وسبعين وأربعمائة توفي الأمير أبو نصر ابن ماكولا أحد أئمة الحديث صاحب الإكمال في المشتبه من أسماء الرجال. وفي سنة ست وسبعين وأربعمائة توفي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي شيخ الشافعية ومدرّس النظامية الإمام في الفقه والأصول والحديث وفنون كثيرة. وفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة توفي عبد السيد بن محمد الإمام أبو نصر بن الصباغ وهو أول من درّس بالمدرسة النظامية. وفي سنة ثمان وسبعين

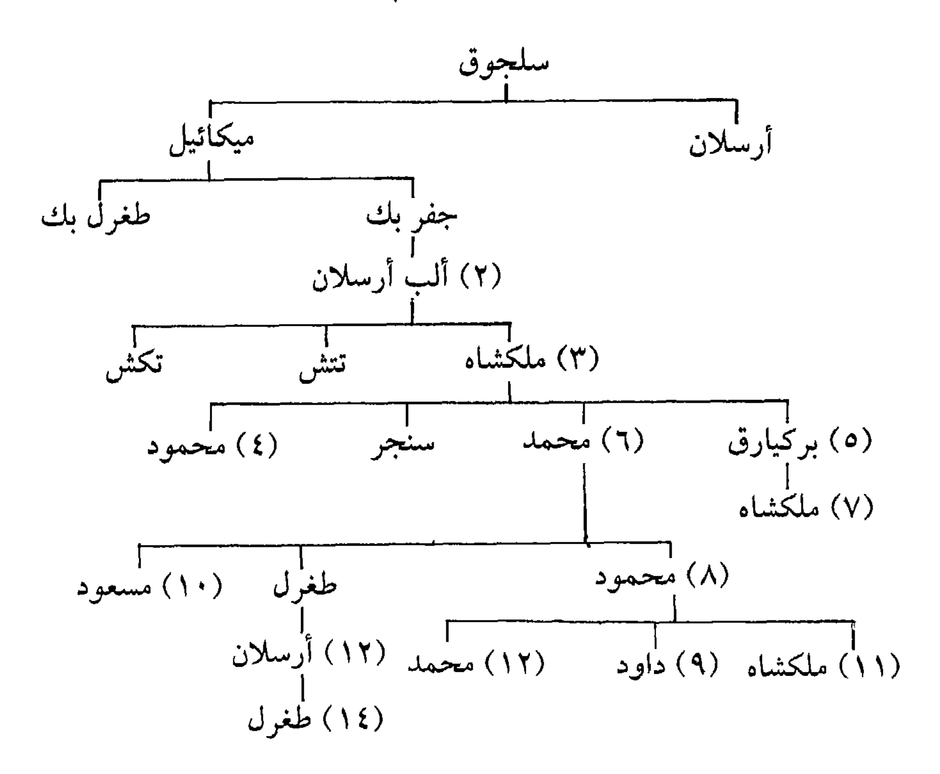
(١) المصدر السابق ١٢ / ١٤٥، والكامل ٨/ ١٦٦.

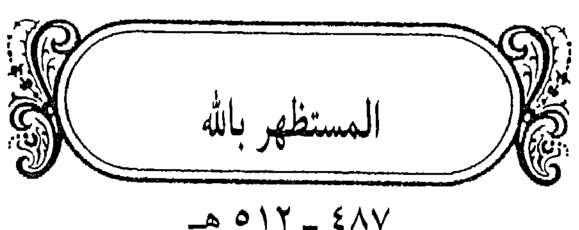
(٢) البداية والنهاية ١٢ / ١٤٦، والكامل ٨ / ١٧٠، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٠، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٦.

وأربعمائة توفي إمام الحرمين عبد الملك بن الشيخ عبدالله أبو المعالي الجويني الفقيه الأصولي الشافعي. وفيها توفي أبو عبدالله الدامغاني القاضي محمد بن علي قاضي القضاة ببغداد. في سنة ثمانين وأربعمائة توفيت فاطمة بنت علي المؤدبة الكاتبة وتعرف ببنت الأقرع.

وفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة توفي محمد بن أحمد بن علي أبو نصر المروزي الإمام في القراءات وله فيها مصنفات وفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة توفي عبد الباقي بن محمد أبو القاسم الشاعر من أهل الحريم الظاهري. وفيها مات المرزبان بن خسرو تاج الملك الوزير أبو الغنائم باني المدرسة التاجية التي درّس بها أبو بكر الشاشي.

السلاجقة





المستظهر بالله

٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ

نسبه وحياته: هو أحمد بن المقتدي بأمر الله المستظهر بالله أمير المؤمنين عبدالله بن الأمير محمد بن القاسم العباسي المستظهر بالله أمير المؤمنين. ولد في شوال من عام ٤٧٠ هـ.

كانت أيامه أيام سرور الرعية، وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد، وكان قد ضبط أمور الخلافة جيداً، وأحكمها وعلمها.

تولّيه الخلافة: لما توفي المقتدي بأمر الله، أحضر ولده أبو العباس المستظهر بالله وأعلم بموته. وحضر الوزير أبو المنصور بن جهير وبايعه، ثم أخذ البيعة له من الملك ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه، ثم من بقية الأمراء والرؤساء، وتمت البيعة تؤخذ له إلى ثلاث أيام. ثم أظهر تابوت المقتدي يوم الثلاثاء الثامن عشر من المحرم، وصلّى عليه ولده الخليفة، وحضر الناس، ولم يحضر السلطان، وحضر الغزالي والشاشي وابن عقيل، وبايعوه يوم ذاك.

وفوّض الخليفة أمور الخلافة إلى وزيره أبي منصور عميد الدولة بن جهير، فدبرها أحسن تدبير، ومهد الأمور أتم تمهيد، وكان من خيار الوزراء(١).

قتل تتش: توجه تتش صاحب دمشق لقتال ابن أخيه بركيارق بناحية الري. وقدم رسول تتش إلى بغداد لأجل إقامة الدعوة له ببغداد، فهابه أهل بغداد وخافوه، فقرّبه الخليفة منه، وبينما الأمر كذلك، إذ قدم رسول بركيارق فأخبر أن

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٠، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧، والبداية والنهاية ١٢ / ١٤٦ ـ ١٤٧ و١٨٢، والكامل ٨/ ١٧٠ و٢٨١.

تتش قد قتل في أول من قتل في الوقعة، وكانت وفاته في سابع عشر صفر من سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. وسار دقاق بن تتش من أرض المعركة إلى دمشق فملكها[١].

سيل الحجاج: في سنة تسع وثمانين وأربعمائة حكم المنجمون بأنه سيكون طوفان يقارب طوفان نوح في العراق، وذلك لاجتماع الكواكب السبعة سوى زحل في برج الحوت، فخاف الخليفة وخاف الناس، وباتوا ينتظرون الطوفان، فاتفق أن الحجاج نزلوا في دار المناقب فأتاهم سيل غرق كثير منهم إلاّ من تعلّق برؤوس الجبال[٢].

ملك الصليبيون أنطاكية: في جمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ملك الصليبيون أنطاكية بعد حصار شديد، وهرب صاحبها باغيسيان. فلما وصل الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل ودقاق صاحب دمشق وجناح الدولة صاحب حمص، جمعوا جيوشهم وساروا إلى الفرنج، فحاربوهم فهزم الفرنج المسلمون، ثم أخذ الفرنج معرة النعمان[٣].

الصليبيون في بيت المقدس: لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان من سنة اثنين وتسعين وأربعمائة أخذ الصليبيون بيت المقدس بعد حصار دام شهراً ونصف، وسرقوا قناديل الفضة التي كانت حول الصخرة، وقناديل الذهب وما وجدوه من الغث والثمين. وهرب الناس من الشام إلى العراق، وخرج فقهاء العراق يحرّضون الناس على الجهاد[٤].

محمد بن ملكشاه: وفي هذه السنة خرج محمد بن ملكشاه على أخيه السلطان بركيارق، فانتصر عليه، فقلّده الخليفة، ولقبه «غياث الدنيا والدين» وخطب له ببغداد، ثم جرت بينهما عدة وقعات[٥].

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ١٤٨، والكامل ٨/ ١٧٥.
(٢) تاريخ الخلفاء ص ٤٢٦.
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ١٥٥، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٧، ومفصلاً في الكامل ٨/ ١٨٥ ـ ١٨٨.
(٤) تاريخ الخلفاء ص ٤٢٧، والبداية والنهاية ١٢ / ١٥٦ ـ ١٥٧، والكامل ٨/ ١٨٩ ـ ١٩٠.
(٥) تاريخ الخلفاء ص ٤٢٨.

حال محمد وبركيارق: في سنة أربع وتسعين وأربعمائة كان المصاف الثاني بين محمد بن ملكشاه وأخيه بركيارق، وكان التف بعض الأمراء مع بركيارق فجمع خمسين ألفاً، وكان مع أخيه محمد خمسة عشر ألفاً، فالتقوا فاقتتلوا فانهزم محمد وعسكره[1].

قتل الباطنية: وفي هذه السنة في شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الإسماعيلية، وهم الذين كانوا يسمون القرامطة. وكان أول ظهور أمرهم حينما اتهموا بقتل نظام الملك، ثم تعرّضوا القافلة فقتلوا أهلها إلاّ رجلاً نجى بنفسه فأخبر القصة، فعظم أمرهم، وما فعلوه من هذه الأمور كان سبباً لأمر بركيارق بقتلهم[2].

محمد وبركيارق: وفي صفر من سنة خمس وتسعين وأربعمائة كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد فمرّت حروب بينهما، فانهزم محمد، وجرى عليه مكروه شديد[3].

الصليبيون: في سنة سبع وتسعين وأربعمائة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة اللاذقية فيها التجار والجنود، فاستعان بهم قائد الصليبيين على حصار طرابلس، فقاتلوها أياماً، ثم رحلوا عنها إلى جبيل، فحاصروها براً وبحراً وقاتلوها أياماً، ثم أستأمن أهلها على أنفسهم، فلم يف الصليبيون لهم بالأمان، وعذبوا أهلها. ثم ساروا إلى عكا فحاصروها في البر والبحر، فقاتلهم أميرها زهر الدولة الجيوشي أشد قتال، لكنه هزم، وعذب الصليبيون أهل عكا[4].

وفاة بركيارق: في الثاني من شهر ربيع الثاني من سنة ثمان وتسعين وأربعمائة توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه، بعد أن مرض بالسل والبواسير، وعهد بالسلطنة إلى ولده الصغير ملكشاه، وعمره أربع سنين وشهور، وخطب له ببغداد، ولقب جلال الدولة. ثم جاء السلطان محمد إلى بغداد فخرج إليه الناس

---

(١) الكامل ٨/ ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣.

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ١٦٢، والكامل ٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٤) الكامل ٨/ ٣٢١، والبداية والنهاية ١٢ / ١٦٣.

فتلقوه وصالحوه وخطب له بالجانب الغربي من بغداد، ولابن أخيه بالجانب الشرقي(١).

فتح دمشق: في سنة تسع وتسعين وأربعمائة كسر طغتكين أتابك عساكر دمشق الصليبيين، وعاد مؤيداً منصوراً إلى دمشق، وزينت البلد زينة عجيبة مليحة(٢).

وفا يوسف بن تاشفين: في سنة خمسمائة توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والأندلس فتولى الإمرة من بعده ابنه علي بن يوسف، ولقب بأمير المسلمين.

الباطنية: وفي هذه السنة حاصر السلطان محمد بن ملكشاه قلاعاً كثيرة من حصون الباطنية، فافتتح منها أماكن كثيرة، وقتل خلقاً منهم(٣).

الموصل: وفيها استولى الأمير جاولي سقاوو على الموصل من قبل السلطان محمد، وأخرج منها جكرمش بعدما قاتله وهزم أصحابه. ثم أقبل قلج أرسلان بن قتلمش فحاصر الموصل وانتزعها من جاولي، ثم انتزها جاولي من قلج(٤).

وفاة تميم بن المعز: في سنة إحدى وخمسمائة توفي تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية، وكان شهماً شجاعاً ذكياً حليماً، كثير العفو عن الجرائم العظيمة، وتولى الأمر من بعده ابنه يحيى. وكانت ولاية تميم ستاً وأربعين سنة وعشرة أشهر(٥).

الموصل: في سنة اثنين وخمسين وخمسمائة استولى مودود والعسكر الذي أرسله السلطان محمد معه على مدينة الموصل، وأخذوها من أصحاب جاولي سقاوو. ثم حارب جاولي الصليبيين ما بين حلب وإنطاكية فانهزم جاولي وتركه أصحابه بعد معرفتهم بهزيمة جيش جاولي في الموصل. فما كان من جاولي إلاّ أن

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ١٦٤، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩١ ـ ٤٩٣.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ١٦٥.

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ١٦٦.

(٤) المصدر السابق ١٢ / ٦٦٧، والكامل ٨ / ٢٤١.

(٥) الكامل ٨/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

عاد إلى بغداد واعتذر من السلطان محمد وصالحه[1].

الصليبيون في ساحل الشام: في حادي عشر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسمائة ملك الفرنج طرابلس، وقتلوا من فيها من الرجال، وسبوا النساء والأطفال، وغنموا الأمتعة والأموال. وكان أسطول مصر قد تأخر بالمدد عنهم.

ثم سار طنكري صاحب إنطاكية إلى بانياس وحاصرها وفتحها، وأمَّن أهلها. ثم نزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذي كان صاحب طرابلس فملكها في الثاني والعشرين من ذي الحجة بالأمان. ثم وصل الأسطول المصري بالرجال والمال ومعه ما يكفي سنة من الطعام، فوصل إلى صور بعد أخذها بثمانية أيام، ووزعت الغلال والأموال على صور وصيدا وبيروت[2].

الصليبيون في ساحل الشام: في ربيع الثاني من سنة أربع وخمسمائة ملك الصليبيون مدينة صيدا، ولم يستطع الأسطول المصري إنجاد صيدا، فأرسل أهلها بالأمان، فأمَّنهم الصليبيون[3].

المجاهدون في وجه الصليبيين: في سنة خمس وخمسمائة بعث السلطان غياث الدين جيشاً كثيفاً، بقيادة مودود بن زنكي صاحب الموصل في جملة أمراء ونواب، منهم سكمان القطبي صاحب تبريز، وأحمد يل صاحب مراغة، والأمير إيلغازي صاحب ماردين، لقتال الفرنج بالشام، فانتزعوا من أيدي الفرنج حصوناً كثيرة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً. ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه، فجاءه باطني في زي سائل فقتله[4].

الأندلس: بعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين طمع الصليبيون بالأندلس، فجمعوا جيوشهم، وتهيأ لهم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، فاقتتلوا أشد القتال، وكان الظفر للمسلمين، وأنهزم الصليبون وقتلوا قتلاً ذريعاً، وأسر منهم بشر كثير[5].

انتصار المسلمين: في سنة سبع وخمسمائة كانت وقعة عظيمة بين المسلمين

---

(١) الكامل ٨/ ٢٥٢ ـ ٢٥٥.
(٢) المصدر السابق ٨/ ٢٥٨.
(٣) المصدر السابق ٨/ ٢٦٠.
(٤) البداية والنهاية ١٢ / ١٧٣، والكامل ٨/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣.
(٥) الكامل ٨/ ٢٩٤، وتاريخ الخلفاء ص ٤٣٠.

والصليبيين في أرض طبرية، كان فيها جموع المسلمين من العراق والشام، فانهزم الصليبيون هزيمة فاضحة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وغنموا منهم أموالاً جزيلة، وملكوا تلك النواحي كلها[1].

آقسنقر يحارب الصليبيين: في سنة ثمان وخمسمائة سيَّر السلطان محمد الأمير آقسنقر البرسقي إلى الموصل والياً عليها، لما بلغه قتل مودود، في جيش كثيف وأمره بقتال الفرنج، فسار معه الجند من البلاد ونازل الفرنج في ذي الحجة في الرها، فقتل منهم خمسين فارساً من أعيانهم ثم عاد عنهم[2].

وفاة السلطان محمد: في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة كانت وفاة غياث الدين السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، سلطان بلاد العراق وخراسان والأقاليم الواسعة، وكان ابتداء مرضه في شعبان، وتولى الأمر من بعده ابنه محمود وهو ابن أربعة عشر سنة[3].

وفاة المستظهر بالله: في السادس عشر من شهر ربيع الآخر من سنة اثني عشرة وخمسائة توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله، وكان مرضه التراقي، وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام، وخلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً، وبويع بالخلافة من بعده ابنه المسترشد بالله[4].

أهم الوفيات في عهده

في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة توفي رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز أبو محمد التميمي أحد أئمة القراء والفقهاء على مذهب أحمد. وفيها مات أبو سيف القزويني عبد السلام بن محمد شيخ المعتزلة. وفيها توفي أبو بكر الشاشي محمد بن المظفر الفقيه القاضي. وفي سنة تسع وثمانين وأربعمائة توفي أبو بكر

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ١٧٥ ـ ١٧٦، والكامل ٨/ ٢٦٦.

(٢) الكامل ٨/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

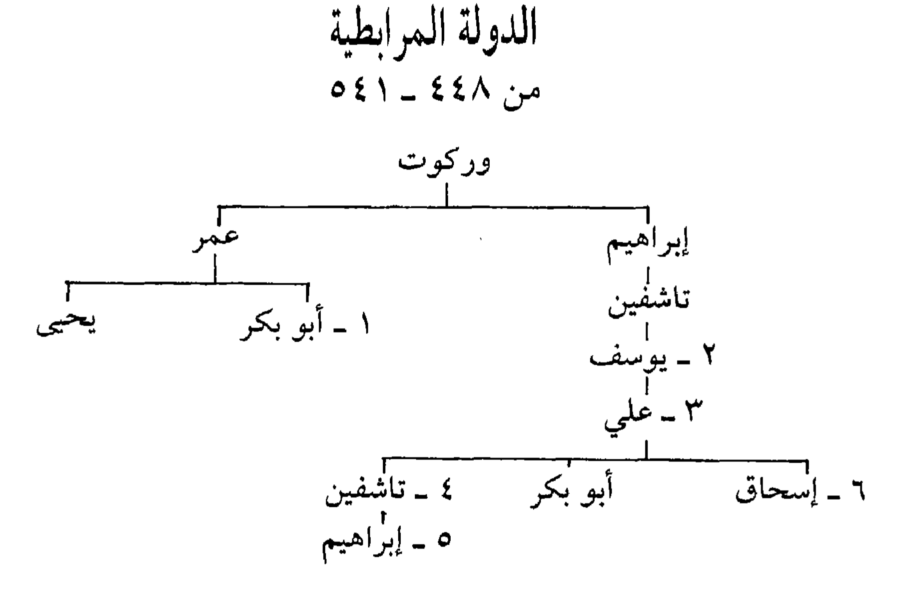
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ١٨٠ ـ ١٨١، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٤.

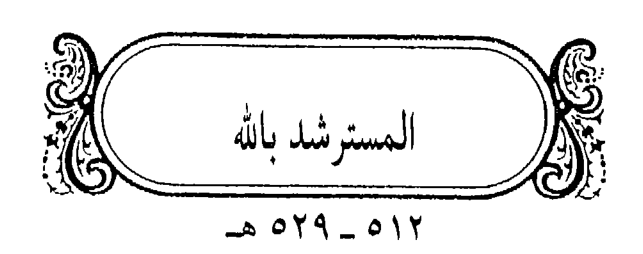
(٤) المصدر السابق ١٢ / ١٨٢، والكامل ٨/ ٣٨١، وتاريخ الخلفاء ص ٤٣٠، وتاريخ ابن خلدون ٣ / ٤٩٥.

الدقاق محمد بن آحمد كان معروفاً بالإفادة وجودة القراءة وحسن الخط والتحديث. وفيها توفي أبو المظفر السمعاني الحافظ الحنفي. وفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة. توفي عبد الرزاق الغزنوي الصوفي شيخ رباط عتاب. وفي سنة تسع وتسعين وأربعمائة توفي أبو الفتح الحاكم المحدث. وفيها توفي محمد بن أحمد أبو منصور الحناط أحد القراء الصلحاء.

وفي سنة اثنين وخمسمائة توفي عبد الواحد بن إسماعيل أبو المحاسن الروياني أحد أئمة الشافعية. وفيها توفي يحيى بن علي الشيباني التبريزي أحد أئمة اللغة والنحو. وفي سنة أربع وخمسمائة توفي علي بن محمد أبو الحسن الطبري المعروف بالكيا الهراسي أحد الفقهاء الكبار ومن رؤوس الشافعية. وفي سنة خمس وخمسمائة توفي محمد بن محمد أبو حامد الغزالي أحد كبار علماء زمانه والذي ينتفع بكتبه كثير من علماء العصر. وفي سنة ست وخمسمائة توفي محمد بن موسى أبو عبدالله البلاساعوني التركي الحنفي ويعرف باللامشي القاضي. وفيها توفي أبو سعد السمعاني تاج الإسلام عبد الكريم بن محمد المروزي الفقيه الشافعي الحافظ المحدث صاحب كتاب الأنساب. وفي سنة سبع وخمسمائة توفي أبو بكر الشاشي محمد بن أحمد أحد أئمة الشافعية في زمانه. وفي سنة عشر وخمسمائة توفي محفوظ بن أحمد أبو الخطاب الكلوذاني أحد أئمة الحنابلة ومصنفيهم.

الدولة المرابطية
من ٤٤٨ ـ ٥٤١





٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ

نسبه وحياته: هو الفضل بن أحمد المستظهر بن المقتدي بأمر الله عبدالله بن الأمير محمد بن القاسم العباسي، المسترشد بالله أبو منصور. ولد في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة[1]، وأمه أم ولد. ضبط أمور الخلافة، ورتبها أحسن ترتيب، وأحيا رميم الخلافة، ونشر عظامها.

كان فصيحاً بليغاً، وكانت له أجوبة على الرقاع من أحسن ما يكتب وأفصحه. ومن بليغ ما قال في أحد خطبه يوم العيد: «الله أكبر ما سحت الأنواء، وأشرق الضياء، وطلعت ذكاء، وعلت على الأرض السماء. الله أكبر ما هجع سحاب، ولمع سراب، وأنجح طلاب، وسر قادماً إياب. . .» ثم قال «. . . اللهم أصلحني في ذريتي، وأعني على ما وليتني، وأوزعني شكر نعمتك، ووفقني وانصرني»

تولّيه الخلافة: لما توفي الخليفة المستظهر بالله، بويع ولده المسترشد بالله بالخلافة، وكان ولي عهده، وقد خطب له ثلاث وعشرون سنة، فبايعه أخواه إبنا المستظهر بالله، وهما أبو عبدالله محمد، وأبو طالب العباس، وعمومته بنو المقتدي بأمر الله وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان. وكان المتولي لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني[2].

---

(١) في طبقات الشافعية للسبكي: «كان مولده يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان سنة ست وثمانين وأربعمائة» ٤ / ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٢) انظر ترجمته في: الكامل ٨ / ٢٨١ ـ ٢٨٢ و٣٤٨ ـ ٣٤٩، وتاريخ الخلفاء ص ٤٣١ ـ ٤٣٥، وشذرات الذهب ٤/ ٨٦ ـ ٨٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٥، والبداية والنهاية ١٢ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨، وطبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٢٩١ ـ ٢٩٤.

السلطان محمود: في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة كانت الحروب الشديدة بين السلطان محمود بن محمد وبين عمه السلطان سنجر بن ملكشاه، وكان النصر فيها لسنجر، فخطب له ببغداد في جمادى الأولى من هذه السنة[1].

الصليبيون في حلب: وفي هذه السنة سارت الفرنج إلى مدينة حلب ففتحوها عنوة وملكوها وما حولها. فسار إليهم صاحب ماردين إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف، فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به، فقتل منهم هنالك مقتله عظيمة[2].

المرابطون وأهل قرطبة: في هذه السنة وقيل سنة أربع عشرة كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين، وبين أهل قرطبة. فأحرق أهل قرطبة جميع دور المرابطين ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة. ثم سعى السعاة بالخير بينهم، فتصالحوا[3].

الملك مسعود وأخوه محمود: في النصف من ربيع الأول سنة أربع عشرة وخمسمائة كانت وقعة عظيمة بين الأخوين السلطان محمود والملك مسعود ابني محمد بن ملكشاه عند عقبة أسد أباذ، فانهزم عسكر محمود وأسر وزيره وجماعة من أمرائه، فقتل الوزير، ثم أرسل السلطان محمود بالأمان إلى أخيه مسعود، واستقدمه عليه ثم اصطلحا[4].

دبيس: وفي هذه السنة نهب دبيس بن صدقة ملك العرب صاحب الحلة البلاد، وركب بنفسه إلى بغداد، ونصب خيمته بإزاء دار الخلافة وتهدد المسترشد، فركب المسترشد بنفسه لقتاله، فهرب دبيس والتجأ إلى إيلغازي، وفي السنة المقبلة أرسل يعتذر من الخليفة ومن السلطان محمود، فلم يقبلا منه، وحاصره جيش الخليفة قريباً من سنة، وهو ممتنع في بلاده ولا يقدر الجيش على الوصول إليه[5].

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ١٨٤، وانظر الكامل مفصلاً ٨/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨، وابن خلدون ٣ / ٤٩٧ ـ ٤٩٩.
(٢) البداية والنهاية ١٢ / ١٨٤، والكامل ٨/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٣) الكامل ٨ / ٢٩٠.
(٤) البداية والنهاية ١٢ / ١٨٥، والكامل ٨/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.
(٥) البداية والنهاية ١٢ / ١٨٥، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٠١ ـ ٥٠٢.

محمد بن تومرت: وفي هذه السنة أيضاً كان ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب. ومن أخباره أنه أتى بغداد ودَرَسَ بالمدرسة النظامية، وكان يظهر التعبد والزهد والورع. ثم عاد إلى بلاده، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقرىء الناس القرآن، فشاع ذكره في الناس، وعظمه يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد إفريقية. وكان ينكر على أهل مراكش أن الرجال يتلثمون والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن، فكان يضرب مع أصحابه وجوه الدواب إذا كان عليها من النساء وهن حاسرات، فاتفق أن ضرب وجه دابة أخت الملك فوقعت عن دابتها. فنفاه الملك عن بلده، فشرع يشنع على الملك ويدعو الناس لقتاله، فأتبعه خلق كثير. فجهز إليه الملك جيشاً كثيفاً فهزمهم ابن تومرت، فعظم شأنه وارتفع أمره، وقويت شوكته، وتسمى بالمهدي، وسمىّ جيشه جيش الموحدين، وألف كتاباً في التوحيد وعقيدة تسمى المرشدة. وكان بينه وبين الملك وقعات في كل ذلك ينهزم جيش الملك، إلى أن حصلت معركة في مراكش انهزم فيها جيش ابن تومرت ومات بعدها، وتولى الأمر بعده عبد المؤمن بن علي الكوفي التلمساني ولقبه أمير المؤمنين، فأحسن إلى الرعايا وكثرت جيوشه ورعيته، ونصب العداوة إلى تاشفين صاحب مراكش، ولم تزل الحرب بينهما إلى سنة خمس وثلاثين[1].

دبيس بن صدقة: في سنة ست عشرة وخمسمائة التقى آقسنقر ودبيس بن صدقة، فهزمه دبسس وقتل خلقاً من جيشه، وآذى دبيس خلقاً من تلك المنطقة ونهب البلاد، ونودي في بغداد للخروج لقتاله، فخرج الخليفة بنفسه مع جيشه، والتقى بجيش دبيس، فانهزم عسكر دبيس وألقوا أنفسهم في الماء، فغرق كثير منهم. ثم عاد الخليفة إلى بغداد، ونجا دبيس بنفسه فدخل البصرة ونهبها وقتل أميرها، ثم التحق بالصليبيين[2].

وفي سنة تسع عشرة وخمسمائة قصد دبيس والسلطان طغرل بغداد ليأخذاها من الخليفة، فلما اقتربا برز إليهما الخليفة في جحفل عظيم، ثم أرسل الله مطراً

(١) عن البداية والنهاية ١٢ / ١٨٦ ـ ١٨٧، والكامل ٨/ ٣٩٤ ـ ٣٠١.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ١٩٠ ـ ١٩١.

عظيماً، ومرض السلطان طغرل، فتفرقت جموع دبيس وطغرل ورجعوا على أعقابهم خائفين[1].

حرب الصليبيين بالأندلس: في سنة عشرين وخمسمائة عظم أمر ابن ردمير الصليبي بالأندلس، وخرج على المسلمين في عساكر كثيرة حتى وصل إلى قرطبة، وأكثر النهب والسبي والقتل، فاجتمع المسلمون في جيش عظيم وقصدوه فلم يكن له بهم طاقة، فتحصن منهم في حصن منيع له اسمه «أرنيسول» فحاصروه وكبسهم ليلاً فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعاد إلى بلاده[2].

الإسماعيلية: أمر السلطان سنجر إبن أخي السلطان محمود وزيره أحمد بن الفضل بغزو الإسماعيلية وقتلهم أينما كانوا ونهب أموالهم، وجهز جيشاً إلى طريثيث وهي لهم وجيشاً إلى بيهق من أعمال نيسابور، وسيَّر إلى كل بلادهم جمعاً من الجند، فأنهزم الإسماعيلية، في كل تلك المناطق.

وعظم أمر الإسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس في ذي القعدة من هذه السنة[3].

قتل آقسنقر: في ثامن ذي القعدة من هذه السنة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقي صاحب الموصل، قتله الإسماعيلية بمدينة الموصل يوم الجمعة وهو بالجامع[4].

الاختلاف بين الخليفة والسلطان محمود: بعد تفوق الخليفة على دبيس، خاف السلطان محمود على نفسه، وخاصة بعد أن خوفه سنجر من الخليفة، أراد السلطان محمود دخول بغداد، فنصحه الخليفة بالتريث، فظن محمود بالخليفة سوءاً، فدخل بغداد وخرج منها الخليفة ومعه كثير من أهل بغداد، فحدث الخلاف بين الخليفة ومحمود، ونزل جند محمود في بيوت الناس وآذوهم، فأراد الخليفة دخول بغداد من جانبها الشرقي على رأس ثلاثين ألف مقاتل. فعلم بانضمام عماد

---

(١) المصدر السابق ١٢ / ١٩٤ـ ١٩٥ . وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤ .

(٢) الكامل ٨/ ٣١٩.

(٣) المصدر السابق ٨/ ٣١٩.

(٤) شذرات الذهب ٤/ ٦١ .

الدين زنكي أمير واسط إلى السلطان محمود فلجأ إلى الصلح، فعفا الخليفة على السلطان، واعتذر السلطان للخليفة وغادر السلطان بغداد عام ٥٢١ هـ وتوجه إلى همذان[١].

الصليبيون يريدون دمشق: اجتمع الصليبيون على المسير إلى دمشق، فاشتد الخوف، وكان على دمشق طغتكين أتابك فاستعان بالتركمان عليهم، فالتقوا أواخر ذي الحجة واقتتلوا أشد القتال، فانهزم الصليبيين بفضل التركمان[٢].

ملك زنكي حلب: في أول محرم من سنة اثنين وعشرين وخمسمائة ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها، وذلك بعد أن حاول الصليبيون أكثر من مرة أخذ حلب، وكان عليها حين ملكها حسن قراقوش[٣].

السلطان محمود والخليفة ودبيس: في المحرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة دخل السلطان محمود إلى بغداد، واجتهد في إرضاء الخليفة عن دبيس، وأن يسلم إليه بلاد الموصل، فامتنع الخليفة من ذلك. ثم دخل دبيس إلى بغداد فلعنه الناس وشتموه في وجهه. وقدم عماد الدين زنكي فبذل للسلطان في كل سنة مائة ألف دينار وهدايا وتحفاً، وألتزم للخليفة مثلها على أن لا يولي دبيساً شيئاً، وعلى أن يستمر زنكي على عمله بالموصل، فأقره على ذلك وخلع عليه، وعاد إلى عمله فملك بالإضافة إلى حلب حماة. ثم أخذ دبيس الحلة وجمع منها الأموال الكثيرة، وتفاقم الحال بأمره، وبعث إلى الخليفة يسترضيه فلم يرض عليه. فبعث إليه السلطان محمود جيشاً فانهزم إلى البرية، ثم أغار على البصرة فأخذ منها أموال السلطان والخليفة، ثم دخل البرية[٤].

حصار الفرنج دمشق: وفي هذه السنة حصر الصليبيون مدينة دمشق، فخرج أهلها فقاتلوهم قتالاً شديداً. وبعث أهل دمشق عبدالله الواعظ ومعه جماعة من

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ١٩٥ ـ ١٩٦، والكامل ٨ / ٣٢١ ـ ٣٢٢، وتاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٠٤ ـ ٥٠٥.

(٢) الكامل ٨/ ٣٢٢.

(٣) المصدر السابق ٨/ ٣٢٦.

(٤) البداية والنهاية ١٢ / ١٩٩ ـ ٢٠٠.

التجار يستغيثون بالخليفة، فوعدهم بأنه سيكتب إلى السلطان ليبعث لهم جيشاً يقاتلون الفرنج، فلم يبعث لهم جيشاً حتى نصرهم الله من عنده، فهزمهم المسلمون وقتلوا منهم عشرة آلاف[1].

توسُّع عماد الدين زنكي: لما فرغ عماد الدين زنكي من أمر البلاد الشامية حلب وحماه وأعمالهما، وقرر قواعده، عاد إلى الموصل ليستريح، ثم عاد بعد ذلك إلى الشام وقصد حصن الأثارب[2]، وكان بيد الفرنج، فحاصره فانتصر المسلمون. ثم عاد إلى ديار الجزيرة فأخذ «سرجي» ثم ملك دارا[3].

وفاة الآمر العلوي: في ثاني ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وخمسمائة قتل الآمر بأحكام الله أبو علي بن المستعلي العلوي صاحب مصر، قتله الباطنية، لأنه سيء السيرة في رعيته. وكانت ولايته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر، وعمره أربعاً وثلاثين سنة، وهو العاشر من ولد المهدي عبيدالله. ولما قتل لم يكن له ولد بعده، فولي بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله العبيدي[4].

أسر دبيس: في سنة خمس وعشرين وخمسمائة ضل دبيس بن صدقة عن الطريق في البرية، فأسره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام، وحملوه إلى بوري بن طغتكين، فباعه من زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بخمسين ألف دينار، فأكرمه زنكي رغم ما بينهما من عداوة[5].

وفاة السلطان محمود: وفي شوال من هذه السنة توفي السلطان محمود بن السلطان محمد بن ملكشاه بهمذان، فأقيم مكانه ابنه داود[6].

السلطنة بالعراق: لما مات محمود قدم أخوه مسعود بن محمد بن ملكشاه

---

(١) المصدر السابق ١٢ / ٢٠٠، والكامل ٨/ ٣٢٩.
(٢) هو حصن بين أنطاكية وحلب.
(٣) الكامل ٨/ ٣٣١.
(٤) الكامل ٨/ ٣٣١ ـ ٣٣٢.
(٥) البداية والنهاية ١٢ / ٢٠٢، والكامل ٨/ ٣٣٣.
(٦) البداية والنهاية ١٢ / ٢٠٢، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٠٦.

بغداد، وقدمها أيضاً قراجا الساقي مع سلجوق شاه بن محمد، وكل منهما يطلب الملك لنفسه. وقدم عماد الدين زنكي لينضم إليهما فتلقاه الساقي فهزمه فهرب إلى تكريت. ثم إن مسعود وسلجوق شاه اصطلحا وركبا إلى الملك سنجر فاقتتلا معه، فأسر جيش سنجر قراجا الساقي وقتلوه صبراً، ثم أجلس طغرل بن محمد على سرير الملك، وخطب له على المنابر، ورجع سنجر إلى بلاده، وكتب طغرل إلى دبيس وزنكي ليذهبا إلى بغداد ليأخذاها، فأقبلا في جيش كثيف فبرز إليهما الخليفة فهزمهما وقتل خلقاً من أصحابهما. ثم حصل الصلح لتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوق شاه ولي عهده، واستقر الأمر على ذلك[1]. وكان ذلك سنة ست وعشرين وخمسمائة.

وفاة المسترشد: في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين وخمسمائة سار الخليفة لحرب السلطان مسعود، بعد أن عرف بجمع مسعود للجيوش لقتال الخليفة، فسار في القضاة ورؤوس الدولة، فالتقى الجيشان في العاشر من رمضان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم حمل الخليفة على جيش مسعود فهزمهم، ثم انهزم جيش الخليفة وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا الخليفة. وبلغ الخبر إلى بغداد فزلزل الناس زلزالاً شديداً، وجاءت العامة إلى المنابر فكسروها وامتنعوا من حضور الجماعات، واستمر الحال على ذلك شهر ذي القعدة والشناعة في الأقاليم منتشرة. فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه مسعود يحذره عاقبة الأمر العظيم، ويأمره أن يعيد الخليفة، إلى مكانه ودار خلافته، فامتثل الملك مسعود لذلك، وضرب للخليفة سرداق عظيم. وأرسل سنجر إلى ابن أخيه أيضاً يستحثه على الإحسان إلى الخليفة، وأرسل مع الرسل جيشاً ليكونوا في خدمة الخليفة إلى بغداد، فصحب الجيش عشرة[2] من الباطنية، فلما وصل الجيش حملوا على الخليفة فقتلوه في خيمته وقطعوه قطعاً، وقتلوا معه أصحابه. وشاع الخبر في الآفاق، فاشتد حزن الناس على الخليفة المسترشد.

وكان قتل الخليفة في يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة[3]، وحملت

---

(١) الكامل ٨/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦، والبداية والنهاية ١٢ / ٣٠٣ وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٠٦ ـ ٥٠٨.

(٢) في الكامل: «أربعة وعشرون رجلاً من الباطنية» ٨/ ٣٤٨.

(٣) في الكامل: «وكان قتله يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة» ٨/ ٣٤٨.

أعضاؤه إلى بغداد. وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة وثلاثة أشهر. وكانت خلافته سبعة عشر سنة وستة أشهر وعشرين يوماً[1].

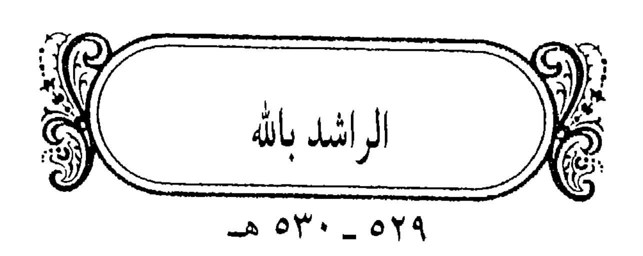
أهم الوفيات في عهده

في سنة اثني عشرة وخمسمائة توفي الحسين بن محمد الزينبي انتهت إليه رياسة مذهب أبي حنيفة. وفي سنة ثلاث عشرة وخمسائة توفي علي بن عقيل أبو الوفا شيخ الحنابلة ببغداد. وفيها توفي أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني قاضي القضاة ابن قاضي القضاة. وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة توفي ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي بن جعفر الصقلي ثم المعرّي مصنف كتاب الأفعال. وفيها توفي الطغرائي الحسين بن علي الأصبهاني العميد صاحب لامية العجم. وفي سنة ست عشرة وخمسمائة توفي القاسم بن علي فخر الدولة أبو محمد الحريري صاحب مقامات الحريري. وفيها توفي الحسين بن محمود بن محمد البغوي صاحب التفسير وشرح السنة والتهذيب في الفقه. وفي سنة سبع عشرة وخمسمائة توفي أحمد بن محمد بن علي بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي الكاتب. وفي سنة تسع عشرة وخمسمائة توفي القاضي أبو سعد الهروي أحمد بن نصر أحد مشاهير الفقهاء. وفي سنة عشرين وخمسمائة توفي أحمد بن محمد أبو الفتح الطوسي الغزالي أخو أبي حامد الغزالي.

وفي سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة توفي أسعد بن أبي نصر الميهني أبو الفتح أحد أئمة الشافعية في زمانه. وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة توفي محمد بن أحمد بن أبي الفضل الماهاني أحد أئمة الشافعية. سنة سبع وعشرين وخمسمائة توفي أسعد بن أبي نصر أبو الفضل الميهني أحد أئمة الشافعية المدرس بالنظامية. وفيها توفي ابن الزاغوني الحنبلي على يد عبدالله الإمام المشهور بالفقه والنحو واللغة.

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨، والكامل ٨/ ٣٤٧ ـ ٣٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٠٩ ـ ٥١١، وشذرات الذهب ٤/ ٨٦ ـ ٨٩.



الراشد بالله

٥٢٩ ـ ٥٣٠ هـ

نسبه وحياته: هو أبو جعفر منصور بن المسترشد بن أحمد المستظهر بن المقتدي بأمر الله عبدالله بن الأمير محمد بن القائم العباسي. ولد سنة اثنين وخمسمائة، وأمه أم ولد، بويع بالخلافة حينما كان عمره سبعاً وعشرين سنة، وخطب له أبوه بولاية العهد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

تولّيه الخلافة: لما قتل المسترشد بالله بويع الراشد بالله، وكتب السلطان مسعود إلى «بك آبه» ببغداد يبايع له، وحضر بيعته أحد وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء[1].

قتل دبيس: في سنة تسع وعشرين وأربعمائة قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى. حيث أمر السلطان مسعود غلاماً أرمنياً، فوقف على رأسه وهو ينكث الأرض بأصبعه، فضرب رقبته وهو لا يشعر. وكان ابنه صدقة بالحلة فاجتمع إليه عسكر أبيه وممالكه وكثر جمعه[2].

خلع الراشد: في سنة ثلاثين وخمسمائة وقع بين الخليفة وبين السلطان مسعود خلاف، لما فعله مسعود مع والده خليفة المسلمين، فاستجاش السلطان العساكر، واستنهض الخليفة الأمراء، وساند الخليفة عماد الدين زنكي والسلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه، فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة. لكن الخليفة آثر الذهاب مع عماد الدين زنكي إلى الموصل، فدخل مسعود بغداد

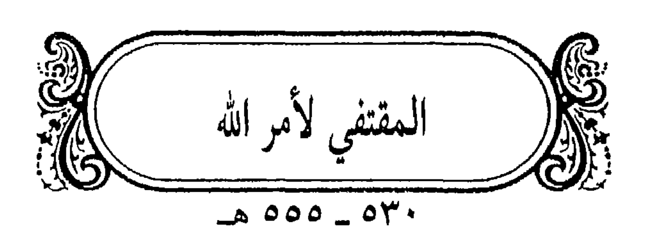
---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الخلفاء ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧، وشذرات الذهب ٤/ ١٠٠ ـ ١٠١، والكامل ٨/ ٣٤٩، والبداية والنهاية ١٢ / ٢١٢.

(٢) الكامل ٨/ ٣٥٠.

في غيبتهم، فاستحوذ على دار الخلافة، وجمع القضاة والفقهاء وأبرز لهم خط الراشد أنه متى خرج من بغداد لقتال السلطان فقد خلع نفسه من الخلافة، فأفتى من أفتى من الفقهاء بخلعه، فخلع يوم الاثنين سادس عشر ذي العقدة بحكم الحاكم وفتيا الفقهاء، وكانت خلافته إحدى عشر شهراً وإحدى عشر يوماً[1].

(١) انظر البداية والنهاية ١٢ / ٢١٠، والكامل ٨/ ٣٥٤ وقيل في قصة خلعه غير ذلك.



المقتفي لأمر الله

٥٣٠ ـ ٥٥٥ هـ

نسبه وحياته: هو محمد بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله عبدالله بن الأمير محمد بن القائم العباسي أمير المؤمنين أبو عبدالله المقتفي لأمر الله. ولد في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وأمه حبشية. وسبب تلقيبه بالمقتفي أنه رأى في منامه قبل أن يستخلف بستة أيام رسول الله ﷺ وهو يقول له: «سيصل هذا الأمر إليك فاقتف لأمر الله» فلقب بالمقتفي لأمر الله.

كان عالماً فاضلاً ديناً، حليماً شجاعاً مقداماً مهيباً خليقاً بالإمارة، وهو أول من استبدَّ بالعراق منفرداً عن السلطان من أول أيام الديلم إلى أيامه. وتمكن من الخلافة.

تولّيه الخلافة: لما قطعت الخطبة للراشد بالله، استشار السلطان مسعود جماعة من أعيان بغداد، منهم الوزير علي بن طراد وصاحب المخزن وغيرهما فيمن يصلح أن يلي الخلافة. فقال الوزير: أحد عمومة الراشد وهو رجل صالح. قال: من هو؟ قال: من لا أقدر أن أفصح باسمه لئلا يقتل، فتقدم إليهم بعمل محضر في خلع الراشد كما تقدم. ثم ذكر اسم محمد بن المستظهر بالله وذكر دينه وعقله وعفته ولين جانبه، فحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وغيره، وأمر بإحضار الأمير أبي عبدالله بن المستظهر من المكان الذي يسكن فيه، فأحضر وأجلس في الميمنة، ودخل السلطان إليه والوزير، وتحالفا، وقرر الوزير القواعد بينهما، وخرج السلطان من عنده، وحضر الأمراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوا ثامن عشر ذي الحجة[1].

---

(١) انظر ترجمته في: الكامل ٨/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، والبداية والنهاية ١٢ / ٢١٠ ـ ٢١١ و٢٤١، وشذرات =

قتل الخليفة المخلوع: في سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة تغلب السلطان مسعود على الأمراء الذين مع الخليفة المخلوع وقتل منهم صدقة بن دبيس، وهرب الراشد فدخل أصبهان، فقتله رجل ممن كان يخدمه من الخراسانية، وذلك في الخامس والعشرين من رمضان، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان[١].

الروم في الشام: وفيها حاصر الروم مدينة بزاعة على ستة فراسخ من حلب، فخرج أهل حلب يستنجدون بزنكي وهو يحاصر حمص، فأمدهم ببعض عسكره. لكن الروم ملكوا بزاعة بالأمان، ثم غدرت الروم بأهل بزاعة فقتل منهم وأسر وسبى، ثم أتى الروم حلب، فقاتلهم أحداث حلب قتالاً شديداً، فقتل من الروم وجرح خلق كثير وعادوا خاسرين فأخذوا قلعة الأثارب، ثم أزاحهم عنها المسلمون من أهل حلب[٢].

قتل صاحب دمشق: في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغتكين قتله ثلاثة من خواصه ليلاً وهربوا من القلعة، فأُدرك اثنان فصلبا وأفلت واحد[٣].

أمر السلاطين: فيها استولى الأمراء على غلات البلاد، وعجز السلطان مسعود ولم يبق له إلاّ الاسم وتضعضع أيضاً أمر السلطان سنجر، وتمكن الخليفة المقتفي، وزادت حرمته وعلت كلمته[٤].

حصار دمشق وبعلبك: في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة حاصر زنكي دمشق، فحصنها الأتابك معين الدين بن مملوك طغتكين، وأرسل معين الدين إلى أخيه «مجير الدين أتق» وهو ببعلبك فملكه دمشق. فذهب زنكي إلى بعلبك فأخذها واستناب عليها نجم الدين أيوب صلاح الدين[٥].

= الذهب ٤/ ١٧٢ ـ ١٧٤، وتاريخ الخلفاء ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥١٢.

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٢١٢.

(٢) الكامل ٨/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢١٥.

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٤٣٨.

(٥) البداية والنهاية ١٢ / ٢١٦.

انهزام السلطان سنجر من الأتراك: في سنة ست وثلاثين وخمسمائة انهزم السلطان سنجر أمام خوارزم شاه، بعد حروب متعددة، فاستحوذ خوارزم على مرو وفتك بها، وأساء التدبير مع الفقهاء الحنفية الذين بها[1].

صلح مسعود وزنكي: في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وصل السلطان مسعود إلى بغداد وجمع العساكر لقصد السلطان زنكي، وكان حقد عليه حقداً شديداً، فبعث إليه زنكي يستعطفه، فتصالحا على مال يدفعه زنكي[2].

فتح الرها: في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة أخذ عماد الدين زنكي الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الصليبيين، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وسبى نساء كثيرة، وغنم أموالاً جزيلة، وأزال عن المسلمين كرباً شديداً[3].

طرابلس الغرب: في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ملك الصليبيون طرابلس الغرب، بعد أن عبروا إليها من صقلية بحراً، فسفكوا دماء أهلها، وسبوا نساءهم، وأخذوا أموالهم[4].

قتل عماد الدين زنكي: كان عماد الدين زنكي بن آقسنقر محاصراً قلعة جعبر، وفيها شهاب الدين سالم ابن مالك العقيلي، فرشى سالم بعض مماليك زنكي فقتلوه في الليلة الخامسة من ربيع الأول، وكان تحت سلطنة الموصل وحلب وبعلبك والجزيرة وبعض البلاد الشامية. فقام بالأمر من بعده بالموصل ولده سيف الدولة غازي، وولده نور الدين محمود بحلب، فاستعاد نور الدين مدينة الرها[5].

الأندلس: في هذه السنة سير عبد المؤمن بن علي جيشاً إلى جزيرة الأندلس، فملكوا ما فيها من بلاد المسلمين، حيث كان استجار به أهل الأندلس وبايعوه[6].

---

(١) المصدر السابق ١٢ / ٢١٨، والكامل مفصلاً ٩/ ٢ ـ ٤.

(٢) الكامل ٩/ ٦ ـ ٧.

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢١٩.

(٤) الكامل ٩/ ١٢.

(٥) البداية والنهاية ١٢ / ٢٢١، والكامل ٩/ ١٣ ـ ١٤.

(٦) الكامل ٩/ ١٤ ـ ١٥.

وفي جمادى الأولى من سنة اثنين وأربعين وخمسمائة حاصر الصليبيون مدينة المرية من الأندلس وضيقوا عليها براً وبحراً فملكوها عنوة، وأكثروا القتل والنهب بها، وملكوا أيضاً مدينة شاسة وولاية جيان.[1].

حصار الفرنج دمشق: في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة سار ملك الألمان من بلاده في خلق كثير وجمع عظيم مع الصليبيين، فانضم إليه الصليبيون الذين في الشام وانصاعوا له، فحاصروا دمشق وهم لا يشكون في ملكها بأيسر قتال، فجمع «معين الدين أنز» العساكر وحفظ البلد، وأقام الصليبيون يحاصرونهم حتى هجموا سادس ربيع الأول بفارسهم وراجلهم، فصبر لهم المسلمون وكاد الصليبيون أن ينتصروا لولا تهديد سيف الدين غازي بن أتابك زنكي بقتال الفرنج بعساكره، فكف الصليبيون عن القتال خوفاً من كثرة الجراح. وعاد الصليبيون الألمان إلى بلادهم[2].

أخذ الصليبيين المهدية: في هذه السنة أخذ الصليبيون المهدية بأفريقية، وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن بليكين بأهله، وخاف على أمواله، فتمزق بالبلاد، وكان آخر ملوك بني باديس[3].

الأندلس: وفي هذه السنة ملك الصليبيون بالأندلس مدينة «طرطوشة»، وملكوا معها جميع قلاعها وحصون «لاردة» و«أفراغه»، ولم يبق للمسلمين في تلك الجهات شيء إلاّ واستولى الصليبيون على جميعه لاختلاف المسلمين بينهم[4].

وفاة سيف الدين: في سنة أربع وأربعين وخمسمائة توفي سيف الدين غازي بن أتابك زنكي صاحب الموصل بمرض حاد، وكانت ولايته ثلاث سنين وشهراً وعشرين يوماً، وملك أخوه قطب الدين مودود بن زنكي الموصل[5].

---

(١) المصدر السابق ٩/ ١٧.
(٢) المصدر السابق ٩/ ٢٠ ؛ ٢١.
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢٢٣.
(٤) الكامل ٩/ ٢٣.
(٥) الكامل ٩/ ٢٣ ـ ٢٤.

وفاة الحافظ وولاية الظافر: وفي هذه السنة في جمادي الآخرة مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر العلوي، فقام بالأمر من بعده ولده الظافر إسماعيل[1].

هزيمة الصليبيين: وفي هذه السنة غزا نور الدين محمود بن زنكي بلاد الفرنج من ناحية إنطاكية، فقصد حصن «حارم» فهزم أهله وخرّبه، وكذلك فعل بحصن «أنب»، فاجتمع الصليبيون مع البرنس صاحب إنطاكية وساروا إلى نور الدين، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، فانهزم الصليبيون أقبح هزيمة، وقتل منهم جمع كثير منهم البرنس[2].

فتوحات نور الدين: في سنة خمس وأربعين وخمسمائة فتح نور الدين محمود بن زنكي حصن «فامية»، وهو من أحصن الحصون للصليبيين قرب حماة. ثم فتح حصن «إعزاز» وأسر ابن ملكها ابن جوسلين، ثم أسر بعده جوسلين، وفتح بلاداً كثيرة[3].

وفاة السلطان مسعود: في سنة سبع وأربعين وخمسمائة توفي السلطان مسعود، وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه بن محمد بن ملكشاه[4].

ملك عبد المؤمن بجاية: وفيها ملك عبدالمؤمن صاحب المغرب بجاية، وملك جميع ممالك بني حماد، فكان آخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد.

ثم جهز جيشاً إلى صنهاجة فحاصرها وأخذ أموالها. ثم قصد قلعة بني حماد، وهي من أحصن القلاع وأعلاها، فلما رأى أهلها عساكر الموحدين هربوا منها وملكت القلعة وأخذ جميع ما فيها[5].

سنجر وملك الغور[6]: وفيها اقتتل سنجر وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسين أول ملوكهم فكسره سنجر وأسره ثم أطلقه إلى بلاده. ثم أن علاء الدين سار إلى غزنة فانتزعها من يد بهرام شاه السبكتكيني، واستخلف عليها أخاه

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٢٢٦.
(٢) الكامل ٩ / ٢٥ ـ ٢٦.
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢٢٨.
(٤) المصدر السابق ١٢ / ٢٢٩.
(٥) الكامل ٩/ ٣١.
(٦) الغوريون: قوم جبليون يقيمون بين غزنة وهراة، وبلادهم جبلية موحشة.

سيف الدين، فغدر به أهل البلد وسلموه إلى بهرام شاه فصلبه. فجاء علاء الدين فنهبها ثلاثة أيام وقتل من أهلها بشراً كثيراً، وبذلك انقضت دولة بني سبكتكين[(١)].

الهند: لما قوي أمر علاء الدين الحسين بن الحسين استعمل العمال والأمراء، واستعمل ابني أخيه غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام، وشهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام على بعض البلاد، وجعل علاء الدين ابن أخيه غياث الدين ولي العهد من بعده. وسار شهاب الدين يفتح في البلاد، فسار إلى بلاد الهند ففتح حصوناً وكسر كثيراً من جيوش الهند، فاتفق ملوك الهند على محاربته مجتمعين فحاربوه فانكسر شهاب الدين وكاد أن يقتل. ثم جاءه المدد من غياث الدين، فهاجم الهنود وكسرهم وهم غارون وقتل ملكتهم، وملك كثيراً من بلاد الهند، وأقطع مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دلهي. ثم أرسل قطب الدين عسكراً ففتحوا بلاداً لم يطأها مسلم من قبل حتى وصلوا حدود الصين[(٢)].

سنجر والأتراك: في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة خرجت الأتراك الغز على السلطان سنجر فقتلوا من جيشه خلقاً كثيراً، ثم أسروه وأذاقوه الذل، وملكوا بلاده، وأبقوا الخطبة باسمه، وبقي معهم صورة بلا معنى، وصار يبكي على نفسه[(٣)].

قتل الظافر وولاية ابنه: في سنة تسع وأربعين وخمسمائة قتل صاحب مصر الظافر بالله العلوي العبيدي، وأقاموا ابن الفائز عيسى مقامه، وكان صبياً صغيراً له من العمر خمس سنين[(٤)].

ملك نور الدين دمشق: في صفر من هذه السنة ملك نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر مدينة دمشق، وأخذها من صاحبها مجير الدين أنز بن محمد بن بوري بن طغتكين أتابك. فكتب الخليفة المقتفي بتولية نور الدين بلاد الشام، وأمره بالمسير إلى مصر ولقبه بالملك العادل، وعظم سلطان المقتفي واشتدت شوكته[(٥)].

---

(١) المصدر السابق ١٢ / ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) الكامل ٩/ ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٤٤٠.

(٤) الكامل ٩/ ٤٣ ـ ٤٤، وتاريخ الخلفاء ص ٤٤٠.

(٥) البداية والنهاية ١٢ / ٢٣١ ـ ٢٣٢، وتاريخ الخلفاء ص ٤٤٠، والكامل ٩ / ٤٥ ـ ٤٦.

فتح بعلبك: في سنة خمسين وخمسمائة عاد نور الدين وفتح بعلبك، وملكها من نائبها الضحاك البقاعي(١).

سليمان شاه: في المحرم من سنة إحدى وخمسين وخمسمائة دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد، فتلقاه الوزير ابن هبيرة وأدخله على الخليفة، فقبل الأرض، وخلع عليه الخليفة خلع الملوك، وتقرر أن للخليفة العراق، ولسليمان شاه ما يفتحه من خراسان، ثم خطب له ببغداد، ثم خرج منها في ربيع الأول، فاقتتل هو والسلطان محمد بن محمود بن ملكشاه، فهزمه ثم أسره نائب قطب الدين على الموصل، وأكرمه مدة حبسه(٢).

الزلزال العظيم: في سنة اثنين وخمسين وخمسمائة كانت زلزلة عظيمة بالشام، هلك بسببها خلق كثير لا يحصى عددهم، وتهدم أكثر حلب وحماه وشبرز وحمص وحصن الأكراد واللاذقية ومعرة النعمان وإنطاكية وطرابلس، وهلك من مدائن الفرنج شيء كثير، وتهدم أسوار أكثر مدن الشام(٣).

هرب السلطان سنجر ووفاته: وفي هذه السنة في رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من أسر الغز الأتراك، وهرب معه جماعة من الأمراء، ثم توفي في هذه السنة(٤).

إنقراض دولة الملثمين: وفي هذه السنة انقرضت دولة الملثمين بالأندلس، وملك أصحاب عبد المؤمن مدينة المرية من الفرنج ودات إلى ولاية المسلمين(٥).

إفريقية: في سنة أربع وخمسين وخمسمائة استعاد عبد المؤمن مدينة المهدية من الصليبيين، وبذلك يكون قد ملك جميع إفريقيا، وملك معها أيضاً الأندلس(٦).

وفاة محمد بن محمود: في هذه السنة توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه، وهو الذي حاصر بغداد طالباً السلطنة وعاد عنها، فأصابه سل، وطال به فمات(٧).

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣.
(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٢٣٥ ـ ٢٣٦.
(٣) المصدر السابق ١٢ / ٢٣٦.
(٤) الكامل ٩/ ٥٠، والبداية والنهاية ١٢ / ٢٣٧.
(٥) الكامل ٩/ ٥٥ ـ ٥٦.
(٦) البداية والنهاية ١٢ / ٢٤٠.
(٧) الكامل ٩/ ٦٦.

وفاة الخليفة المقتفي: في ثاني ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وخمسمائة توفي أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله بعلة التراقي. وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً.

أهم الوفيات في عهده

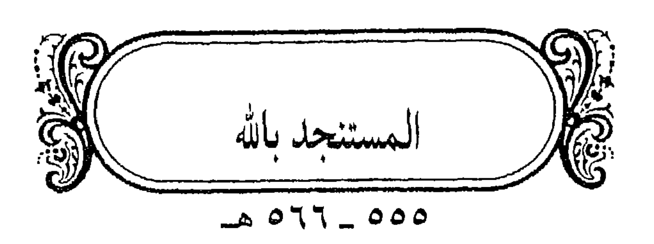
في سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة توفي أبو بكر بن أبي الفتح الدينوري الحنبلي الفقيه، وفيها توفي محمد بن عبد الملك أبو الحسن الكرخي الفقيه المحدث الشافعي. وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة توفي زاهر بن طاهر أبو القاسم السحامي المحدث المكثر الرحالة. في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة توفي الزمخشري محمود بن عمر أبو القاسم صاحب الكشاف في التفسير والمفصل في النحو وفي سنة أربعين وخمسمائة توفي موهوب بن أحمد أبو منصور الجواليقي شيخ اللغة في زمانه.

وفي سنة اثنين وأربعين وخمسمائة توفي هبة الله بن علي أبو السعاءات ابن الشجري النحوي. وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة توفي أبو الحجاج يوسف بن درباس الفندلاوي شيخ المالكية بدمشق. وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة توفي القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي أحد كبار مشايخ العلماء المالكية وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة. وفي سنة خمس وأربعين وخمسمائة توفي الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي شارح الترمذي، وفي سنة ست وأربعين توفي برهان الدين أبو الحسن بن علي البلخي شيخ الحنفية بدمشق. وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة توفي جرير والفرزدق الشاعران المشهوران، وفي سنة خمسين وخمسمائة توفي محمد بن ناصر أبو الفضل البغدادي الحافظ.

وفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة توفي أبو الحسن الغزنوي الواعظ علي بن الحسين. وفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة توفي عبد الأول بن عيسى أبو الوقت السجزي الصوفي الروي. وفيها توفي يحيى بن سلامة أبو الفضل الشافعي الناظم الناثر، كان إماماً في علوم كثيرة من الفقه والآداب.

بيت زنكي
من ٥٢١ إلى ٦٣١ هـ

- آقسنقر
  - **أ ـ أتابة الموصل**
  - ١ ـ عماد الدين زنكي
    - ٢ ـ سيف الدين غازي الأول
    - ٣ ـ قطب الدين مودود
      - ط ـ سيف الدين غازي الثاني
        - **أتابكة الجزيرة**
        - ١ ـ معز الدين سنجر شاه
          - ٢ ـ معز الدين محمود
            - ٣ ـ مسعود
          - مردود
          - غازي
      - ٥ ـ عز الدين
        - ٦ ـ أرسلان شاه
          - ٧ ـ مسعدو الثاني
            - ٨ ـ أرسلان شاه الثاني
            - ٩ ـ محمود
      - **ج أتابكة سنجار**
      - ١ ـ عماد الدين زنكي الثاني
        - ٢ ـ محمد
          - ٣ ـ عماد الدين شاهنشاه
          - ٤ ـ محمود
    - محمد
    - **ب ـ أتابكة سورية**
    - ١ ـ نور الدين محمود
      - ٢ ـ الصالح إسماعيل



المستنجد بالله

٥٥٥ ـ ٥٦٦ هـ

نسبه وحياته: هو أبو المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله عبدالله بن الأمير محمد بن القائم العباسي أمير المؤمنين. ولد سنة ثمان عشرة وخمسمائة[١]؛ وأمه أم ولد كَرْجية اسمها طاووس أدركت دولته.

كان موصوفاً بالعدل والرفق، وكان شديداً على المفسدين.

تولّيه الخلافة: كان المقتفي قد خطب لابنه المستنجد بالله بولاية العهد سنة سبع وأربعين وخمسمائة، فلما مرض المقتفي حاولت أم ولده أبي علي قتل المستنجد لتولية ابنها فلم تستطع ذلك. فلما مات الخليفة بويع للمستنجد يوم موته.

وفاة الفائز وولاية العاضد العلويين: في سنة خمس وخمسين وخمسمائة توفي الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن إسماعيل العلوي صاحب مصر، وكانت خلافته ست سنين وشهرين، وكان له من العمر يوم ولي خمس سنين. ووقع الاختيار على العاضد لدين الله أبي محمد عبدالله بن يوسف الحافظ، وكان العاضد آنذاك مراهقاً قارب البلوغ، ولم يكن أبوه خليفة فقام بتدبير مصر الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير[٢].

وفاة خسروشاه: وفي هذه السنة توفي خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن

---

(١) في الكامل «كان مولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة» ٩/ ١٠٨.

(٢) الكامل ٩/ ٦٨، والبداية والنهاية ١٢ / ٢٤٢.

إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، وملك بعده ابنه ملك شاه[1].

وفاة ملكشاه: وفي هذه السنة توفي ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بأصفهان مسموماً، وخطب أهل أصفهان من بعده لعمه سليمان شاه[2].

قتل سليمان شاه: في سنة ست وخمسين وخمسمائة قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وكان عنده استهزاء وقلة مبالاة بالدين، قتله مدبر مملكته بزديار الخادم، وبويع بعده لأرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه[3].

وفاة ملك الغور: في هذه السنة توفي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغوري، فملك بعده ابنه سيف الدين محمد وأطاعه الناس، وكان قد صار في بلادهم جماعة من دعاة الإسماعيلية وكثر أتباعهم فأخرجهم من تلك الديار جميعها[4].

الحرب بين العرب وعسكر بغداد: اجتمعت العرب من خفاجة إلى الحلة والكوفة وطالبوا برسومهم من الطعام، فمنعهم أمير الحاج «أرغش» وهو مقطع الكوفة، فأفسدت خفاجة ونهبوا. فخرج إليهم أرغش في عسكر فانهزم منهم. فخرج إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة فتبعهم فهربوا إلى البرية[5].

الحرب بين المسلمين والكرج[6]: في سنة سبع وخمسين وخمسمائة دخلت الكرج بلاد المسلمين في ثلاثين ألف مقاتل فقتلوا نحو عشرة آلاف قتيل من

(١) الكامل ٩/ ٧٠.
(٢) المصدر السابق ٩/ ٧١.
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢٤٣، وانظر مفصلاً في الكامل ٩/ ٧٢ ـ ٧٣.
(٤) الكامل ٩/ ٧٤.
(٥) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٢٣، والبداية والنهاية ١٢ / ٢٢٤.
(٦) الكُرْج: هو جيل من الناس نصارى، كانوا يسكنون في جبال القبق في أرمينية. (انظر معجم البلدان ٤/ ٣٠٦ و٤٤٦).

الرجال، فاجتمع ملوك تلك الناحية: إيلدكز صاحب أذربيجان، وابن سكمان صاحب خلاط، وابن آقسنقر صاحب مراغة، وساروا إلى بلاد الكرج في السنة الآتية فنهبوها، وأسروا ذراريهم، وقاتلوهم فهزموهم(١).

وفاة عبد المؤمن: في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة مات عبد المؤمن بن علي التومرتي صاحب المغرب، وخلفه في الملك من بعده ابنه يوسف، فبايعه الناس ولقبوه أمير المؤمنين(٢).

وقعة البقيعة: في هذه السنة كَبَس الصليبيون عسكر نور الدين محمود بن زنكي نهاراً وهم غارون تحت حصن الأكراد، فانهزم المسلمون لا يلوي أحد على أحد، وهرب نور الدين محمود قبل أن يدركه الصليبيون(٣).

وقعة حارم: في سنة تسع وخمسين وخمسمائة استغاث نور الدين محمود بن زنكي بعساكر المسلمين، فجاءوه من كل فج ليأخذ ثأره من الفرنج، فالتقى معهم على حارم فكسرهم كسرة فظيعة، وأسر البرنس بيمند صاحب إنطاكية، والقومص صاحب طرابلس، والدوك صاحب الروم، وقتل منهم عشرة آلاف(٤).

فتوحات نور الدين: في سنة ستين فتح نور الدين محمود بن زنكي بانياس، وفي سنة إحدى وستين وخمسمائة فتح حصن المنيطرة من الشام، وقتل عنده خلق كثير من الفرنج. وفي سنة اثنين وستين وخمسمائة فتح نور الدين صافيتا والعريمة وحصن هونين.

مصر: في سنة اثنين وستين وخمسمائة أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية، فأستأذن أسد الدين شيركوه نور الدين بن زنكي فأرسله إلى مصر في ربيع الآخر ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، فلما علم الوزير شاور وزير مصر بقدومهم استعان بالصليبيين عليهم. وكان عدد المسلمين ألفي

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٢٤٥، والكامل ٩/ ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٢٤٦.

(٣) الكامل ٩/ ٨٢ ـ ٨٣.

(٤) البداية والنهاية ١٢ / ٢٤٨، والكامل ٩/ ٨٦ ـ ٨٧.

فارس، فخاضوا الحرب مع الصليبيين فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة وهزموهم[1].

الإسكندرية: ثم ملك أسد الدين شيركوه الإسكندرية وجبى أموالها، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين، وعاد إلى الصعيد فملكه وجمع منه أموالاً جزيلة. ثم عادت الإسكندرية إلى يد شاور بعد أن حاصرها مع الفرنج، ولم يقدر صلاح الدين على فلك الحصار لوجود عمه في الصعيد مع كثير من الجيش. ثم عاد أسد الدين وصلاح الدين إلى بلاد الشام[2].

مصر: في سنة أربع وستين وخمسمائة طغت الفرنج بالديار المصرية، أحرق شاور مصر وبقيت النار فيها أربعة وخمسين يوماً. فاستغاث صاحبها العاضد بنور الدين محمود بن زنكي، فسير إليهم الأمير أسد الدين ومعه ابن أخيه صلاح الدين. فدخل أسد الدين على العاضد بمصر وفرح المسلمون بقدومه، وهرب كثير من الفرنج إلى الشام. ثم اتفق أن أمسك صلاح الدين بالوزير شاور، ثم اتفق مع أسد الدين على قتله فقتلوه، وأرسلوا برأسه إلى العاضد في سابع عشر ربيع الآخر، فاستوزر العاضد أسد الدين ولقبه الملك المنصور. ثم مات أسد الدين شيركوه، فاستوزر العاضد ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي[3].

وفاة المستنجد بالله: مرض المستنجد في أول سنة ست وستين وخمسمائة ثم عوفي فيما يبدو للناس، فعمل ضيافة عظيمة بسبب ذلك وفرح الناس، ثم أدخله الطبيب إلى الحمام وبه ضعف شديد فمات في الحمام، وذلك يوم السبت ثاني ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً[4].

أهم الوفيات في عهده

في سنة تسع وخمسين وخمسمائة توفي ابن الخازن الكاتب أحمد بن محمد

---

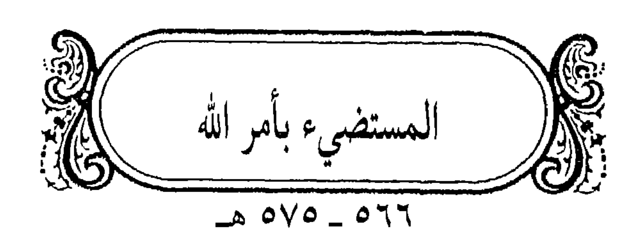
(١) البداية والنهاية ١٢ / ٢٥٢.

(٢) المصدر السابق ١٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق ١٢ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦، والكامل ٩/ ٩٩ ـ ١٠٣.

(٤) البداية والنهاية ١٢/ ٢٦٣، والكامل ٩/ ١٠٨ ـ ١٠٩.

الشاعر البغدادي. وفي سنة ستين وخمسمائة توفي مرجان الخادم كان يقرأ القراءات. وفيها توفي الطبيب ابن التلميذ الحاذق الماهر. وفي سنة إحدى وستين وخمسمائة توفي الشيخ عبد القادر الجيلي بن أبي صالح الزاهد. وفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة توفي عبد القاهر بن محمد أبو النجيب السهروردي تفقه وأفتى ودرس بالنظامية وفيها توفي محمد بن عبد الحميد أبو الفتح الرازي المعروف بالعلاء العالم كان من الفحول في المناظرة.



المستضيء بأمر الله

٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ

نسبه وحياته: هو الحسن أبو محمد المستضيء بأمر الله بن يوسف المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله العباسي أمير المؤمنين. ولد سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وأمه أم ولد أرمنية اسمها غضة.

نادى برفع المكوس، ورد المظالم، وأظهر من العدل والكرم ما لم نره يرى في ذلك الوقت.

البيعة بالخلافة: بويع بالخلافة يوم مات أبوه بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر، وخلع يومئذٍ على الناس أكثر من ألف خلعة، وكان يوماً مشهوداً.

ملك نور الدين الرقة والموصل: في سنة ست وستين وخمسمائة وبعد وفاة أخيه قطب الدين، سار نور الدين محمود بن زنكي فأخذ الرقة ثم نصيبين والخابور وسنجار، وسلمها إلى زوج ابنته ابن أخيه مودود بن عماد الدين. ثم سار إلى الموصل فأقام بها ثم سلمها إلى ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين مع الجزيرة، وزوجه ابنته الأخرى. وعمَّ الخير أهل الموصل بعد أن أشار بذلك الشيخ الصالح العابد عمر الملا[١].

صلاح الدين في عسقلان: وفي هذه السنة سار صلاح الدين عن مصر إلى الصليبيين في عسقلان والرمة وربض غزة، فانهزم الصليبيون[٢].

تحسينات صلاح الدين بمصر: وفي هذه السنة هدم صلاح الدين داراً للشحنة

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٢٦٣، والكامل ٩/ ١٠٩ ـ ١١٠.
(٢) الكامل ٩/ ١١٠.

تسمى دار المعونة يحبس فيها من يريد حبسه، وبناها مدرسة للشافعية، وأزال ما كان فيها من الظلم، وبنى دار العدل، وعزل قضاة المصريين، وأقام قاضياً شافعياً في مصر وكذلك في جميع الأقطار التي تحت سلطته. وعمَّر أسوار مصر والإسكندرية، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً، وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر(١).

إنقراض الدولة العلوية: في سنة سبع وستين وخمسمائة في ثاني جمعة من المحرم قطعت الخطبة للعلويين، وخطب فيها لبني العباس، حيث أن العاضد لدين الله أبا محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم والذي يصل نسبه إلى الحاكم بأمر الله ومن ثم إلى المهدي توفي في ١٠ محرم. ولما توفي استحوذ صلاح الدين على القصر بما فيه، وأخرج منه أهل العاضد إلى دار أفردها لهم، وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة(٢).

الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين: في هذه السنة غزا نور الدين بلاد الصليبيين على سواحل الشام فأحل بهم بأساً شديداً، ثم عزم على محاصرة الكرك، وكتب إلى صلاح الدين يلتقيه بالعساكر المصرية إلى بلاد الكرك، فخرج صلاح الدين امتثالاً لأمر نور الدين ثم عاد إلى مصر خوفاً من ضياع الأمن في مصر وأرسل يعتذر إلى نور الدين، فوقع في نفس نور الدين شيء واشتد غضبه على صلاح الدين، فأراد نور الدين قصد مصر بجيوشه، لكن صلاح الدين وبنصيحة من أبيه أرسل برسالة إلى نور الدين يعلمه عن استعداده للمثول أمامه طائعاً من غير ضرورة للعسكر، فلان قلب نور الدين، وانصرفت همته عنه(٣).

طرابلس الغرب: في سنة ثمان وستين وخمسمائة سار طائفة من الترك من ديار مصر مع قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين فاجتمع مع مسعود بن زمام الذي كان خارجاً عن طاعة عبد المؤمن فكثر جمعها ونزلا على

(١) الكامل ٩/ ١١٠، والبداية والنهاية ١٢ / ٢٦٣.
(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٢٦٥ ـ ٢٦٧، والكامل ٩/ ١١١ ـ ١١٢.
(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

طرابلس الغرب ففتحاها، وملكها قراقوش وحدثته نفسه بالاستيلاء على جميع إفريقية لبعد أبي يعقوب بن عبد المؤمن صاحبها عنها كما سيأتي[1].

بلاد اليمن: في سنة تسع وستين وخمسمائة سار شمس الدولة تورانشاه بن أيوب أخو صلاح الدين الأكبر عن إذن نور الدين محمود بن زنكي من مصر إلى بلاد اليمن لقصد عبد النبي صاحب زبيد الذي قطع الخطبة للعباسيين. فلما وصل إلى زبيد هزم أهلها وملكها شمس الدولة وأسر عبد النبي وأخذوا أموالاً كثيرة. ثم ساروا إلى عدن وأخذوها. ثم ملك قلعة تعز وغيرها من القلاع[2].

وفاة نور الدين محمود بن زنكي: وفيها مات السلطان المجاهد نور الدين صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر وذلك يوم الأربعاء حادي عشر شوال بعلة الخوانيق، ودفن بقلعة دمشق. وكان حسن السيرة عادلاً، عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة. وهو الذي بنى أسوار مدن الشام وقلاعها منها دمشق وحمص وحماه وحلب وشيزر وبعلبك، وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية، وبنى الجامع النوري بالموصل، وكان يكرم العلماء وأهل الدين. ولما توفي نور الدين قام ابن الملك الصالح إسماعيل بالملك بعده، وكان عمره إحدى عشرة سنة، فخطب له صلاح الدين بمصر. وطمع الصليبيون بعد موت نور الدين بدمشق وأرادوا أخذها، فقام لهم ابن مقدم الأتابك فواقعهم عند بانياس فضعف عن مقاومتهم، فهادنهم ودفع إليهم أموالاً جزيلة[3].

الصليبيون يهاجمون الاسكندرية: في سنة سبعين وخمسمائة قدم الصليبيون إلى الساحل المصري في أسطول لم يسمع بمثله، معهم مراكب كثيرة وآلات للحرب والحصار والمقاتلة، فنصبوا المنجيقات على الاسكندرية وبرز إليهم أهلها فقاتلوهم قتالاً شديداً أياماً، وأحرق أهل الاسكندرية المنجنيقات، فأضعف ذلك قلوب الصليبيين، ثم كبسهم المسلمون فقتلوا منهم جماعة وانهزم الصليبيون، واستحوذ المسلمون على أموالهم وخيولهم وخيامهم[4].

---

(١) الكامل ٩/ ١١٩.

(٢) المصدر السابق ٩/ ١٢٣.

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٤٤٧، والكامل ٩/ ١٢٤ ـ ١٢٦، والبداية والنهاية ١٢ / ٢٧٧ ـ ٢٨٦.

(٤) البداية والنهاية ١٢ / ٢٨٧، والكامل ٩/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

ملك صلاح الدين دمشق: خرج الملك صلاح الدين يوسف في الجيوش التركية قاصداً الشام، بعد أن مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكي، وضعف ابنه عن الإمساك بالأمور، فدخل مدينة دمشق في يوم الاثنين سلخ ربيع الأول، ولم يحاربه أحد، وجاء أعيان البلد للسلام عليه، وعامل صلاح الدين أهل دمشق بالإحسان(١).

ملك صلاح الدين حماه وحمص وبعلبك: لما استقرت له دمشق سار صلاح الدين إلى حمص، واستخلف على دمشق أخاه طغتكين، فحارب أولاً أهل حمص فملكها وامتنعت عليه القلعة. ثم سار إلى حماه وهو لا يزال يظهر الطاعة للملك الصالح بن نور الدين محمود بن زنكي، وإنما خرج لحفظ بلاده عليه. فلما وصل إلى حماة ملك المدينة مستهل جمادى الأخرة. ثم سار إلى حلب فحاصرها ثم عاد عنها إلى حمص فملك القلعة في الحادي والعشرين من شعبان. ثم سار من حمص إلى بعلبك فطلب صاحبها الأمان فأمنهم صلاح الدين وتسلم القلعة رابع عشر رمضان في هذه السنة(٢).

فتوحات صلاح الدين: لما هزم صلاح الدين عسكر سيف الدين غازي بن مودود ابن أخي محمود بن زنكي صاحب الموصل، سار إلى بزاعة فأخذها، ثم سار إلى منبج فحاصرها آخر شوال فملكها. ثم سار إلى قلعة إعزاز فنازلها ثالث ذي القعدة وما ملكها إلاّ حادي عشر ذي الحجة(٣) سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

بناء سور القاهرة: في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة أمر الملك الناصر صلاح الدين ببناء قلعة الجبل وإحاطة السور على القاهرة ومصر، وتولى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش(٤).

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٢٨٨، والكامل ٩/ ١٣٠ ـ ١٣١.
(٢) الكامل ٩/ ١٣١ ـ ١٣٢.
(٣) المصدر السابق ٩/ ١٣٦ ـ ١٣٧.
(٤) البداية والنهاية ١٢ / ٢٩٧، وتاريخ الخلفاء ص ٤٤٧.

أهم الوفيات في عهده

في سنة سبع وستين توفي أبو محمد بن الخشاب عبدالله بن أحمد النحوي. وفي سنة تسع وستين وخمسمائة قتل عمارة بن أبي الحسن الملقب بنجم الدين اليمني الفقيه الشاعر الشافعي. وفيها توفي الشاعر عمارة اليمني. وفيها توفي الحسن بن الحسن أبو العلاء الهمداني الحافظ. وفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة توفي الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر مصنف تاريخ دمشق. وفي سنة اثنين وسبعين وخمسمائة توفي محمد بن عبدالله بن القاسم قاضي القضاة بدمشق كمال الدين الشهرزوري الموصلي. وفيها توفي الخطيب شمس الدين بن الوزير أبو الضياء خطيب الديار المصرية وأول من خطب بديار مصر للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي. وفي سنة أربع وسبعين وخمسمائة توفي الشاعر الحَيْص البَيْص سعد بن محمد أبو الفوارس.

الغلاء والوباء العام: في سنة أربع وسبعين وخمسمائة انقطعت الأمطار بالكلية في سائر البلاد الشامية والجزيرة والعراق والديار والبكرية والموصل وغير ذلك، واشتد الغلاء، ودام حتى سنة خمس وسبعين فجاء المطر ورخصت الأسعار.

ثم أعقب ذلك وباء شديد عام، كثر فيه الموت، ويسمى هذا المرض «السرسام»، ثم رحم الله العباد والبلاد وأرسل الأمطار.

غارات الصليبيين على بلاد المسلمين: وفي هذه السنة حاول الصليبيون أخذ حماه فلم يستطيعوا، وأعان الله المسلمين عليهم. ثم ساروا إلى دمشق فأرسل إليهم صلاح الدين «فرخشاه» ولد أخيه فهزمهم عن دمشق[1].

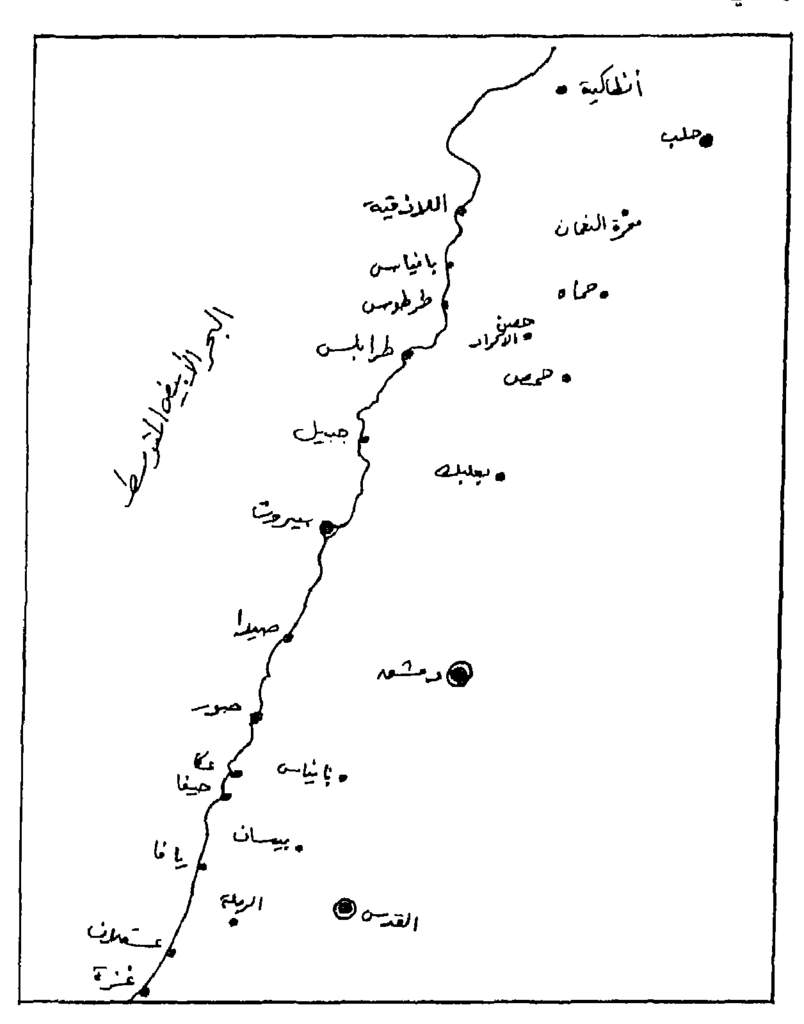
وقعة مرج عيون: في سنة خمس وسبعين وخمسمائة قصد السلطان صلاح الدين الصليبيين قرب بانياس بمكان يسمى تلة القاضي، فالتقى الفريقان، فأنزل الله

---

(١) الكامل ٩/ ١٤٥ ـ ١٤٦.

نصره، وفرت ألوية الصليبيين، وقتل منهم خلق كثير، وأسر من ملوكهم جماعة، فأسرهم بقلعة دمشق[1].

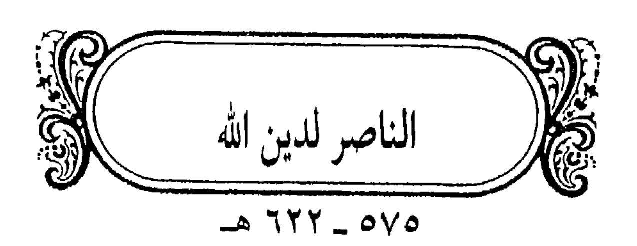
وفاة الخليفة المستضيء: في ثاني ذي القعدة من هذه السنة توفي أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله، وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر، ودفن بدار النصر التي بناها[2].



---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٣٠٢.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٣٠٤، والكامل ٩ / ١٤٨ ـ ١٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩.



الناصر لدين الله

٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ

نسبه وحياته: هو الناصر لدين الله أحمد بن الحسن المستضيء بأمر الله أبو العباس العباسي أمير المؤمنين. ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وأمه أم ولد تركية اسمها «زمرد». عُرف عنه أنه كان رديء السيرة في الرعية، مائلاً إلى الظلم والعسف، وكان يفعل أفعالاً متناقضة، وكان يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية بخلاف آبائه.

وكان يحفظ الحديث ويحدث به، أخذ عنه ابن سكينة وابن الأخضر وابن النجار وابن الدامغاني وغيرهم.

تولّيه الخلافة: لما توفي المستضيء قام ظهير الدين بن العطار في أخذ البيعة لولده الناصر لدين الله، وبايعه الأمراء والوزراء والكبراء والخاصة والعامة. وكان قد خطب له على المنابر في حياة أبيه قبل موته بيسير، قيل عن عهد من أبيه له. ولم يختلف عليه اثنان بعد وفاة أبيه[١].

اليمن: في سنة ست وسبعين وخمسمائة توفي شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين صاحب اليمن، فحصل في سنة سبع وسبعين وخمسمائة خلاف بين نواب شمس الدولة في اليمن، فأرسل إليهم صلاح الدين بعض أمرائه للإصلاح بينهم فلم يتم له ذلك[٢].

---

(١) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١٢ / ٣٠٥ و١٣ / ١٠٦ ـ ١٠٧، والكامل ٩/ ١٤٨ ـ ١٤٩ و٣٦٠ ـ ٣٦١، وشذرات الذهب ٥/ ٩٧ ـ ٩٩، وتاريخ الخلفاء ص ٤٤٨ ـ ٤٥٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩.

(٢) الكامل ٩/ ١٥٣.

وفاة الملك الصالح: في الخامس والعشرين من رجب توفي الملك الصالح بن نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب، فدفن بها، وكان لم يبلغ عشرين سنة، وكان مات مسموماً، فلما أحس بالمرض استدعى الأطباء فوصفوا له الخمر دواء، فاستفتى الفقهاء فأجازوا له ذلك، فقال: أيزيد شربها في أجلي أو ينقص منه تركها شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فوالله لا أشربها وألقى الله وقد شربت ما حرمه عليَّ. واستخلف بعده ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل[١].

غزوات صلاح الدين: وفي هذه السنة عاد السلطان صلاح الدين من مصر إلى الشام للإغارة على الصليبيين. ففي صفر فتح المسلمون شقيفاً بالشام. ثم أغار صلاح الدين على غور الأردن في صفر فأخذ بيسان. ثم سار إلى بيروت فنهب بلدها وكان وافاه أسطول من مصر ليساعده على حصار بيروت. ثم عبر صلاح الدين الفرات وملك ديار الجزيرة. ثم سار صلاح الدين إلى الموصل وكانت أسوارها منيعة، فنصب عليها المنجنيق فلم يمكنه أخذها، ثم سار عنها إلى سنجار فملكها. ثم سار إلى حران ليريح جيشه[٢].

وفي الرابع عشر من محرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة تسلم السلطان الناصر صلاح الدين مدينة آمد صلحاً بعد حصار طويل. ثم سار إلى تل خالد وعينتاب من أعمال الشام فملكهما. ثم حاصر حلب وقاتله أهلها قتالاً شديداً، ثم صالح صاحبها على أن يأخذ صلاح الدين حلب ويرد إليه الموصل، وهكذا كان فأخذ صلاح الدين حلب وأحسن إلى أهلها، وجعل عليها ابنه الملك الظاهر غازي وهو صبي، وجعل معه الأمير سيف الدين يازكج، ثم جمع جيوشه وتجهز مرة أخرى لحرب الصليبيين[٣].

دعوة السلطان الجنود: في سنة ثمانين وخمسمائة دعى صلاح الدين العساكر الحلبية والجزيرية والمصرية والشامية أن يقدموا عليه لقتال الفرنج، فقدم عليه تقي الدين عمر من مصر، ومن حلب العادل، وقدمت ملوك الجزيرة وسنجار وغيرها.

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٢) الكامل ٩/ ١٥٥ ـ ١٥٩.

(٣) الكامل ٩ / ١٦١ ـ ١٦٤.

فأخذ السلطان الجميع وسار نحو الكرك، وكان أهلها يقطعون الطريق على الحجاج، فاجتمع الصليبيون ليمنعوا عليه الكرك، فقاتلهم فانهزموا إلى الكرك، وقتل منهم مقتلة عظيمة [١].

وفاة يوسف بن عبد المؤمن: وفي هذه السنة جاز يوسف بن عبد المؤمن البحر إلى الأندلس ومعه جيش عظيم، فحاصر مدينة شنترين شهراً فأصابه بها مرض فمات منه في ربيع الأول، وكانت مدة ملكه اثنتان وعشرين سنة. فاتفق رأي قواد الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تمليك ولده أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فقام بالملك أحسن قيام، فاستقامت له الدولة مع سعة أقطارها [٢].

ملك الملثمين بجاية: وفي شعبان من هذه السنة خرج علي بن إسحاق المعروف بابن غانية وهو من أعيان الملثمين الذين كانوا ملوك المغرب إلى بجاية فملكها، وذلك بعد أن علم بوفاة يوسف بن عبد المؤمن. ثم استعادها يعقوب بن يوسف بعد أن جهز لحرب الملثمين جيشاً جراراً [٣]

حصار الكرك: في كل سنة كان يتجدد حصار الكرك حتى ضعف البرنس صاحب الكرك وهادن المسلمين، ثم أن البرنس في سنة إثنين وثمانين وخمسمائة غدر بالحجاج المسلمين فقتلهم، فجمع السلطان صلاح الدين عسكره في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة من البلاد، وخرج من دمشق قاصداً الكرك، فلما وصلها حاصرها وخرَّب بعض الحصون وأهرق بعضها ثم تركها [٤].

فتح طبرية: سار صلاح الدين بجيوشه يريد طبرية، فسار حتى قارب الفرنج فنزل على أحد حصون طبرية فنقبه ودخله وحارب حتى أخذ طبرية كلها إلاّ القلعة، فاجتمع الصليبيون من الكرك وغيرها على قتال المسلمين، فلما سمع صلاح الدين بقرب عسكر الفرنج عاد عن طبرية.

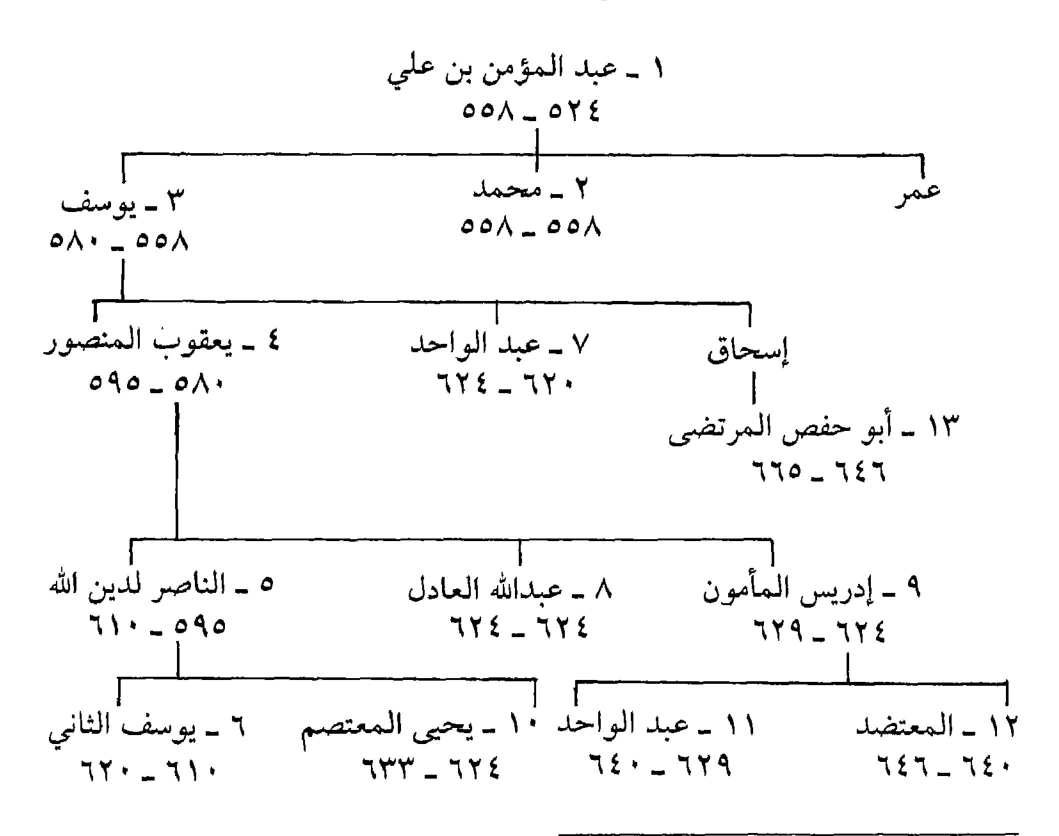
معركة حطين: تقدم صلاح الدين بجيشه نحو الفرنج إلى مكان يسمى حطين

---

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٣١٥.
(٢) الكامل ٩ / ١٦٥.
(٣) المصدر السابق ٩/ ١٦٦.
(٤) الكامل ٩ / ١٧٥ ـ ١٧٦، والبداية والنهاية ١٢ / ٣٢٠.

ودنا الفرنج منه وكان اشتد بهم العطش بعد أن استأثر جيش المسلمين بمصادر المياه، فاقتتلوا هناك قتالاً شديداً، وصبر الفريقان، وشد المسلمون على الصليبيين، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وانهزم الصليبيون، ثم عادوا الكرَّ مرة أخرى فصبر لهم المسلمون وقتل من الفرنج مقتلة عظيمة، وكانت الحرب كر وفر، حتى كتب الله النصر للمسلمين، وأسر البرنس أرناط صاحب الكرك، وملك الفرنج وابن هنفري وغيرهم من الأمراء عندهم، فكان من يرى القتلى لا يظن أنهم أسروا واحداً، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحداً، ثم قتل صلاح الدين بيديه البرنس[1].

الدولة الموحدية في المغرب
من ٥٢٤ ـ ٦٦٥



(١) الكامل ٩ / ١٧٧ / ١٧٩، والبداية والنهاية ١٢ / ٣٢٠ ـ ٣٢٢.

فتح قلعة طبرية: بعد الانتهاء من معركة حطين، عاد السلطان صلاح الدين إلى طبرية، فطلبت صاحبتها الخروج منها بالأمان، فأعطاها الأمان وخرجت بمن معها[(١)].

فتح عكا والساحل: لما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها إلى عكا، فلما وصل إلى عكا خرج كثير من أهلها يضرعون ويطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك، واختاروا الرحيل. ثم دخل المسلمون إليها أول جمادى الأولى وكان يوم جمعة فصلوا بها الجمعة في جامع كان للمسلمين، ثم سلم عكا إلى ولده الأفضل. ثم ملك صلاح الدين جميع ساحل فلسطين[(٢)].

فتح صيدا وجبيل وبيروت: سار صلاح الدين إلى صيدا فاجتاز الصرفند فأخذها بغير قتال، فلما سمع صاحب صيدا مسير صلاح الدين إليه تركها فارغة وهرب، فتسلمها صلاح الدين من غير قتال وذلك لتسع بقين من جمادى الأولى.

وأما بيروت فهي من أحصن مدن الساحل، فسار إليها صلاح الدين، فلما وصلها رأى أهلها قد صعدوا على سورها وأظهروا القوة والجلد والعدد، فقاتلوا على سورها قتالاً شديداً، فزحف إليهم المسلمون مرة بعد مرة، لكن وقعت البلبلة داخل السور، فسلم أهل بيروت مدينتهم خوفاً من المسلمين وذلك في التاسع والعشرين من جمادى الأولى.

وأما جبيل فكان صاحبها من ضمن الأسرى في معركة حطين الذين سيرهم صلاح الدين إلى دمشق، فعرف صلاح الدين أن صاحبها يريد تسليمها شرط إطلاقه من الأسر، فأتى به صلاح الدين وتسلم جبيل منه وأطلقه من الأسر[(٣)].

فتح عسقلان وما جاورها: لما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وصيدا، كان أمر عسقلان والقدس أهم عنده لأسباب منها أنهما على طريق مصر، وأن في فتح القدس ما هو محمود الذكر والصيت العظيم، فسار من بيروت نحو عسقلان

---

(١) الكامل ٩ / ١٧٩، والبداية والنهاية ١٢ / ٣٢٢.

(٢) الكامل ٩ / ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٣) الكامل ٩ / ١٨٠ ـ ١٨١.

واجتمع بأخيه العادل ومن معه من عساكر مصر ونازلوا عسقلان يوم الأحد سادس عشر جمادي الآخرة ومعه ملك الفرنج يريد تسليم عسقلان شرط إطلاقه، فلم يرض أهلها بتسليمها، فقاتلهم صلاح الدين أياماً، ثم سلموا البلدة على شروط. ثم بث السلطان صلاح الدين السرايا في أطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومقام إبراهيم الخليل عليه السلام وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وغيرها[1].

فتح بيت المقدس: جمع السلطان العساكر وسار بهم نحو بيت المقدس، فنزل غربي بيت المقدس في الخامس عشر من رجب من هذه السنة، فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين، وكان فيها ستون ألف مقاتل، وكان صاحبها يومئذٍ بالبان بن بازران. فوزع السلطان المهام على جيشه. فتقاتل الجيشان وصبر الفرنج وبذلوا أنفسهم وأموالهم. فاجتهد الملسمون في القتال وهدم المسلمون أحد أبراج المدينة فأوهن ذلك الصليبيون وقصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان فما استجاب لهم إلّا بعد إلحاح وعلى شروط، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب، وذلك بعد أن ملكها الفرنج اثنين وتسعين سنة[2].

عودة السلطان إلى دمشق: لما انتهى السلطان من فتوحاته، وبعد أن حاول فتح صور، عاد إلى دمشق مؤيّداً منصوراً[3].

فتوحات صلاح الدين: في سنة أربع وثمانين وخمسمائة فتح صلاح الدين جبلة، ثم سار إلى اللاذقية ففتحها، ثم فتح قلعة صهيون وهي قلعة منيعة شاهقة في الهواء، ثم فتح قلعة بكاس بعد أن أخلاها الصليبيون، وتتابعت فتوح القلاع ففتح سرمينية ثم قلعة الشغر، ثم قلعة برزية، ثم قلعة درب ساك، ثم قلعة بغراس. ثم توجه إلى أنطاكية فلما علم صاحبها أرسل بالصلح إلى السلطان صلاح الدين،

---

(١) الكامل ٩ / ١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤، وتاريخ الخلفاء ص ٤٥٣، والكامل ٩ / ١٨٢ ـ ١٨٦.

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

فأجاب إلى الصلح بعد أن تعب الجيش الذي معه. ثم عاد وفتح الكرك وقلعة صفد ثم كوكب[١].

أمر عكا: في سنة خمس وثمانين وخمسمائة خرج الصليبيون من صور وحاصروا عكا، فسار صلاح الدين من دمشق مسرعاً، واستطاع شق الحصار وإدخال ما يريد إلى عكا. وكانت الجنود تجتمع إليه من كل البلاد، ثم وقعت الحرب بينه وبين الصليبيين وكانوا ثلاثين ألف راجل وألفي فارس فانتصر المسلمون، لكن الفرنج استطاعوا أن يمتنعوا بحفر خندق عليهم، فاستنفر السلطان جنود الملوك والأمراء، فأتاه من كل حدب وصوب، وجاء عسكر المصريين في أسطول من خمسين قطعة.

واستهلت سنة ست وثمانين وخمسمائة والسلطان محاصر لحصن عكا، وأمداد الفرنج تفد إليهم من البحر في كل وقت، وجنود المسلمين يقاتلون الفرنج ويناوشوهم، وعمل الفرنج أبراج من الخشب ليقاتلوا من بداخل السور من المسلمين، وكان من شدة القتل أن يدخلوا الحصن، فجمع صلاح الدين عسكره من جديد وقاتل الصليبيين من جميع جهات وجودهم حول قلعة عكا، وأذن الله بنصر المسلمين بعدما أحرقت الأبراج وهرب الصليبيون من النار لكنهم بقوا على الحصار، وكان يوماً مشهوداً لم ير الناس مثله[٢].

قدوم ملك الألمان: أقبل ملك الألمان في عدد كثير من الصليبيين قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل، هدفه الانتقام لبيت المقدس والوصول لمكة والمدينة، فكان مصير جيشه التشتت والقتل، حتى أنه سبح هو بنفسه في نهر جار فأخذه التيار وارتطم بشجرة فمات، ولم يستطع ابنه وهو صغير السن أن يتولى الأمر بعده[٣].

أخذ الفرنج عكا: استهلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة والصليبيون يحاصرون عكا، وقدم ملك فرنسا وإنكلترا ومعهما الجنود في البحر، وانضموا إلى أصحابهم على حصار عكا. وكان صلاح الدين يناوشهم يومياً ليشغلهم عن دخول

---

(١) الكامل ٩ / ١٩٠ ـ ١٩٧.

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥، والكامل ٩ / ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٣٣٦.

عكا، وكتب إلى أمرائه يطلب الإمدادات، لكن كثرة الصليبيين وضعف أهل عكا جعلت مهمة صلاح الدين مهمة صعبة. حتى وقع القتال الشديد، فسلَّم أهل عكا المدينة والقلعة وخرجوا منها، وغدر الفرنج بالمسلمين، وأسروا من بقي من المسلمين داخل القلعة، وقتلوا كثيراً منهم[1].

خراب عسقلان: بعد أن استتب الأمر للصليبيين في عكا ساروا نحو عسقلان، فسبقهم السلطان إليها، واستشار أصحابه في مجابهة الصليبيين، فأشاروا بتخريب عسقلان كي لا يملكها الفرنج، فخربها وخرج منها إلى بيت المقدس، وأذن للعسكر بالاستراحة[2].

ملك صلاح الدين يافا: اجتمع عند صلاح الدين عسكر حلب، فسار إلى مدينة يافا سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكانت بيد الفرنج، فقاتل من بها، فملكها في العشرين من رجب، وغنم منها أموالاً[3].

الصلح مع الصليبيين: وفي السابع عشر من شعبان وقع الصلح بين المسلمين والصليبيين على المهادنة ثلاثين سنة وستة أشهر، وعلى أن ما بيد المسلمين يبقى معهم وما بيد الصليبيين يبقى معهم. وعاد السلطان إلى القدس ورتب أحوالها، وصام رمضان بها. ثم في شوال ركب إلى دمشق[4].

وفاة صلاح الدين: استهلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة والسلطان صلاح الدين في غاية الصحة والسلامة، وعندما وصل الحجيج إلى دمشق خرج لتلقيهم، فكان ذلك آخر ما ركب في هذه الدنيا، حيث اعترته حمى صفراوية ليلة السبت سادس عشر صفر، وتزايد به المرض، فقصده الأطباء في اليوم الرابع، ثم اعتراه يبس ثم قوي اليبس، فأحضر الأمراء الأكابر وبويع لولده الأفضل نور الدين علي، وكان نائباً على دمشق، وذلك عن ظهور غيبوبة الذهن في بعض الأوقات. ثم مات يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة، حيث كان ولد بتكريت في سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة. فأخذ الناس في العويل

---

(١) الكامل ٩ / ٢١٣ ـ ٢١٥.

(٢) المصدر السابق ٩ / ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٣) المصدر السابق ٩/ ٢٢١.

(٤) البداية والنهاية ١٢ / ٣٥٠ ـ ٣٥١.

والانتحاب والدعاء له والابتهال. ثم عمل عزاؤه بالجامع الأموي ثلاثة أيام يحضره الخاص والعام، وقد عمل الشعراء فيه مراثي كثيرة.

وكان تقسيم البلاد بين أولاده، فالديار المصرية لولده العزيز عماد الدين أبي الفتح. ودمشق وما حولها لولده الأفضل نور الدين علي، وهو أكبر أولاده، وحلب وما حولها لولده الظاهر غازي غياث الدين، ولأخيه العادل الكرك والشوبك وبلاد جعبر وقاطع الفرات وحماه وما جاورها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر ابن أخي السلطان. وحمص والرحبة وغيرها لأشد الدين بن شيركوه بن ناصر الدين بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير. واليمن بمعاقله للسلطان ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخي السلطان صلاح الدين. وبعلبك وأعمالها للأمجد بهرام شاه بن فروخ شاه. وبصرى وأعمالها للظافر بن الناصر[١].

وفاة أتابك عز الدين: في هذه السنة توفي أتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل نحواً من ثلاث عشرة سنة، وكان من خيار الملوك[٢].

الخلاف بين ولدي صلاح الدين: في شهر جمادى الأولى من سنة تسعين وخمسمائة قدم العزيز صاحب مصر إلى دمشق ليأخذها من أخيه الأفضل، فحاصر البلد، ودافعه أخوه عنها، واشتد الحال إلى أن قدم العادل عمهما فأصلح بينهما على أن يكون للعزيز القدس وما جاور فلسطين، وعلى أن يكون جبلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب، وأن يكون لعمهما العادل إقطاعه الأول ببلاد مصر مضافاً إلى ما بيده من الشام والجزيرة، ثم عاد العزيز إلى مصر[٣].

شهاب الدين والهند: وفيها كانت وقعة عظيمة بين شهاب الدين الغوري ملك غزنة وبين ملك بنارس الهندي، فأقبلوا إليه في جيش عظيم جداً ومعهم

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٣ / ٢ ـ ٦، والكامل ٩ / ٢٢٥ ـ ٢٢٨، وتاريخ الخلفاء ص ٤٥٤ وشذرات الذهب ٤ / ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(٢) الكامل ٩/ ٢٢٨.

(٣) البداية والنهاية ١٣ / ٨ ـ ٩.

سبعمائة فيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزمهم شهاب الدين وقتل ملكهم[1].

قتل السلطان طغرل آخر السلاجقة: وفي هذه السنة ملك السلطان خوارزم شاه تكس بلاد الري وغيرها، واصطلح مع السلطان طغرلبك السلجوقي، وعظم شأنه، ثم التقى هو والسلطان طغرلبك في ربيع الأول واقتتلا، فقتل السلطان طغرلبك، وأرسل رأسه إلى الخليفة، فأرسل الخليفة الخلع والتقاليد إلى السلطان خورازم شاه[2].

غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس: في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة كانت وقعة «الزلاقة» ببلاد الأندلس شمالي قرطبة، نصر الله فيها الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بعد أن قتل من جنده عشرون ألف مقاتل، وقتل من جنود الفرنج مائة وثلاثة وأربعون ألف جندي، وأسر منهم ثلاثة عشر ألفاً، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً.

ولما حصل ذلك للفرنج حلق ملكهم ذقنه ورأسه وركب حماراً، ثم طاف على ملوك الفرنج يطلب النصرة على المسلمين، فاجتمع له جند كثير جداً، فاقتتل مع يعقوب بن يوسف فهزمه المسلمون أقبح هزيمة، وغنموا منهم أموالهم وحواصلهم[3].

توسع الخليفة: وفي هذه السنة والتي قبلها استحوذ جيش الخليفة بقيادة الوزير مؤيد الدين محمد بن علي المعروف بابن القصاب على بلاد الري وأصبهان وهمدان وخوزستان وغيرها، وقوي جانب الخلافة على الملوك والممالك[4].

العزيز والعادل يدخلان دمشق: في رجب من سنة اثنين وتسعين وخمسمائة أقبل العزيز من مصر ومعه عمه العادل في عساكر، ودخلا دمشق قهراً، وأخرجا منها الأفضل ووزيره الذي أساء التدبير، وخطب بدمشق للعزيز، ثم أمر القاضي محيي الدين بن الزكي بتأسيس المدرسة العزيزية إلى جانب تربة أبيه، ثم استناب

---

(١) المصدر السابق ١٣ / ٩.

(٢) المصدر السابق ١٣ / ٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠، والكامل ٩/ ٢٣٠.

(٣) البداية والنهاية ١٣ / ١٠ ـ ١١، والكامل ٩/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٣٠ ـ ٥٣٢.

على دمشق عمه الملك العادل ورجع إلى مصر، وصولح الأفضل على صرخد، وهرب وزيره ابن الأثير الجزري[1].

ملك العادل يافا من الفرنج وملك الفرنج بيروت: في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة كانت الهدنة التي عقدها صلاح الدين مع الصليبيين ما زالت قائمة، إلاّ أنه كان أمير في بيروت اسمه أسامة يعترض طريق الفرنج، فاشتكى الفرنج إلى الملك العادل والعزيز فلم يفعلا شيئاً، فاستنجد الصليبيون بالأسطول الذي كان في البحر، فأمدّهم ملك الألمان بعساكر كثيرة، فلما علم ذلك العادل طلب العساكر من مصر ومن بلاد الجزيرة والموصل، فجاءته الأمراء، فسار إلى يافا فملكها. وعرف بعزم الصليبيين على أخذ بيروت فسار العادل ليمنعها منهم، فالتقى بعسكر الفرنج بنواحي صيدا فجرت بينهم مناوشة. ثم سار الصليبيون إلى بيروت، فلما قاربوها هرب منها أسامة وجميع من معه من المسلمين فملكوها بغير حرب. وأرسل العادل إلى العزيز أن يأتي بنفسه لحفظ الثغور. لكن الفرنج عادوا إلى صور ثم إلى عكا وتوقف القتال[2].

وفاة سيف الإسلام: وفي شوال من هذه السنة توفي سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أبو صلاح الدين وهو صاحب اليمن، ولما توفي ملك بعده ابنه إسماعيل، وكان أهوج كثير التخليط، حتى أنه أساء السيرة مع جنوده وأمرائه، فوثبوا عليه وقتلوه وملكوا بعده أميراً من مماليك أبيه[3].

وفاة عماد الدين زنكي: في سنة أربع وتسعين وخمسمائة توفي السلطان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة، وكان من خيار الملوك وأحسنهم شكلاً وسيرة، كان شديد المحبة للعلماء خصوصاً الحنفية، واستقر الملك لولده قطب الدين محمد[4].

ملك خوارزم شاه بخارى: في هذه السنة حاصر خوارزم شاه مدينة بخارى، ثم فتحها بعد مدة عنوة، وعفا عن أهلها[5].

---

(١) البداية والنهاية ١٣ / ١٢.
(٢) الكامل ٩ / ٢٣٧ / ٢٣٨.
(٣) المصدر السابق ٩/ ٢٣٩.
(٤) البداية والنهاية ١٣ / ١٦.
(٥) المصدر السابق ١٣ / ١٦ ـ ١٧.

وفاة العزيز صاحب مصر: في المحرم من سنة خمس وتسعين وخمسمائة، سقط العزيز صاحب مصر عن فرسه أثناء الصيد، فمات بعد أيام، توفي عن سبع وعشرين سنة. فملَّك أمراؤه عليهم ولده محمداً، ولقبوه بالمنصور، لكنهم كانوا يميلون إلى تمليك عمه العادل، لكنهم يستبعدون مكانه، فأرسلوا إلى الأفضل وهو بصرخد فأحضروه وملكوه عليهم، ووافق العادل على ذلك. لكن الأفضل جمع جنوده وذهب إلى دمشق ليأخذها، فسبقه إليها العادل، فلم يستطع دخولها، رغم وصول الإمدادات إليه، ثم رحل عن دمشق[1].

ملك العادل الديار المصرية: في سنة ست وتسعين وخمسمائة وبعد رحيل الأفضل عن حصار دمشق ودخل مصر وقد اعتراه الضعف والفشل، سار العادل خلفه ودخل مصر، فأتى إليه ابن أخيه الأفضل خاضعاً ذليلاً، ثم استدعى العادل ولده الكامل من بلاد الجزيرة ليملكه على مصر، وأعطى دمشق لابنه عيسى بن العادل المعظم[2].

وفاة خوارزم شاه: وفي العشرين من رمضان من هذه السنة توفي خوارزم شاه تكش بن أرسلان صاحب خوارزم وبعض خراسان والري وغيرها من البلاد الجبلية بشهرستان بين نيسابور وخوارزم، وتولى الملك بعده ابنه قطب الدين محمد ولقب علاء الدين[3].

الغلاء بمصر: وفي هذه السنة والتي بعدها كان الغلاء الشديد بديار مصر، فهلك بسببه الغني والفقير، وهرب الناس منها نحو الشام، فلم يصل إليها إلاّ القليل، وتخطفهم الصليبيون من الطرقات، واغتالوهم بالقليل من الأقوات[4].

الوباء ببلاد عنزة: في سنة سبع وتسعين وخمسمائة وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن، وكانوا عشرين قرية، فبادت منها ثماني عشرة لم يبق فيها أحد من البشر، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها. وأما القريتان الباقيتان فإنهما

---

(١) البداية والنهاية ١٣ / ١٨ ـ ١٩، والكامل ٩/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥.

(٢) البداية والنهاية ١٣ / ٢١ ـ ٢٢.

(٣) الكامل ٩ / ٢٥٠.

(٤) البداية والنهاية ١٣ / ٢٢، وتاريخ الخلفاء ص ٤٥٥.

لم يمت منهما أحد ولا عندهم شعور بما جرى من حولهم[1].

حصار دمشق: وفي هذه السنة اجتمع الأخوان الأفضل من صرخد والظاهر من حلب على حصار دمشق لنزعها من المعظم بن العادل، ووصلت جيوش العادل لمساعدة ابنه قبل وقوع الحصار. لكن الأفضل والظاهر تنازعا لمن تكون دمشق أولاً، فاختلفا وتفرقت الامراء عنهما، وطلبا الصلح من عمهما العادل فصالحهما[2].

غياث الدين وشهاب الدين: وفيها ملك غياث الدين وشهاب الدين الغوريان جميع ما كان يملك خوارزم شاه من البلدان والحواصل والأموال[3].

خوارزم شاه والغورية: في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة استعاد علاء الدين خوارزم شاه ما كان أخذه الغورية من بلاده في السنة الماضية. بعد حروب وخطوب طويلة[4].

وفاة غياث الدين ملك الغور: في جمادى الأولى من سنة تسع وتسعين وخمسمائة توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام الغوري صاحب غزنة وبعض خراسان، وخلّف ابناً اسمه محمود لقب بعد موت أبيه غياث الدين وهو الذي قام بالملك بعده[5].

ملك الفرنج القسطنطينية: في سنة ستمائة اجتمع الفرنج يريدون أن يستعيدوا بيت المقدس، فأتوا من أوروبا فدخلوا بلاد الترك، فرأوا أنّ الروم مختلفون فيما بينهم، فحاصروا القسطنطينية ثم أخذوها، واستولوا على ما بها من الحلي والذهب الموجودة في الكنائس. ثم سار الفرنج إلى الشام، فنزلوا عكا، وأغاروا على كثير من بلاد الإسلام فقتلوا وسبوا، فنهض إليهم العادل وكان بدمشق، واستدعى الجيوش المصرية والشرقية ونازلهم بالقرب من عكا، فكان بينهم قتال شديد

---

(١) المصدر السابق ١٣/ ٢٦.

(٢) الكامل ٩/ ٢٥١ ـ ٢٥٣.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ٢٧.

(٤) الكامل مفصلاً ٩/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٥) المصدر السابق ٩/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٢.

وحصار عظيم، ثم وقع الصلح بينهم والهدنة[1].

غياث الدين كيخسرو: في سنة إحدى وستمائة ملك غياث الدين كيخسروا بن قلج أرسلان بن مسعود السلجوقي بلاد الروم التي كانت بيد ابن أخيه بعد وفاته في العام الماضي، واستقر غياث الدين عليها وعظم شأنه وقويت شوكته، وكثرت عساكره وأطاعه الأمراء وأصحاب الأطراف[2].

قتل شهاب الدين الغوري: في سنة اثنين وستمائة وقعت حرب عظيمة بين شهاب الدين محمد بن سام الغوري، صاحب غزنة، وبين بني كوكر[3]، وكانوا قد ارتدوا عن الإسلام فقاتلهم وكسرهم وغنم منهم شيئاً كثيراً لا يعد ولا يوصف، فاتبعه بعضهم فقتله غيلة في ليلة مستهل شعبان، وملك غزنة بعده أحد مماليكه «تاج الدر»[4].

ملك أنطاكية: في شعبان من سنة ثلاث وستمائة ملك غياث الدين كيخسرو صاحب قونية وبلاد الروم مدينة أنطاكية بالأمان، فقد كان حاصرها مدة طويلة، وهدم عدة أبراج من سورها، حتى ضاق الحال واشتد الأمر عليهم، وكان الروم استعانوا بالفرنج لفك الحصار، فوقع الخلف بينهم، فأرسل الروم إلى المسلمين وطلبوهم ليسلموا إليهم البلد، فاجتمعوا معهم على قتال الفرنج، فانهزم الفرنج، وأخذ المسلمون الحصن[5].

ملك خوارزم شاه ما وراء النهر: في سنة ثلاث وستمائة ملك خوارزم شاه الطالقان. وفي سنة أربع وستمائة عبر نهر جيحون لقتال الخطا الأتراك إنقاذاً لأهل بخارى وسمرقند من عتو الخطأ وتحكمهم بالمسلمين، فدخل ما وراء النهر واستنقذ المسلمين من أيدي الخطا وملك ما وراء النهر[6].

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٦ ـ ٣٧، والكامل ٩/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤.
(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٤١.
(٣) في البداية والنهاية «بوكر» (١٣/ ٤٣).
(٤) عن البداية والنهاية ١٣/ ٤٣، وانظر الكامل ٩/ ٢٧٠ ـ ٢٧٣.
(٥) الكامل ٩/ ٢٨٨.
(٦) الكامل ٩/ ٢٩١ ـ ٢٩٣.

الوقعة التي أفنت الخطا: تغلب خوارزم شاه على الخطا وأسر قائدهم فأكرمه وأجلسه على سريره. فرجع الخطا إلى ملكهم. فلما سمع التتار بهزيمتهم، خرجوا من بلادهم على حدود الصين لقتال الخطا، وكان بينهم وبين الخطا عداوة. فتواقع الفريقان فانهزم الخطا هزيمة منكرة. ولم يعد هناك حاجز بين التتار وبلاد المسلمين(١).

أمر الصليبيين: وفي هذه السنة كثرت غارات الفرنج من طرابلس على نواحي حمص، فضعف صاحبها أسد الدين شيركوه عن مقاومتهم، فبعث إليه الظاهر صاحب حلب عسكراً قواه به على الفرنج، وخرج العادل من مصر في العساكر الإسلامية، وأرسل إلى جيوش الجزيرة فوافوه على عكا فحاصرها، وكان القبارصة أخذوا من أسطول المسلمين قطعاً فيها جماعة من المسلمين، فطلب صاحب عكا الأمان والصلح على أن يرد الأسارى، فأجابه إلى ذلك. ثم سار العادل إلى طرابلس فأقام اثني عشر يوماً يقتل ويأسر ويغنم، حتى جنح الفرنج إلى المهادنة، ثم عاد إلى دمشق(٢).

الزلزال بمصر: في سنة ثمان وستمائة كانت زلزلة عظيمة شديدة بمصر والقاهرة، هدمت منها دور كثيرة. وكذلك بالكرك والشوبك وهدمت من قلعتها أبراجاً، ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم(٣).

الإسماعيلية: وفي هذه السنة أظهر الإسماعيلية زعيمهم جلال الدين الانتقال عن فعل المحرمات واستحلالها، وأمر زعيمهم بإقامة الصلوات وشرائع الإسلام ببلادهم من خراسان والشام. وكتبوا إلى إخوانهم بالشام بالالتزام بشعائر الإسلام، وكتب زعيمهم إلى الخليفة يعلمه بذلك(٤).

ملك خوارزم شاه كرمان ومكران والسند: في سنة إحدى عشر وستمائة أرسل الملك خوارزم شاه أميراً من أخصائه في جيش ففتح له كرمان ومكران إلى حدود بلاد السند، وخطب له بتلك البلاد(٥).

---

(١) المصدر السابق ٩/ ٢٩٥ ـ ٢٩٩.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٤٩.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ٦٢.

(٤) الكامل ٩/ ٣٠٦.

(٥) البداية والنهاية ١٣/ ٦٧.

القتال بين أمير مكة والمدينة: في سنة اثني عشرة وستمائة حاصر الأمير قتادة أمير مكة المدينة ومن بها، وقطع نخلاً كثيراً، فقاتله أهلها فكر خاسراً. وكان صاحب المدينة بالشام، فطلب من العادل نجدته على أمير مكة، فأرسل معه جيشاً، فمات في أثناء الطريق، فتولّى الأمر ابن أخيه «جماز»، فقصد مكة، فالتقاه أميرها بالصفراء، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهرب المكيون، وغنم منهم جماز شيئاً كثيراً[1].

ملك خوارزم شاه غزنة: وفي هذه السنة ملك خوارزم شاه محمد بن تكس مدينة غزنة وأعمالها من غير قتال[2].

أمر الصليبيين: في سنة أربع عشرة وستمائة سار الصليبيون من عكا بعد أن انقضت مدة الهدنة، فحاصروا قلعة الطور، وهي قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا، بناها العادل. فقتل المسلمون بعض ملوكهم فعادوا عنها[3].

وقدم الصليبيون أيضاً على بيسان فنهبوا ما كان بها من الغلات والدواب، وقتلوا وسبوا شيئاً كثيراً، ثم عاثوا في الأرض فساداً يقتلون وينهبون ما بين بيسان إلى بانياس. فنزل الملك العادل على عقبة اللبن بين القدس ونابلس خوفاً على القدس منهم. فإنه هو الهم الأكبر[4].

ملك الفرنج دمياط ووفاة العادل: في سنة أربع عشرة وستمائة أخذت الفرنج دمياط، ثم ركبوا وقصدوا بلاد مصر، فحاصروها أربعة شهور، والملك الكامل يقاتلهم ويمانعهم، ثم ملك الفرنج برج السلسلة وهو مفتاح ديار مصر، فشق ذلك على المسلمين، ووصل الخبر إلى الملك العادل فدق بيده على صدره أسفاً وحزناً، ومرض من ساعته مرض الموت، فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة توفي بقرية غالتين، وكانت مملكته ممتدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى همدان كلها، توفي عن خمس وسبعين سنة.

وكتب الملك الكامل من مصر يستحث المسلمين على المسير إليه والنصرة،

---

(١) المصدر السابق ١٣/ ٦٩.
(٢) انظر مفصلاً في الكامل ٩/ ٣١٠.
(٣) الكامل ٩/ ٣١٥.
(٤) البداية والنهاية ١٣/ ٧٦.

فأقبلت العساكر الإسلامية إليه من كل مكان، فقدم عليه أخوه الأشرف ثم المعظم[1].

أمر الأتابكة: وفي هذه السنة توفي الملك القاهر صاحب الموصل، فأقيم ابنه الصغير مكانه، ثم قتل وتشتت شمل البيت الأتابكي، ثم تغلّب على الأمور بدر الدين لؤلؤ غلام أبيه[2].

ظهور التتار: في سنة ست عشرة وستمائة عبرت التتار نهر جيون صحبة ملكهم جنكيز خان من بلادهم، وكانوا يسكنون جبال طمغاج من أرض الصين، وهم من أشجع التتار وأصبرهم على القتال. وكان سبب عبورهم أن جنكيز خان أرسل تجاراً لشراء بضائع من بلاد خوارزم شاه، فلما وصلوا قتلهم خوارزم شاه وأخذ أموالهم، ثم دخل خوارزم شاه بلادهم وقتل وسبى. فأقبل التتار إلى خوارزم شاه، فاقتتلوا معه أربعة أيام قتالاً لم يسمع مثله، فقتل من المسلمين نحواً من عشرين ألفاً، ومن التتار أضعاف ذلك، ثم ولّى كل فريق إلى بلده، وأخذ خوارزم شاه في تحضير الجيوش استعداداً للتتار.

فقصد التتار بخارى وبها عشرون ألف مقاتل، فحاصرها جنكيز خان ثلاثة أيام، فطلب أهلها الأمان فأمنهم، ودخلها فأحسن السيرة فيهم مكراً وخديعة. ثم فتح جنكيز خان قلعتها قهراً وقتل من فيها، ثم عاد إلى البلد فأخذ أموال تجارها وأحلّها لجنده وقتلوا من أهلها خلقاً لا يعلمهم إلاّ الله، وأسروا الذرية والنساء، وفعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن، ثم ألقت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها، فاحترقت عن بكرة أبيها، ثم قصدوا سمرقند[3].

التتار البلاء الأعظم: في سنة سبع عشرة وستمائة عمّ البلاء وعظم العزاء بجنكيز خان ومن معه من التتار، واستفحل أمرهم واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا إلى العراق، فملكوا في هذه السنة سائر الممالك إلاّ العراق

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٧٩ ـ ٨٠، والكامل ٩/ ٣١٤ ـ ٣١٨، وتاريخ الخلفاء ص ٤٥٦.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٨١.

(٣) تاريخ الإسلام ص ٤٥٦، والبداية والنهاية ١٣/ ٨٢ ـ ٨٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٣٤، والكامل ٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣١.

والجزيرة والشام ومصر، وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الخوارزمية والكرج واللان وغيرهم، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة ما لا يحد ولا يوصف، وكانوا لا يدخلون بلداً إلاّ قتلوا الرجال والنساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه، وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع. ولم يعد في البلاد من يحميها، فقد هرب خوارزم شاه.

ثم قصد التتار الري فملكوها، ثم همذان، ثم زنجان، ثم قزوين، ثم بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها، فتركوه وساروا إلى موقان فقاتلهم الكرج فدحروهم، وما زالوا كذلك حتى بلغوا حدود بلاد أرمينية. ثم ساروا إلى تبريز فصالحهم أهلها بمال، ثم إلى مراغة فملكوها، ثم ملكوا مدينة إربل.

ثم كتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة لقتال التتار، فاعتذر الأشرف بأنه متوجه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية بسبب الفرنج. فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على العساكر، فلم يلتزم أهل إربل الأمر.

ثم دخل التتار همذان وقتلوا أهلها. ثم ساروا إلى بلاد اللان والقبجاق فكسروهم. وسارت سرية من التتار إلى كلانة وفرغانة فملكوهما، وسارت سرية إلى خراسان فحاصروا بلخ فصالحهم أهلها، حتى انتهوا إلى الطالقان ففتحوها قهراً. ثم قصدوا مرو مع جنكيز خان فانكسر المسلمون، وقتلوا في يوم واحد سبعمائة ألف إنسان. ثم ساروا إلى نيسابور فملكوها، ثم إلى طوس فملكوها. ثم ساروا إلى غزنة فقاتلهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم أولاً، ثم قاتلهم جلال الدين فكسرهم ثانية واستنقذ منهم خلقاً من أسارى المسلمين، ثم قصده جنكيز خان فتقاتلا ثلاثة أيام، ثم ضعف أصحاب جلال الدين فأخذ التتار غزنة بلا كلفة[1].

وفي سنة ثمان عشرة وستمائة استولت التتار على كثير من البلدان منها

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٨٨ ـ ٩١، والكامل ٩/ ٣٣٠ ـ ٣٤٤.

بكلادة وهمذان وأردبيل وتبريز وكنجة ومراغة وبيلقان ودربد شروان وبلاد اللان واللكز، وقتلوا أهاليها ونهبوا ما فيها، واستأسروا ذراريها، واقتربوا من بغداد، فحصنها الخليفة، وقنت الناس في الصلوات[١].

استعادة دمياط: سار المعظم وأخوه الأشرف إلى أخيهم الكامل في مصر، لمعاونته على استعادة دمياط من يد الفرنج، فحاصرهم المسلمون، وأرسلوا على أرض دمياط المياه، وضاقت الأقوات على الصليبيين، فوقع الصلح مع الصليبيين على شروط الكامل. وكان ذلك يوم الأربعاء التاسع عشر من رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة، وعادت الفرنج إلى عكا وغيرها[٢].

ملك صاحب اليمن مكة: في سنة عشرين وستمائة سار الملك المسعود اتسز بن الملك الكامل محمد صاحب مصر إلى مكة وصاحبها حينئذٍ حسن بن قتادة بن إدريس العلوي الحسيني قد ملكها بعد وفاة أبيه عام ٦١٨ هـ[٣]. وكان حسن قد أساء إلى الأشراف والمماليك الذين كانوا لأبيه، فجاء صاحب اليمن إلى مكة ونهبها عسكره[٤].

الجراد: في هذه السنة كان الجراد في أكثر البلاد، وأهلك كثيراً من الغلات والخضر بالعراق والجزيرة وديار بكر وكثير من الشام وغيرها[٥].

التتار: في سنة إحدى وعشرين وستمائة أرسل جنكيز خان سرية مرة أخرى إلى الري فقتلوا أهلها، ثم ساروا إلى ساوة ثم إلى قم وقاسان فقتلوا وسبوا. ثم ساروا إلى همذان وأذربيجان فقتلوا خلقاً كثيراً[٦].

ملك غياث الدين بلاد فارس: بعد وفاة أبيه ملك غياث الدين بن خوارزم

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٩٤ ـ ٩٥ والكامل ٩/ ٣٤٧.
(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٩٥، والكامل ٩/ ٣٤٦.
(٣) كان أبوه قد ملك مكة واتسعت ولايته من حدود اليمن إلى مدينة النبي ﷺ، وكثر عسكره وخافه العرب، وأساء السيرة في آخر عهده.
(٤) الكامل ٩/ ٣٥٠.
(٥) المصدر السابق ٩/ ٣٥٢.
(٦) البداية والنهاية ١٣/ ١٠٣.

شاه أصفهان وتحصن بها من التتار، ثم عاد وملك همذان من التتار. وفي أواخر سنة عشرين سار إلى بلاد فارس فملك شيراز واستولى على أكثر البلاد، فلما سمع أن التتار عادوا إلى بلاده وأخذوا همذان والري تحضر للدفاع عن بلاده[١].

جلال الدين بن خوارزم شاه: في سنة اثنين وعشرين وستمائة عاد جلال الدين بن خوارزم شاه شقيق غياث الدين من بلاد الهند، وكسر الكرج وهم في سبعين ألف مقاتل، فقتل منهم عشرين ألفاً من المقاتلة، واستفحل أمره جداً وعظم شأنه، وملك أذربيجان ومدينة كنجة[٢].

وفاة الخليفة: في آخر ليلة من شهر رمضان من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيىء بأمر الله، وله من العمر تسع وستون سنة وشهران، وكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة. وكان سبب موته أنه مرض وطال به مرضه من عسار البول، وكان الذي ولي غسله محي الدين ابن الشيخ أبي بن الجوزي، وصلّي عليه ودفن في دار الخلافة[٣].

أهم الوفيات في عهده

في سنة خمس وسبعين وخمسمائة توفي إبراهيم بن علي أبو إسحاق الفقيه الشافعي المعروف بابن الفراء الأموي ثم البغدادي. وفيها مات إسماعيل بن موهوب أبو محمد الجواليقي حجة الإسلام وأحد أئمة اللغة في زمانه. وفي سنة ست وسبعين وخمسمائة توفي الحافظ أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد الأصبهاني. وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة توفي الشيخ كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي الفقيه العابد الزاهد. وفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي الحسن المعروف بابن الرفاعي شيخ الطائفة الأحمدية الرفاعية البطائحية. وفيها توفي أبو القاسم القرطبي الحافظ المحدث المؤرّخ صاحب التصانيف المعروف بابن بشكوال.

---

(١) الكامل ٩/ ٣٥٣.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦، والكامل ٩/ ٣٦٠ ـ ٣٦١.

وفيها العلامة قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد النيسابوري صاحب الغزالي.

وفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة توفي الحافظ الكبير أبو موسى المديني، وفي سنة اثنين وثمانين وخمسمائة توفي أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش المقدسي ثم المصري أحد أئمة اللغة والنحو في زمانه. وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة توفي الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربي وكان من صلحاء الحنابلة. وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة توفي القاضي شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون أحد أئمة الشافعية. وفيها أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان، كان عالماً متبحراً في علوم كثيرة. وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة توفي محمد بن محمد بن عبدالله أبو حامد قاضي القضاة بالموصل كمال الدين الشهرزوري الشافعي. في سنة تسع وثمانين وخمسمائة توفيت الشيخة الصالحة فاطمة خاتون بنت محمد بن الحسن العميد كانت عابدة زاهدة. وفي سنة تسعين وخمسمائة توفي أبو القاسم بن قسيرة الرعيني الشاطبي ناظم الشاطبية في القراءات السبع.

وفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة توفي علي بن حسان بن سافر أبو الحسن الكاتب البغدادي الأديب الشاعر. وفي سنة أربع وتسعين وخمسمائة توفي العوام بن زيادة كاتب الإنشاء بباب الخلافة. وفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة توفي أبو الحسن محمد بن جعفر الهاشمي قاضي القضاة ببغداد. وفيها كانت وفاة الشيخ جمال الدين أبو القاسم يحيى بن علي شيخ الشافعية ببغداد.

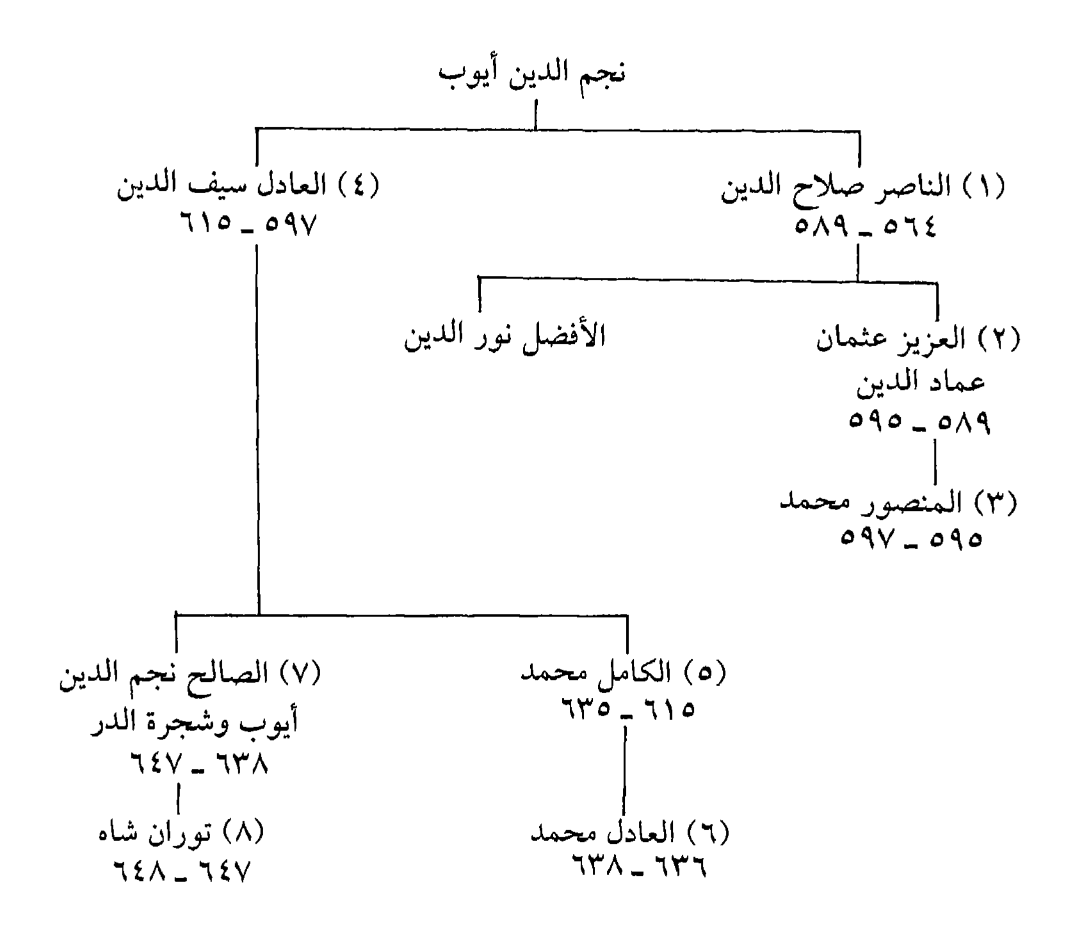
وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة توفي أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف المولى الأصل القاضي الفاضل. وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة توفي عبد الرحمن بن علي الجوزي الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي القرشي التيمي البغدادي الحنبلي. وفيها توفي العماد الكاتب الأصبهاني محمد بن محمد بن حامد المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني صاحب المصنفات والرسائل. وفي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة توفي القاضي ابن الزكي محمد بن علي أبو المعالي القرشي قاضي قضاة دمشق. وفي سنة تسع

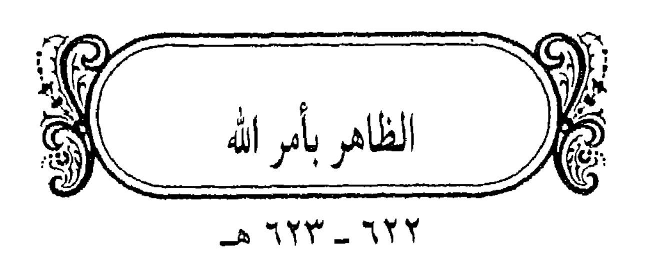
وتسعين وخمسمائة توفي القاضي الضياء الشهرزوري أبو الفضائل قاضي قضاة بغداد. وفيها توفي ابن النجا الواعظ علي بن إبراهيم أبو الحسن الدمشقي الحنبلي. وفي سنة ستمائة من الهجرة توفي الحافظ عبد الغني المقدسي أبو محمد، صاحب التصانيف منها الكمال في أسماء الرجال.

وفي سنة إحدى وستمائة توفي أبو الحسن علي بن عنتر بن ثابت الحلي المعروف بشميم كان شيخاً أديباً لغوياً شاعراً. وفي سنة ست وستمائة توفي ابن الأثير المبارك بن محمد أبو السعادات الشيباني صاحب جامع الأصول والنهاية. وفيها توفي الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري المعروف بابن خطيب الري والمعروف بالفخر الرازي المتكلم صاحب التصانيف منها التفسير والمحصول. وفيها توفي مظفر بن ساسير الواعظ الصوفي البغدادي. وفي سنة ثمان وستمائة توفي الشيخ عماد الدين محمد بن يونس الفقيه الشافعي الموصلي صاحب التصانيف. وفيها توفي ابن حمدون تاج الدين أبو سعد الحسن بن محمد صاحب التذكرة الحمدونية.

وفي سنة اثني عشرة وستمائة توفي الحافظ عبد القادر الرهاوي أبو محمد المحدث الحافظ. وفيها توفي أبو بكر المبارك بن سعيد النحوي الواسطي الملقب بالوجيه الأعمى. وفي سنة ثلاث عشرة وستمائة توفي الشريف أبو جعفر يحيى بن محمد العلوي الحسيني نقيب الطالبيين بالبصرة. وفي سنة أربع عشرة وستمائة توفي الشيخ الإمام العلامة العماد أخو الشيخ الحافظ عبد الغني المقدسي كان عابداً زاهداً ورعاً. وفي سنة خمس عشرة وستمائة توفي أبو الطيب رزق الله بن يحيى التاخدري المحدث الجوال الرحالة الثقة الحافظ الأديب. وفي سنة ست عشرة وستمائة مات الشيخ الإمام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن نجم بن ساس الجذامي المالكي الفقيه، مصنف كتاب الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة. وفي سنة سبع عشرة وستمائة توفي الشيخ عبد الله اليونيني المشهور بالعبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي سنة عشرين وستمائة توفي موفق الدين عبدالله بن أحمد أبو محمد المقدسي شيخ الإسلام مصنف المغني في المذهب. وفيها توفي ابن عساكر عبد الرحمن بن الحسن بن هبة الله أبو منصور الدمشقي شيخ الشافعية.

سلاطين الدولة الأيوبية
من ٥٦٤ إلى ٦٤٨ هـ





٦٢٢ ـ ٦٢٣ هـ

نسبه وحياته: هو محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن مستضيء بأمر الله أبو المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبو عبدالله محمد بن المستظهر بالله أبو عبدالله أحمد بن المقتدي بأمر الله العباسي أبو نصر ولقبه الظاهر بأمر الله. ولد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

كان عاقلاً وقوراً ديناً عادلاً محسناً، رد مظالم كثيرة، وأسقط مكوساً كان قد أحدثها أبوه، وسار في الناس سيرة حسنة حتى قيل: إنه لم يكن بعد عمر بن عبدالعزيز أعدل منه لو طالت مدته. أسقط الخراج الماضي عن الأراضي التي قد تعطلت، ووضع عن أهل بلدة واحدة وهي يعقوبا سبعين ألف دينار كان أبوه قد زادها عليهم في الخراج.

ومن عدله أن صاحب الديوان قدم من واسط ومعه أزيد من مائة ألف دينار عن ظلم، فردها على أربابها، وأخرج أهل الحبوس، وأرسل إلى القاضي عشرة آلاف دينار ليوفيها عمن أعسر، وفرق ليلة عيد النحر على العلماء والصلحاء مائة ألف دينار؛ وقيل له: هذا الذي تخرجه من الأموال لا تسمح نفس ببعضه، فقال: أنا فتحت الدكان بعد العصر فاتركوني أفعل الخير، فكم بقيت أعيش؟.

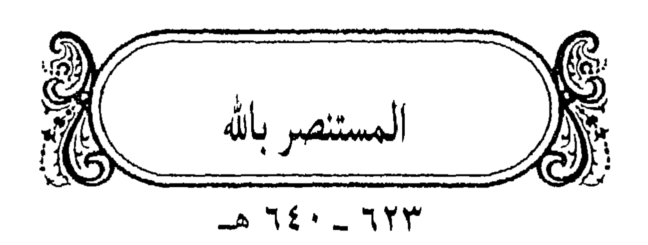
تولّيه الخلافة: كان أبوه قد ولاه العهد من بعده، ثم بعد ذلك خلعه من ولاية العهد وأرسل إلى البلاد في قطع الخطبة له حيث كان يميل إلى ابنه الصغير، لكن ابنه هذا وافته المنية في حياة أبيه، فاضطر إلى إعادة الظاهر لولاية العهد، فلما مات أبوه بويع الظاهر بالخلافة وعمره يومئذٍ اثنان وخمسون سنة.

جلال الدين والكرج: في سنة ثلاث وعشرين وستماية التقى جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج، فكسرهم كسرة عظيمة، وفتح أكبر معاقلهم تفليس، وقتل من فيها من الكفرة، وسبى ذراريهم، وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة[1].

وفاة الخليفة الظاهر: وفي الرابع عشر من رجب من هذه السنة توفي الخليفة الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين، فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً. وكان يوم الجمعة، ولم يعلم الناس بموته إلاّ بعد الصلاة، فدعا له الخطباء يومئذٍ على المنابر على عادتهم.

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ١١٢.



المستنصر بالله

٦٢٣ ـ ٦٤٠ هـ

نسبه وحياته: هو منصور أبو جعفر بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله أبو المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله العباسي أمير المؤمنين.

ولد في صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وأمه جارية تركية. نشر العدل في الرعايا، وبذل الإنصاف في القضايا، وقرب أهل العلم والدين، وبنى المساجد والربط والمدارس والمستشفيات، وأقام منار الدين، وقمع المتمردين.

بنى مدرسة المستنصرية على دجلة من الجانب الشرقي ما بني على وجه الأرض أحسن منها، ولا أكثر منها وقوفاً، وهي أربعة مدرسين على المذاهب الأربعة، وعمل فيها مارستاناً، ورتب فيها مطبخاً للفقهاء، ومزملة للماء البارد، ورتب لبيوت الفقهاء الحصر والبسط والزيت والورق والحبر وغير ذلك، وللفقيه في الشهر ديناراً، وهذا أمر لم يسبق إلى مثله. وقد بلغ وقوف المستنصرية في العام نيفاً وسبعين ألف مثقال، ونقل إليها الكتب وهي مائة وستون حملاً من الكتب النفيسة، وعدد فقهائها مائتان وثمانية وأربعون فقيهاً من المذاهب الأربعة.

تولّيه الخلافة: لما توفي الظاهر بأمر الله بويع بالخلافة ابنه الأكبر أبو جعفر المنصور، ولقب المستنصر بالله، وبايعه الخاصة والعامة من أهل الحل والعقد، وكان يوماً مشهوداً، وكان عمره يومئذٍ خمساً وثلاثين سنة وخمسة أشهر وأحد عشر يوماً[1].

---

(١) انظر ترجمته في الكامل ٩/ ٣٦٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١١٣ ـ ١١٤؛ و١٥٩، وشذرات الذهب ٥/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩، وتاريخ الخلفاء ص ٤٦٠ ـ ٤٦٧، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٣٥.

فتوحات جلال الدين: في سنة ثلاث وستين وستمائة وبعد أن ملك جلال الدين تفليس سار إلى مدينتي آني وقرس وهما للكرج، وكلاهما من أحصن البلاد، فلم يستطع فتحهما، فترك عليهما بعض الجند وسار إلى أبخاز فقتل وسبى وأحرق البلاد ثم عاد إلى تفليس. ثم سار منها إلى مدينة خلاط فنازل أهلها، فقاتلوا عن بلدهم قتالاً عظيماً، وأبعدوا عسكر جلال الدين عن البلد، ثم تركها بعد أن اشتد البرد ونزل شيء من الثلج. ولما رأى التركمان الإيوائية بُعْدَ جلال الدين عنهم اغتروا وأرادوا أن يأخذوا بعض بلاده، فدخلوا أذربيجان ينهبون ويقطعون الطريق، فاشتد الأمر على الناس، فأتى إليهم جلال الدين وهم آمنون مطمئنون، فأحاطت بهم العساكر الخوارزمية، وأخذهم السيف من كل جانب، فأكثروا فيهم القتل والنهب[١].

الكرج يعودون إلى تفليس: في سنة أربع وعشرين وستمائة عادت الكرج إلى تفليس، فدخلوها وقتلوا العامة والخاصة، ونهبوا وسبوا وخربوا وأحرقوا، وبلغ ذلك جلال الدين فسار سريعاً ليدركهم فلم يدركهم، وتركوا البلد وقد أحرقوها[٢].

نهب جلال الدين بلد الإسماعيلية: في هذه السنة قتل الإسماعيلية أميراً كبيراً من أمراء جلال الدين، وكان نعم الأمير، فعظم ذلك على جلال الدين، فسار في عسكره إلى بلاد الإسماعيلية من حدود الموت إلى كردكوه بخراسان، فخرب جميع بلادهم، وقتل أهلها، ونهب الأموال وانتقم منهم[٣].

وفاة المعظم صاحب دمشق: في هذه السنة توفي الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق من مرض أصابه، وكانت مدة ملكه عشر سنين وخمسة أشهر. ثم ولي بعده ابنه داود ويلقب الملك الناصر وكان عمره قد قارب عشرين سنة[٤].

---

(١) الكامل ٩/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ١١٧، والكامل ٩/ ٣٧٣.

(٣) الكامل ٩/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٤) المصدر السابق ٩/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥، وانظر سيرته في البداية والنهاية ١٣/ ١٢١ ـ ١٢٢.

جلال الدين والتتار: في سنة خمس وعشرين وستمائة جرت حروب كثيرة بين جلال الدين والتتار، كسروه أولاً، ثم بعد ذلك كله كسرهم كسرة عظيمة، وقتل منهم خلقاً لا يحصون، وكان هؤلاء التتار عصوا على جنكيزخان[1].

الصليبيون: في هذه السنة قدمت طائفة من الصليبيين من ناحية صقلية، فنزلوا عكا وصور وحملوا على مدينة صيدا فانتزعوها من أيدي المسلمين، وقويت شوكتهم. وخاف الملك الكامل صاحب مصر وأخوه الملك الأشرف أن تمتد أطماع الفرنج إلى بيت المقدس فأقاما مع بعض الأمراء بالشام لحماية بيت المقدس[2].

تسليم بيت المقدس للفرنج: استهلت سنة ست وعشرين وستمائة وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون، فقويت نفوس الصليبيين بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر، فطلبوا من المسلمين أن يردوا لهم بيت المقدس، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده فتسلموا القدس الشريف[3].

ملك الأشرف دمشق: في هذه السنة حاصر الملك الكامل دمشق وضيق عليها، فغلت الأسعار، ثم أخرج منها ابن أخيه الملك الناصر. ثم تصالح الأشرف والكامل، فأخذ الأشرف دمشق وأعطى أخاه حران والرها والرقة وسروج[4].

جلال الدين والأشرف: في سنة سبع وعشرين وستمائة كانت وقعة عظيمة بين الأشرف موسى بن العادل وبين جلال الدين بن خوارزم شاه. وكان سببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة خلاط من علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب بلاد الروم وقونية، فحاربه علاء الدين وأرسل يستنجد بالأشرف، فالتقوا مع جلال الدين بأذربيجان فانهزم جلال الدين، وأعيدت خلاط إلى علاء الدين. ثم ترددت الرسل بين الأمراء الثلاثة فاصطلحوا كلٌّ منهم على ما بيده[5].

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ١٢٣.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ١٢٣.

(٣) المصدر السابق ١٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤، والكامل ٩/ ٣٧٨.

(٤) البداية والنهاية ١٣/ ١٢٤، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٥) البداية والنهاية ١٣/ ١٢٧. وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

خروج التتار إلى أذربيجتان وديار بكر والجزيرة: في أول سنة ثمان وعشرين وستمائة وصل التتار من بلاد ما وراء النهر إلى أذربيجان، بعدما عرفوا بضعف جلال الدين وانهزامه من الأشرف وعلاء الدين، فاستولوا على الري وهمذان وما بينهما من البلاد، ودخلوا أذربيجان فقتلوا ونهبوا وجلال الدين لا يجرؤ على محاربتهم. ثم حاصر التتار مراغة من أذربيجان فاستسلم أهلها على الأمان.

ثم إن التتار قصدوا جلال الدين، فكان يهرب منهم، حتى التقى معهم بآمد، فانهزم جلال الدين. ثم سار التتار يقتلون ويأسرون في بلاد الإسلام من تلك الناحية، فأخذوا ماردين وحاصروا نصيبين ثم عادوا عنها. ثم نهبوا سنجار والخابور وعرابان، ثم أخذوا بلاداً حول خلاط[1].

مقتل جلال الدين: قتله فلاح من قرية بأرض ميافارقين غدراً، بعد أن تفرق عنه جيشه مهزومين من التتار. وسار غالب بجيشه إلى علاء الدين كيقباذ[2].

المدرسة المستنصرية: في سنة إحدى وثلاثين وستمائة كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يبن مدرسة قبلها مثلها، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث وقارئان، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام، وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد. ولما كان يوم الخميس خامس رجب حُضرت الدروس بها، وحضر الخليفة المستنصر بالله بنفسه وأهل دولته من الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والصوفية والشعراء، وخلع على جميع المدرسين بها والحاضرين فيها، وكان يوماً مشهوداً[3].

حصار إربل: في سنة أربع وثلاثين وستمائة حاصرت التتار إربل بالمجانيق، ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة، فقتلوا أهلها وسبوا ذراريهم، وامتنعت عليهم

---

(١) الكامل ٩/ ٣٨٣ ـ ٣٨٦.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٥٥، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٢.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠.

القلعة مدة، وفيها النائب من جهة الخليفة، ولما دخل فصل الشتاء تركها التتار وعادوا إلى بلادهم[1].

وفاة صاحب حلب: وفي هذه السنة توفي صاحب حلب محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين فاتح القدس، توفي وله من العمر أربع وعشرون سنة، وقام في الملك بعده ولده الناصر صلاح الدين يوسف.

وفاة الأشرف والكامل: وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة كانت وفاة الأشرف ثم أخوه الكامل، أما الأشرف فكانت وفاته يوم الخميس رابع المحرم من مرض أصابه، وقد كان شهماً شجاعاً كريماً جواداً لأهل العلم، لا سيما أهل الحديث، وقد بنى لهم دار حديث بالسفح وبالمدينة. عند وفاته عهد بملك مدينة دمشق لأخيه الصالح إسماعيل صاحب بصرى، فسار الكامل من مصر إلى دمشق فحاصرها حتى تسلمها صلحاً من الصالح وعوضه عنها بعلبك، واستولى على سائر أعمال الأشرف.

أما الكامل، فبعد أن تملك دمشق مدة شهرين أخذته أمراض مختلفة، من ذلك سعال وإسهال ونزلة في حلقه، ونقرس في رجليه، فاتفق موته في بيت صغير ولم يكن عنده أحد عند موته من شدة هيبته، وقد كان جيد الفهم يحب العلماء، وكان ذكياً ذا بأس شديد، عادل منصف له حرمة وافرة، وسطوة قوية، ملك مصر ثلاثين سنة، وكانت وفاتة في ليلة الخميس الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة، وعهد من بعده لولده العادل وكان صغيراً بالديار وبالبلاد الدمشقية، ولولده الصالح أيوب ببلاد الجزيرة[2].

الخلاف بين الأيوبيين: في سنة سبع وثلاثين وستمائة هجم الصالح إسماعيل على دمشق فملكها وتسلم القلعة، واعتقلوا الناصر داود صاحب الكرك الصالح أيوب بالكرك أشهراً، فطلبه أخوه العادل من الناصر داود وبذل فيه مائة ألف دينار،

---

(١) المصدر السابق ١٣/ ١٤٥.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ١٤٦ ـ ١٥٠، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

وكذا طلبه الصالح إسماعيل فأمتنع الناصر، ثم اتفق معه وحلفه وأخذه وسار به إلى الديار المصرية، فمالت الكاملية إلى الصالح أيوب وقبضوا على العادل، وتملك الصالح نجم الدين أيوب مصر[١].

تهديد التتار: في سنة ثمان وثلاثين وستمائة قدم رسول من ملك التتار تولي بن جنكيزخان إلى ملوك الإسلام يدعوهم إلى طاعته ويأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم[٢].

وفاة الخليفة المستنصر بالله: في سنة أربعين وستمائة توفي الخليفة المستنصر بالله، وكان ذلك يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة، وله من العمر إحدى وخمسون سنة وأربعة أشهر، وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وعشرة أشهر، ودفن بدار الخلافة، وقد خلف من الأولاد ثلاثة وبنت واحدة.

أهم الوفيات في عهده

في سنة ثلاث وعشرين وستمائة توفي يونس بن بدران الجمال المصري قاضي القضاة. وفي سنة أربع وعشرين وستمائة توفي أبو النجم محمد بن القاسم التكريتي الفقيه الشافعي. وفي سنة سبع وعشرين وستمائة مات زين الأمناء الشيخ الصالح أبو البركات بن الحسن الدمشقي الشافعي الحافظ. وفي سنة تسع وعشرين وستمائة توفي الحافظ محمد بن عبد الغني بن أبي بكر البغدادي أبو بكر بن نقطة المحدث. وفي سنة ثلاثين وستمائة توفي الشاعر أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين. وفيها توفي الشيخ شهاب الدين السهروردي صاحب عوارف المعارف وشيخ الصوفية ببغداد. وفي هذه السنة توفي المؤرخ الكبير الإمام العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم الشيباني الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير مصنف كتاب أسد الغابة في أسماء الصحابة، والكامل في التاريخ.

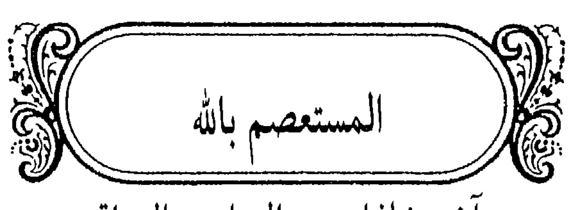
وفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة توفي أبو الحسن علي بن أبي علي الشيخ سيف الدين الآمدي ثم الحموي ثم الدمشقي صاحب المصنفات منها: الأحكام في

---

(١) شذرات الذهب ٥/ ١٨٣، وانظر مفصلاً البداية والنهاية ١٣/ ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

أصول الأحكام وأبكار الأفكار في علم الكلام. وفي سنة اثنين وثلاثين وستمائة توفي ابن الفارض أبو حفص عمر بن أبي الحسن أحد المتصوفين وله شطحات. وفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة توفي أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية الكلبي شيخ الديار المصرية في الحديث. وفي سنة ست وثلاثين وستمائة توفي الشيخ جمال الدين الحصيري شيخ الحنفية بدمشق. وفي سنة سبع وثلاثين وستمائة توفي القاضي الحوبي شمس الدين أحمد بن خليل قاضي القضاة بدمشق. وفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة توفي محي الدين بن عربي صاحب كتاب الفصوص. وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة توفي الشمس ابن الخباز أبو عبدالله أحمد بن الحسين الضرير النحوي الموصلي. وفيها مات أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي الشافعي قاضي قضاة بغداد.



المستعصم بالله

آخر خلفاء بني العباس بالعراق

٦٤٠ ـ ٦٥٦ هـ

نسبه وحياته: هو عبدالله المستعصم بالله، أبو أحمد بن المستنصر بالله منصور بن الظاهر محمد بن الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بالله الحسن بن المستنجد بالله العباسي ولد سنة تسع وستمائة في خلافة جد أبيه، وأمه أم ولد، اسمها هاجر.

أجاز له رواية الحديث المؤيد الطوسي وجماعة، وروى عنه محي الدين بن الجوزي، ونجم الدين البادراي بالإجازة، وأخرج له الدمياطي أربعين حديثاً.

كان حليماً كريماً، سليم الباطن، حسن الديانة، وقد مشت الأمور في أيامه على السداد والاستقامة.

تولّيه الخلافة: كان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة، وكان يقول: إن ملكني الله الأمر لأعبرن بالجيوش نهر جيحون، وأنتزع البلاد من التتار واستأصلهم. فلما توفي المستنصر لم ير الدويدار والشرابي والكبار تقليد الخفاجي الأمر، وخافوا منه، وآثروا المستعصم للينه وانقياده، ليكون لهم الأمر، فولوه الخلافة بعد أبيه، فَرَكَن المستعصم إلى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي، فأهلك الحرث والنسل، ولعب بالخليفة كيف أراد، وباطَن التتار، وناصحهم، وأطعمهم في المجيء إلى العراق وأَخْذِ بغداد.

فبايع المستعصم أول من بايع بنو عمه وأهله من بني العباس، ثم أعيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهاء ومن بعدهم، وكان يوماً مشهوداً، وجاءت البيعة من سائر الجهات والأقطار والبلدان والأمصار، وخطب له

في سائر البلدان والأقاليم. وكان له من العمر يوم بويع بالخلافة ثلاثون سنة[١].

الوحشة بين الأيوبيين: في سنة إحدى وأربعين وستماية تحكمت الوحشة بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، وأرسل الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستحضرهم لحصار دمشق، وكان الخوارزمية قد فتحوا في هذه السنة بلاد الروم وأخذوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين[٢].

وزير المستعصم: في سنة اثنين وأربعين وستمائة استوزر الخليفة المستعصم مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد العلقمي المشؤوم، الذي لم يعصم المستعصم في وزارته، فإنه لم يكن وزير صدق كما قدمنا[٣].

الخوارزمية والفرنج: وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح قد استقدمهم ليستنجدهم على الصالح إسماعيل، فنزلوا غزة، فاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك والمنصور صاحب حمص مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتالاً شديداً، فهزمتهم الخوارزمية هزيمة منكرة، فقتل من الفرنج زيادة عن ثلاثين ألفاً، وأسروا جماعة من ملوكهم وخلقاً من أمراء المسلمين[٤].

أخذ دمشق: في سنة ثلاث وأربعين وستمائة حاصرت الخوارزمية عن أمر الصالح أيوب دمشق فصالح الصالح إسماعيل صاحبها الصالح أيوب على أن يسير إلى بعلبك، فوافقه، وأمر الصالح أيوب الخوارزمية بفك الحصار. فلما علم الخوارزمية بالصلح كاتبوا الصالح إسماعيل فحالفوه على الصالح أيوب فنقض الصلح مع أيوب، وحاصروا دمشق، فغلت الأسعار وعدمت الأموال.

استعان الصالح أيوب بالملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه

---

(١) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١٣/ ١٦٠ ـ ١٦١، وتاريخ الخلفاء ص ٤٦٤ ـ ٤٦٥، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧١، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ١٦٤.

(٤) المصدر السابق ١٣/ ١٦٤، ١٦٥.

صاحب حمص، وجمع الملك المنصور الرجال من حلب والتركمان والأعراب، فخاف الخوارزمية، فساروا إلى الملك المنصور لقتاله، فالتقوا عند بحيرة حمص وقتل عامة الخوارزمية، وقتل ملكهم بركات خان، فتفرق شملهم وتمزقوا شذر مذر. وأخذ الصالح أيوب دمشق، ثم سار المنصور إلى دمشق[1].

وفاة الملك الصالح أيوب: في النصف من شعبان من سنة سبع وأربعين وستمائة مات الملك الصالح من مرض ألَّم به، فأخفت جاريته أم خليل المسماة «شجرة الدر» موته، وأرسلت إلى ولده توران شاه الملك المعظم، فحضر، ثم لم يلبث أن قتل في المحرم من السنة المقبلة، وثب عليه غلمان أبيه فقتلوه، وأمَّروا عليهم جارية أبيه شجرة الدر وحلف لها الأتراك ولنائبها عز الدين أيبك التركماني، فشرعت شجرة الدر في الخلع للأمراء والأعطيات. ثم استقل عز الدين بالسلطنة في ربيع الآخر، ولقب «الملك المعز»[2].

زواج شجرة الدر: في سنة تسع وأربعين وستمائة تزوجت أم خليل شجرة الدر من الملك المعز عز الدين أيبك التركماني، مملوك زوجها الصالح أيوب[3].

التتار: في سنة خمسين وستمائة وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد، فقتلوا وسبوا ونهبوا وخرَّبوا. وكان عدة من قتلوا من أهل الجزيرة عشرة آلاف قتيل[4].

النار في الحجاز: في سنة أربع وخمسين وستمائة ظهرت النار بالمدينة المنورة، حيث قيل: لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة ظهر بالمدينة دوي عظيم، ثم زلزلة عظيمة، فكانت ساعة بعد ساعة إلى خامس الشهر، فظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة، فبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا، وسالت أودية منها إلى وادي شطا سيل الماء، وطلعنا بنصرها فإذا الجبال تسيل ناراً، وطار منها شرر كالقصر إلى أن أبصر ضوؤها من مكة ومن الفلاة

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ١٦٧ ـ ١٧١.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٤٦٥، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٦٠.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ١٨١.

(٤) المصدر السابق ١٣/ ١٨٢.

جميعها، واجتمع الناس كلهم إلى قبر النبي ﷺ مستغفرين تائبين، واستمرت هكذا أكثر من شهر.

قال الذهبي: أمر هذه النار متواتر، وهي مما أخبر به المصطفى ﷺ حيث قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء لها أعناق الإبل ببصرى» وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل ورأى أعناق الإبل في ضوئها[1].

حريق مسجد المدينة: في ليلة الجمعة من أول رمضان من هذه السنة احترق مسجد المدينة، على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، حيث دخل رجل ومعه نار فعلقت في الأبواب، ووصلت إلى السقف بسرعة، فما كان إلّا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع[2].

وفاة عز الدين أيبك: في سنة خمس وخمسين وستمائة مات المعز أيبك سلطان مصر، قتلته زوجته شجرة الدر وولوا بعده ابنه الملك المنصور[3].

التتار: في هذه السنة كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة، فنهب الكرخ ودور الرافضة، حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي، وكان ذلك أحد الأسباب في ممالأته للتتار.

وفي هذه السنة قوي أمر التتار، وتزايد شرهم، واستعرَّت نارهم، والخليفة والناس في غفلة عما يراد بهم، والوزير العلقمي حريص على إزالة الدولة العباسية ونقلها إلى العلوية، والرسل في السر بينه وبين التتار[4].

وفاة شجرة الدر: وفي هذه السنة قتلت شجرة الدر، قتلها مماليك زوجها المعز وألقوها على مزبلة ثلاثة أيام، ثم نقلت إلى تربة لها بالقرب من قبر السيدة نفيسة رحمها الله.[5]

---

(١) تاريخ الخلفاء ٤٩٨ ـ ٤٩٩، وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٨٧ ـ ١٨٨.
(٢) البداية والنهاية ١٣/ ١٩٣.
(٣) تاريخ الخلفاء ص ٤٩٩.
(٤) البداية والنهاية ١٣/ ١٩٦ ـ ١٩٧، وتاريخ الخلفاء ص ٤٩٩.
(٥) البداية والنهاية ١٣/ ١٩٩.

سقوط بغداد: استهلت سنة ست وخمسين وستمائة وجنود التتار في نازلت بغداد وعليهم سلطان التتار هولاكو خان وكان معه مائتا ألف مقاتل وساعد التتار صاحب الموصل خوفاً على نفسه من التتار. وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب. فأشار ابن العلقمي على الخليفة بالخروج إلى هولاكو والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة. فخرج الخليفة في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤوس الأمراء، فلما اقتربوا من مكان هولاكو حُجبوا عن الخليفة إلاّ سبعة عشر نفساً، وقتل الباقون. وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة، فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد إلى بغداد فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر وأشار كثير من الرافضة من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وحسنوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة إلى هولاكو أمر بقتله. فقيل قتل رفساً. وقيل بل خنقاً، وقيل أغرق فالله أعلم.

ثم دخل التتار بغداد وقتلوا كل من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان. واختبأ كثير من الناس في الأقبية وأماكن القمامة أياماً لا يظهرون. ودخل التتار جميع الأماكن التي التجأ إليها الناس فقتلوهم. وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كأنها خراب ليس فيها إلاّ القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة. وقد اختلف في عدد القتلى في بغداد فقيل ثمانمائة ألف، وقيل مليون وثمانمائة ألف، وقيل مليوني قتيل. وعمل السيف في القتل أربعين يوماً. وكان قتل الخليفة يوم الأربعاء رابع عشر من صفر، وكان عمره يومئذٍ ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، وولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن[1].

أهم الوفيات في عهده

في سنة إحدى وأربعين وستمائة توفي أبو الحسن علي بن يحيى بن الحسن

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣، وتاريخ الخلفاء ص ٤٧١ ـ ٤٧٢.

الأسدي الحلي ثم الواسطي ثم البغدادي الكاتب الشاعر فقيه الشيعة. وفي سنة اثنين وأربعين وستمائة توفي تاج الدين أبو عبدالله بن عمر بن حمويه أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين. وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة توفي الشيخ تقي الدين أبو الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ثم الدمشقي مفتي الشام ومحدثها. وفيها أيضاً توفي ابن النجار محمد بن الحافظ أبو عبدالله البغدادي صاحب التاريخ.

وفيها توفي الشيخ علم الدين أبو الحسن السخاوي. وفي سنة ست وأربعين وستمائة، توفي علي بن يحيى أبو الحسن المحرمي الأديب الشاعر. وفيها توفي الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي عثمان بن عمر الرويني المهدي شيخ المالكية الفقيه الأصولي والنحوي وغيرها. وفي سنة خمسين وستمائة مات الشيخ أبو عبدالله محمد بن غانم بن كريم الأصبهاني له تفسير على طريقة التصوف.

وفي سنة اثنين وخمسين وستمائة توفي عبد الحميد بن عيسى أحد مشاهير المتكلمين. وفي سنة أربع وخمسين وستمائة توفي الشيخ عماد الدين عبدالله بن الحسن بن النحاس الزاهد العابد. وفيها توفي الشيخ أبو المظفر البغدادي ثم الدمشقي سبط ابن الجوزي صاحب المصنفات له مرآة الزمان في التاريخ. وفي سنة خمس وخمسين وستمائة توفي الشاعر الأمير سيف الدين علي بن عمر بن قزل صاحب ديوان مشهور. وفيها توفي ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله الكاتب الشاعر المطبق الشيعي شارح نهج البلاغة. وفي سنة ست وخمسين وستمائة توفي الصرصري المادح يحيى بن يوسف الشيخ الإمام العلامة البارع الفاضل في أنواع من العلوم. وفيها توفي البهاء زهير بن محمد المهلبي العتكي المصري الشاعر الجواد صاحب الديوان. وفيها توفي زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشافعي المصري شيخ الحديث في زمانه.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس محتويات
الجزء الثاني


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس محتويات الجزء الثاني






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





